مع الإمام المجدد أبي العزائم
مكاشفات وفتوحات ومعارف

السفير
محمد أمين جبر



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : مع الإمام المجدد أبي العزائم

مكاشفات وفتوحات

المؤلف : محمد أمين جبر

رقم الايداع/ ٢٠١٦/٩١٦٢

الترقيم الدولى / ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-١٤-٢

الطبعة الثانية ٢٠١٦

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وروحي لم تغب .. والروح نور ..
تجانس من أحب .. بنور نوري ..

(أبو العزائم)

المحتويـات

مقدمة

لم أجد مقدمة لكتابي هذا أفضل مما قدم به السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، شيخ الطريقة العزمية القائم رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية وحفيد الإمام أبو العزائم، لكتابي "معارج المقربين إلى الإحسان واليقين" وهي الكلمة التي نوردها فيما يلي تحت عنوان "الإمام أبو العزائم.. تاريخ ومعالم":-

الإمام أبو العزائم .. تاريخ ومعالم[1]

نسبه: سليل أهل البيت الطاهرين، حسني من جهة والدته، حسيني من جهة والده وهو محمد بن عبد الله ماضي أبو العزائم.

والده: السيد عبد الله المحجوب.

والدته: السيدة آمنة المهدية.

مولده: ولد يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦هـ ٢/ ١١/ ١٨٦٩م بمسجد السيد زغلول برشيد.

وظائفه: بعد أن تخرج في كلية دار العلوم عمل بالتدريس، ثم تدرج في سلك الوظائف حتى صار أستاذا للشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم (غردون سابقاً).

إقالته من وظيفته: كان يرى أن أهم وظائف الرجل الديني الإرشاد والنصيحة للحاكمين، بل لعامة الناس، والتحذير من الوقوع في حبائل الاستعمار، فأقصاه الحاكم العام الإنجليزي من وظيفته في يوم الأحد ١٩ رمضان سنة ١٣٣هـ الموافق ١/ ٨/ ١٩١٥م.

---

(1) كلمة السيد محمد علاء الدين ماضي ابو العزايم حفيد الإمام وشيخ الطريقة العزمية القائم، صدر بها كتابا "معارج المؤمنين إلى الإحسان واليقين".

مطالبته بعودة الخلافة الإسلامية: بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في يوم الأحد ٢٦ رجب ١٣٤٢هـ الموافق ٢/ ٣/ ١٩٢٤م، إلغاء الخلافة الإسلامية دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامي، وانتخب رئيساً لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر في يوم الخميس ١٣ شعبان ١٣٤٢هـ الموافق ٢٠/ ٣/ ١٩٢٤م، وناب عن شعب مصر في حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي أنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م، في شهر ذي الحجة.

غايته: إعادة المجد الذي فقده المسلمون والذي لن يتحقق إلا بالوحدة الإسلامية الشاملة بين أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله، ودعائم هذه الوحدة هي:

١-الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها:

إن العلماء ورثة الأنبياء والراسخون في العلم من ورثة النبي ﷺ يبينون للناس سبيل الله، فهم أنفع للناس من شمس النهار، لأن الشمس تبين طرق الأرض وهم يبينون الطرق الموصلة إلى الخير الحقيقي والسعادة الدائمة.

وكم أسلم على أيديهم مشرك، واستقام عاص، واهتدى فاسق.. معرفة هؤلاء العلماء الورثة سبب لفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وتعلم ما لا يعمله الإنسان بالدراية وطول الدرس قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ ولم يقل تتعلمون منه، فلم يحصل للمتعلم جهداً، لأنه تعليم ذات لذات بلا أسباب ولا أدوات .. يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله:

خذوا من عباراتي بقدر مبانيها	وخلوا لأهل الذوق سر معانيها
ففيها من الأسرار ما ليس يكشفن	وقد خفيت أسرارها ومباديها
يذوق عباراتي مراد لحضرتي	ويشهد أسرارها فتى قد فنى فيها

وليس لساني ناطقاً بعبارتي ... ولكنها نور يفاض بباريها

فمجالستهم تجذب النفوس إلى حضرة القدوس، ومحبتهم تحبب في الله والقرب منهم تقريب إلى الله، ومتابعتهم أيسر للطاعة، وباب بلوغ المحبة الإلهية.

ولا يخلو زمان من الأزمنة، بل ولا يمضي قرن ويتجدد آخر، إلا يبعث الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وهم ورثة رسول الله وآله قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها" [أخرجه أبو داود].. ولولا ذلك لخفيت معالم الدين، واندثرت آثار أئمة الهدى.

وإنما الورثة أشبه بالمرائي، فإن المرآة الأولى التي واجهت الحقيقة المحمدية، ورسمت فيها صورته ، لا فرق بينها وبين آخر مرآة رسمت فيها تلك الصورة، ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف، وبين الإناء والإناء، لا ما فيها. الصورة لم تتغير فهي هي، وتكون المرآة بحسب زمانها، فخير مرآة تكون في خير زمان وكلها خير، ومن أنكر هذا فقد أنكر قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله في قصيدة له:

صور تجلت وهي هي لا غيرها ... زيت الزجاجة عن مثال هويتي

فأنا أنا المسموع والمنظور بل ... أنا ظاهر نزه تذق أحديتي

وأنا المشاهد والمشاهد أولاً ... بل آخراً لاحت شموس حقيقتي

وما يعتري بعض المنكرين لهذا السر، فهو من طريق قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق: ١٥]، والمجدد المرآة لا النور، والإناء لا ما فيه، فإن الإنسان – من حيث هو إنسان – مؤهل أن ينال من الله الخير والفضل العظيم الذي ناله الأطهار من أوليائه، والأخيار من الصديقين.

وما من زمان إلا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف، وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران، ولما كانت تلك الأحداث والشئون لابد وأن ينظر

إليها بعين الشريعة ليثبت حكمها من حيث الحرام والندب والكراهية والوجوب والمنع، كان لابد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله لنفسه.

والورثة أنواع:

١- ورثة الأقوال: وهم حملة الشريعة الأمناء الممنوحون الفهم.

٢- ورثة الأعمال: وهم العمال الورعون.

٣- ورثة الأحوال: وهم أصل المواجيد الروحانية الصادقة الذين يعيشون بيننا بأبدانهم وأرواحهم في الملأ الأعلى.

٤- الوارث الفرد الجامع: وهو فرد واحد على رأس كل مائة سنة – كما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه واله وسلم – ورث الأقوال والأعمال والأحوال وراثة كاملة ومُخ الزيادة.

٣- الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله:

اهتم الإمام بقضايا المسلمين وقام بدعم ثوراتهم في مختلف بلدان العالم الإسلامي ضد المستعمرين. وقد عاصر الإمام الاحتلال البريطاني لمصر والسودان وكان دوره فعال في محاربة الاستعمار ومقاومة الفساد، وكان على اتصال دائم بالزعيم مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش رغم وجوده في السودان. كذلك كان الإمام يلتقي بالمفكرين والأدباء والقادة والزعماء السياسيين ومن بينهم سعد زغلول ومحمد محمود وعبد العزيز فهمي وإسماعيل صدقي وعلى ماهر ومحمود فهمي النقراشي والغرابلي وغيرهم من رجالات ١٩١٩ وقادة الأحزاب السياسية كصدقي باشا ومصطفى النحاس باشا.. وكان رضي الله عنه يعتبر السياسة الحقة قوة للإسلام وخادمة له ما دامت مآخذها من أحكامه بحسب استنباط أهل التقوى القائمين لله بالحجة.

٣-الإسلام نسب يجمع المسلمين جميعهم:

دعوته: أسس جماعة آل العزائم عام ١٣١١هـ الموافق ١٨٤٣م والطريقة العزمية عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٤م ومقرها ٤ شارع الشيخ حمزة من ش بورسعيد بالسيدة زينب بالقاهرة وشيخها القائم السيد/ علاء الدين ماضي أبو العزائم ورئيس الإتحاد العالمي للطرق الصوفية.

مؤلفاته: تزخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته في التفسير، والتوحيد، والفقه، والحديث، وعلم الكلام، والتصوف، والفتاوي، والسيرة، والمواجيد وقصائد المدائح النبوية ومدائح أهل بيت سيدنا رسول الله ، والأدعية والاستغاثات، والصلوات على سيد الكائنات، والمناسبات الإسلامية، والرد على المستشرقين، والمسرحيات الإسلامية، والقصة القصيرة، وفيها يجب أن يعرفه المسلم من دينه الإسلامي وعدد من المجلات الإسلامية، وموضوعات أخرى[1].

أشهر فتاواه: سنة ١٩٢٥م.. بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧م بإنشاء وطن لليهود في فلسطين وكان بعنوان: (حكم الدين في بيع أرض فلسطين) حيث أفتى بأن من باع شبراً من أرضه لليهود أو توسط في بيعها خرج من الإسلام، ويفرق بينه وبين زوجته ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

انتقاله: انتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦هـ لموافق ٣/ ١٠/ ١٩٣٧م، ودفن بمسجده شارع مجلس الشعب القاهرة.

---

(١) يراجع كتاب (الإمام أبو العزائم – سيرة تنبي عن سريرة) للشيخ قنديل عبد الهادي – للناشر دار الكتاب الصوفي.

الإسراء والمعراج

ويستلفت نظري التاريخ الذي ولد وتوفى فيه الإمام أبو العزائم وهو يوم الاثنين ٢٧ رجب من عامي ١٢٨٦هـالموافق ٢/ ١١/ ١٨٦٩م (المولد) ويوم الاثنين ٢٧ رجب من عام ١٣٥٦ه الموافق ٣/ ١٠/ ١٩٣٧م (الوفاة). هذا التاريخ يوافق إسراء ومعراج النبي ﷺ. وقد تحدث الإمام أبو العزائم في نثرياته ومنظوماته عن الإسراء والمعراج كاشفاً أسراره ومرافي النبي فيه ومعاني ما جاء في كتاب الله في سورة النجم، وسورة الضحى ووضع في ذلك كتابه (السراج الوهاج في الإسراء والمعراج) وغيره من القصائد والمواجيد، فيما يلي نماذجاً مما كان يقوله كأمثلة فقط وليست على سبيل الحصر لأن مواجيد الإمام في هذا الخصوص كلها عالية القدر والمعنى ومرتبة النظم والمبنى وقد وقفت أمامها كلها حيراناً أيها أختار لأذكره هنا والأمر يقتضي الرجوع إليها في ديوان ضياء القلوب ليتذوق القارئ من عبير شذاها وحقائق معناها وجمال مشاهدها وأسرار مكاشفاتها ما يتذوقه على قدره أو يحتسيه من مورده حسب فهمه.

ويكشف لنا الإمام أبو العزائم كل هذه المعاني بقوله:

فأسمعولي في حال خوفي ورهبي
فكلامي خمر لأهل المعية[1]

ويقول ﷺ :

فبشرى بمعراج الحبيب وإسراه
وبشرى لنا نلنا مشاهد معناه
حبيبٌ دعاه الله للقرب و اللقا

[1] في قصيدة مطلعها : كن أضاءت لشمسها الواحدية عن معان تقدست أزلية

ومنـه دنـا لطفـا ثـمَّ حيَّـاه

وناداه يـا محبـوب ذاتي ونورهـا
تـنعم بنور الوجـه إني أنـا الله

عليك لقـد صلّيت بالـذات منَّة
وأوليتك الرؤيـا ومـا ترضـاه

و جمَّلـت بـالأنوار ملكـي تكرمـا
بمسراك حتى لاح نور سناه

من البيت للقـدس المطهَّر للسما
إلى العرش من عال إلى أعـلاه

إلى الرفـرف الأعـلى إلى النـور
إلى حـضرة التنزيه من مجـلاه

إلى الحظوة الكبرى إلى الجلوة التي
تعالـت عـن التعبـير جـلّ الله

إلى قـاب قوسين التـداني وفوقهـا
إلى حيـث أو أدنـى فواجـه

رأى الآيـة الكـبرى بغيب جمالهـا
ومـولاه بعـد شـهوده ناجـاه

رضـاك رضـائي يـا حبيبي محبتي
لمـن يقتـدي بـالفرد أو والاه

وفي والضحى لـك مـا تشـا فـيض
ومـن يتبـع يعـط جميـع منـاه

فـودا أيـا سر الوجـود لعاشـق
بـه يتهنـى بالـذي يهـواه

وبالوجـه واجهني حبيبي لعلني
أرى المشهد الأعـلى بـروض

وأنـت هـواه سـيدي ومـراده

وأنت مُنى قلبي وغاية جدواه

عليك صلاة الله يا سيدا سما

صلاة بها تُعطي الذي تهواه

وعنه رضي الله عنه حول: غوامض أسرار الإسراء

تخليت عن سور العناصر والمبنى ... فواجهني الوجه الجميل به أفنى

فنيت فناء فيه لاحت حقيقتي ... لروحي فكنت الغيب في حضرة الحسنى

فغبت عن الأسوار في حضرة الخفا ... أنا الكنز طلسمي هو الوصف في الأدنى

تجلت لي الأسما شهودا مؤيداً ... بعلم لدني به الصب قد يهنا

وفي حضرتي بدئي وختمي أبيح لي ... بيان غيوب في التفرد لا استثنا

غشتني أسرار بها شمت رتبتي ... أنا العبد للتعريف شاهدتني مثنى

فألبسني منه العبودة أفردت ... وجودي وبالأسما تظللت في المبنى

أضاءت بناسوتي زجاجة هيكلي ... وعم ضياء الزيت قلبا به يفنى

سمعت فغنت نفخة القدس لحنها ... فصرت لأسرار البها عندها معنى

لأني مشكاة لمعنى جماله ... وكوكبه الدري ياعاذلي دعنا

وكيف وإسراء الحبيب إشارة ... بها الواجد الفاني إذا ذكرت جنا؟!

من البيت فرد الذات أسرى به إلى ... حظائر قدس عندها الفرد قد حنا

غوامض أسرار تباح لمجتبى ... من الأزل المرمور تجذب لا غينا

يرى العين نزه فهو جل هو الذي ... دعاه فأدناه تجلى ولا لونا

وقد بين القرآن إسراءه الذي ... بسبحان أجلاه لنا ومحا البينا

فيا هيكلي نزه ويا روح شبهي ... فسدرته غشيت وسترت الكونا

فمجلاه جل الله فوق عقولنا ... وإسراه فوق العقل والروح والمعنى

وفي سورة الإسراء في النجم والضحى ... غوامض أسرار بها يرفع الأدنى

فسلم تعلم من (لدن) سر قربه ... فللقرب أفراد محا عنهمو الدينا

بــه تحملــوا عبــء الأمانــة أولاً ... بـه شـهدوا الغيـب المصون وقـد منـا

أيا من منحت الفضل بالفضل هب لنا ... رضـاك وجناتـك واهـد بنـا الجنـا

كما يقول رضي الله عنه :

رمز الدنو والتدلي

شعاع نـور (دنـا) مـشاهد إحـسان ... ونـور (تـدلى) مـشهد الإيقـان

وفي غيـب إسراء الحبيـب حقـائق ... وقـد حققـت بـالآي في القـرآن

وأنـوار معـراج الحبيـب بـه اختفـت ... مبـان معـان للفتـى الروحـاني

لقـد أفـرد الـرحمن ذات محمـد ... بـأسراره لم تعـط للإنـسان

مشاهد (أو أدنـى) عـن الـروح سترت ... وفي غيـب (إذ يغـشى) تنـزل ديـان

طهـور عـلى الأرواح دارت فأسكرت ... أولي العـزم مـن بـدء فخـل بيـاني

ومـاذا بيـاني والعقـول عميـة ... ولا كيـف بـل لا كـم في الأكـوان؟!

مـراد لـذات الله قـد خـصه بـما ... تفـرد فيـه في المحـاد تـدان

لقـد بـين القـرآن بعـض مقامـه ... لمـن جملـوا بـالروح والريحـان

ومـن أشـهد الأعلـين فيـك غوامـضا ... بليلـة إسراء وفـضل حنـان؟!

(لـدن) أنـت يـا خـير النبيـين منـزلا ... ومعراجـك العـالي لكـشف عيـان

بـك الله قـد أسرى ليظهـر غيبـه ... لعـالين والأعلـين تحقيـق إيـماني

ولم يـك رب العـرش فـوق سـمائه ... تنـزه عـن كيـف وعـن برهـان

وحكمـة إسراء الحبيـب إغاثـة ... لعالمـه الأعـلى ورحمـة حنـان

ولم يتنقـل خـير النبيـين راقيـا ... إلى الله نـزه حـضرة الـرحمن

ولكـن لإظهـار الجـمال لأهلـه ... مـن العـالم الأعـلى لنيـل أمـان

بـك الله أسرى كـي يـرى العـالم العـلي ... جمـالاً مـصوناً جـل عـن إمكـان

وفي ليلـة الإسراء يـا خـير مرسـل ... تعـودت منـك الفـضل بالإحـسان

بجاهـك أرجـو أن أشـاهد سـاطعاً ... ومـن نـور (أو أدنـى) بحجـة تبيـان

وواســـع إحـــسان وعفـــوا وقربـــة	بهـــا ســـيدي أحيـــا بـــروض جنـــان
وفـضلك في الـــدنيا ورضـــواتك العـــلي	جـــوار حبيبـــي مقعـــد الرضـــوان
وواســـع نعمـــي في مزيـــد ووســـعة	لعبـــدك والأولاد خـــير تهـــان
وتوفيقـــك اللهـــم جلبـــة غـــافر	وخطفـــة حنـــان كـــريم ومنـــان
عنايتـــك اللهـــم جـــدد بهـــا الـــصفا	تواليـــه حتـــى تـــشهد العينـــان
شـــفا منـــك يـــا شـــاف لقلبـــي وقـــالبي	أعنـــي بإحـــسان عـــلى الـــشكران

إن العروج في السماوات لا يعني أبداً إن صاحبه سيصل إلى الله لأنه سبحانه وتعالى موجود في (الهنا) وفي (الهناك) لا يحده المكان كما لا يحده الزمان وكما لا يحده أي بُعد من الأبعاد قد يكون، نعرفه أو لا نعرفه، إن (المكان) الحقيقي مقدار متغير يدل على وضع جسم بالنسبة لآخر. ولأن الأجسام متحركة فالمكان يصبح مرتبطاً بالزمان بالضرورة وينتج عن ذلك أنه في تحديد وضع أي جسم يلزم أن يقال أنه موجود في المكان كذا في الوقت كذا لأنه في حالة حركة دائمة. فلا يوجد مكان مطلق إنما هو متغير ونسبي ولا يمكن إيجاد تقدير مطلق لوضع أي جسم في (المكان) وإنما يقدر له وضعه بالنسبة إلى متغير بجواره والله تعالى يغير ولا يتغير. ومن هنا يقول الإمام أبو العزائم:-

ولم يك رب العرش فوق سمائه

تنزه عن كيف وعن برهان

وحكمة إسراء الحبيب إغاثه

لعالمه الأعلى ورحمة حنان

ولم ينتقل حيز النبيين راقياً

إلى الله نزه حضرة الرحمن

ولكن لإظهار الجمال لأهله

من العالم الأعلى لنيل أمان

بك الله أسرى كي يرى العالم العلي
جمالا مصونا جلّ عن إمكان

إن أبا العزائم يقول لنا إن المعراج ليس انتقالاً أو ارتقاءً في السماوات المادية بهدف الوصول إل الله سبحانه وتعالى لأن الله تعالى ليس في المكان المعين أو المحدد في السماوات حتى يصل إليه أحد عنده أو فيه ولكنه موجود بلا تحديد ولا تقييد ولا تخصيص ولا تحييز ولا حلول ولا احتواء ولا توصيف ولا تصور ولا توهم ولا تخيل ولا تجسيم ولا تشبيه.. إلخ وإنما بوسعة الوجود المحيط بكل أسمائه الحسنى وصفاته العلى، لا ندركه وإنما نؤمن به ونوقن بعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

إن المعراج الذي أفاض أبو العزائم في بيان مشاهده وحقائقه ومقاماته وأسراره بياناً روحياً شفافاً وشافياً في مواجيده النظمية ومعارفه النثرية، قد أعتبره الإمام بحق فوق مدارك عقولنا بمستوى علوم ومعلومات العصر، ومشاهده في واقعه فوق ما نعرف في بيئتنا في الطبيعة المادية وإنما هو في بيئته وواقعه تتجلى فيه حضرة الأسماء الحسنى بأنوارها وطاقاتها غير المحدودة أو المعروفة، يحوطها السلام وتغشاها الأنوار فيما بينه الإمام أبو العزائم من مقام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ ومستوى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ ﴾ وحقيقة ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ ﴾ وواقع ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ ﴾.

يقول أبو العزائم:

لقد أفرد الرحمن ذات محمد ... بأسراره لم تعط لإنسان
طهور على الأرواح دارت فأسكرت ... أولي العزم من بدء فخل بياني
وما في بياني والعقول عمية ... ولا كيف بل لا كم في الأكوان

ويقول رضي الله عنه:-

وقـد بـين القـرآن إسراءه الـذي ... بـسبحان أجـلاه لنـا ومحـا البـين

فيـا هيكلي نـزه ويـا روحـي شـبهي ... فـسدرته غـشيت وسـترت الكـون

فمجـلاه جـل الله فـوق عقولنـا ... وإسراه فـوق العقـل والـروح والمعنـى

وفي سورة الإسراء في النجم والضحى ... غـوامض أسرار بهـا يرفـع الأدنـى

وقـد بـين القـرآن إسراءه الـذي ... بـسبحان أجـلاه لنـا ومحـا البـين

وحضرة النبي ﷺ في المعراج كما يقول أبو العزائم:

قد جاوز العقل والمعقول منزلة ... وكـل آياتـه حـال الملاطفـة

رأى التجلي رأي الأسماء ظاهرة ... رأى المعـاني بغيـب في المقابلـة

وبالنسبة للدنو والتدلي فإن التغير في الحالة أو المستوى أو المقام يتصل بحضرة رسول الله ﷺ لأنه المتحرك بجسمه وروحه والمتعرج والمترقي في مستويات القرب من الله تعالى. ولكن قرب النبي من ربه كما جاء في الآية ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾يعني في نفس الوقت قرب الرب تعالى من نبيه لأن الحديث القدسي يقول لنا أن تقرب العبد من ربه يقابله تقرب من الرب للعبد وربما بمستوى أكبر° ولذلك يقول الإمام أبو العزائم في قصيدة له:

يـا حبيبـي يـا مـن دنـا فتـدلى ... ورأى الحـق في عـليِّ المقـام

وفي قصيدة أخرى يقول:-

حبيـب دعـاه الله للقـرب واللقـا ... ومنـه دنـا لطفـا ثـم حيـاه

ونـاداه يـا محبـوب ذاتي ونورهـا ... تـنعم بنـور الوجـه إنـى أنـا الله

أي أن القرب والدنو والتدلي متبادل ولكن في تنزيه لله تعالى كما ينبغي لحضرة ذاته وبعروج وترقي وعلو للنبي ﷺ في مقامه ومستواه من القرب والدنو

والتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى. وهنا يقول الإمام أبو العزائم عن معراج رسول الله في مشهد روحاني:-

ثم ارتقيت على المعراج في حلل	من الجمال تحلت بالمناسبة
والروح أمك يا مولاي مفتتاح	أبواب كل سماء للمنافسة
حتى رفعت إلى العرش العظيم	حظائر القدس في نور المعاينة
وأشرق النور من غيب البطون	سر الظهور بلا قيد الملاءمة
تأله الفرد للكشف الصريح ولا	تفي العبارة عن سر المنازلة
كان الخطاب سلاما والسلام له	فضلاً تدلى بأنوار موالية
دنا المراد لقابي قوس منزلة	ثم انمحى البين أو أدنى مشافهة
صلى الإله وفرد الذات في وله	مؤلها راغبا حق المواجهة
تمايلت ذاته والروح قد ألهت	لله حتى دعاه للمكالمة
قد جاوز العقل والمعقول منزلة	وكل آياته حال الملاطفة
رأى التجلي رأى الأسماء	رأى المعاني بغيب في المقابلة
يا رب صل على نور القلوب	أسرى به الله ليلا للمؤانسة

الإنسان

لقد خلق الله الإنسان من سلالة من طين الأرض، عناصرهما متماثلة ثم جعل نسله من نطفة من مني تستقر في قرار مكين، وطوره موجهاً بقدرته سبحانه وتعالى، فسواه وعدله في أي صورة ما شاء ركبه، ونفخ في هذا الإنسان من روحه وهي قبس من نوره، وطاقة من قدرته، صار بها خلقاً آخر متفرداً ومتميزاً عن سائر المخلوقات والحيوانات، حياً مريداً قادراً عاقلاً عالماً سامعاً

مبصراً ومتكلماً، له إرادة حرة على القول والفعل، فيخطئ ويصيب، ظلوم لنفسه بما حمل من العقل وأمانة التكليف، جهولاً بعواقب هذه الأمانة وما يتبعها من التكاليف والمسؤولية عن الأقوال والأعمال التي من أجلها يحاسب في الآخرة بالثواب والعقاب في الجنة أو النار.

وخلال رحلة الوجود الإنساني في الأرض أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل لهداية الإنسان إلى طريق الحق والعدل، والإيمان والتقوى والعمل الصالح، بالتوحيد والتنزيه لكمال الله، بإسلام وتسليم هو جوهر هذه الرسالات وجوهر الدين كله حيث أكمل الله الدين وأتم نعمته على الخلق وعلى الإنسان بخاتم الرسالات وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ والقرآن الكريم الذي أوحاه الله إليه معبراً عن كلمته الآخرة للإنسانية جمعاء، تبين آيات الحق والحقيقة في عالمي الشهادة والغيب، ما ظهر منها للإنسان وغير الإنسان وما خفي منها على الإنسان وغير الإنسان في المنظور وغير المنظور، والمعلوم وغير المعلوم في عالم تحكمه الأبعاد في طبيعته، ويعلو ويرتقي في حقيقته المطلقة عن الأبعاد، يعلو فيه الإنسان نحو المطلق والحق فيه ليرى الحقائق كما هي عليه في حقيقة الأمر وإطلاقه فوق الإدراك الحسي الذي لا يرى حقائق الوجود كما هي عليه، وإنما كما يصورها له مخه وجهازه العصبي، يترجم به الموجات والذبذبات والاهتزازات في الطبيعة إلى صور وأشكال وألوان لا تمثل حقيقتها في الإطلاق ولا ماهيتها أو كنهها وهي التي ترجع في أصلها إلى النور الأولى وهو طاقة أو قدرة إلهية.

يقول أبو العزائم:

ترنمت في صفوي مشيراً لأطواري ... وفي حال صفوي يجلو خلع عزاري

ترنمت والوجه الجميل مواجهي ... وقد عدت للبدء المشير لأطواري

تجلت لمرآتي حقيقتي التي ... بها كنت أزلاً في مشاهد أسراري

لدي كنت من لا شيء بدء تطوري ... ومن طينة الصلصال والفخاري

إلى سور تجريدي ورسم تحيزي ... وشمس البها قد حجبت أسواري

تراءى لي الغيب المصون بسدرتي ... فغشيت معالمها بساطع أنواري

فكان ظهوري هيكل الرب جلت ... معالمه بحقيقة التذكاري

وكان بطوني نفخة القدس أشرقت ... ضياءًا علياً منبئاً بفخاري

بدالي بعودي سر بدئي ونشأتي ... فكنت له مثلاً لدي صبوة ساري

ضياءاً بآفاق الوجود مشاهداً ... لأرواح أهل الصدق والأبرار

إلى العود في كون الفناء تنزلي ... إلى البدء في كون البقاء أسفاري

فلا العود في كون الفناء يشوب ما ... به أنا نور صورة الغفار

ولي في شهود الحضرتين تجردٌ ... به أنا في التغريد سر الباري

ولي في إتحاد النشأتين مشارب ... لديها وقوف الروح عن مقداري

لدي سدرتي وقفت نفوس تطهرت ... لديها انتهت عن منتهى الأقدار

وكيف وقد غُشِيَتْ بنور جلاله ... تلوح لغير الصفوة الأخيار

فظاهرها زيت أضاء لمن صفا ... وباطنها غيب عن النظار

ترنمت في حال الحادي ونشوتي ... بشمس الهدى وحقيقة المختار

وقد أشرقت للروح في العود ... بسر اجتلاها حيطتي ودثاري

ترا أيتها في حال تغريد رتبتي ... فصح بها جمعي بلا قيد أسواري

على الكوكب الدري في العود صح لي ... شهود أنمحي سوري وإشراق

فكنت بلا كون لعودي لمبدئي ... وعودي حجب السور والآثار

فلا آلاي تبدو لي لأنه مواجه ... وصعقي دك الطين والأحجار

إلى الأصل من لا شيء عدت ونشوتي ... به كان عودي لا بكدح وإيثار

من الأزل المعلوم للأبد الذي ... تعين يلم تحجب شموسي وأقماري

ولا طينتي في رتبة الكون بل ولا ... منازل تحقيقي ولا رسم أدواري

فـلي أعـين أرأى بهـا في تطـوري ويـالعين عـين الحـق أشـهد أسراري

فطـوراً تلـوح الآي والكـون حيطتـي وطـوراً بـه أحظـى بخلـع عـذاري

أغيـب بـه عنـي وعـن كـل كـائن وعنـه إشـاراتي بـه وفخـاري

أشـير إليـه بـل وعنـه بـه لـه وسرى غيـب عـن عقـول وأبـصار

ولـولا رعايـات الـشئون لأسـفرت حقيقـة بـدئي للمـشوق الـساري

ولكـن إشـاراتي لأهـل الوفـا صـفا بهـا الـنفس تزكـو عـن هـوى الآثـار

حنـان وعطـف للنفـوس ورحمـة وأسرار مـيراث وأنـوار مختـار

وحـالي مـن فـوق الإشـارات كلهـا عـلى عـن الإدراك بالأفكـار

وفي "للبـنا" حـر قـدس مطهـر لمـن منحـوا التقريـب بالإيثـار

صـلاة عـلى نـور العـوالم كلهـا وقـدوة أمـلاك ورسـل وأخيـار

******

هيمان الإمام

كما كان يقول رضي الله عنه:-

اهيم وفي الهيمان تخفي معـالمي وتحجبنـي الأنـوار عـن سـور عـالمي

شهودي لدى الهيمان غيب مقدس أشـاهد غيـب الغيـب أرحـم راحـم

فلا الملك والملكوت يبدو لناظري لأني سر البـدء مـاضي العـزائم

هذه حالة من حالات أبي العزائم الروحية لا تحجبه فيها قيود مادة هيكله أو كونه في إدراكه الحسي ويكون شهوده في هذه الحالة من خلال وجوده في مستوى الإدراك فوق الحسي أو الإدراك الحسي الزائد المعروف علمياً بأنه:- (EXTRA SENSORY PERCEPTION) يشهد حقيقة رسول الله في سراجيته المنيرة، غيب الغيب وأرحم راحم وهو ﷺ الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ورحمة الله

للعالمين. وهذا المقام هو مقام أبي العزائم في التوحيد وفقه شهادة التوحيد وكما سننقله عنه فيما بعد.

وكلها أسرار الحقيقة المحمدية النورية التي تحدث عنها كبار الأئمة الصوفية السابقين وتحدث عنها الإمام أبو العزائم كاشفاً أسرارها ومُعلنا حقائقها وذاكراً جديداً فيما لم يقله السابقون وذلك في المنظوم من مواجيده وفي المنثور من كلامه وكلاهما منشور في تراثه. فهو رضي الله عنه يعتبر الحقيقة المحمدية وهي حقيقة رسول الله في سراجيته المنيرة هي (سر البدء) أو (ألف البداية) أو (العقل الأول) الذي أضاء بنور أوليته عوالم الأرواح النورانية، أو (رمز الألوهية) الظاهر به عنه في مقام كان الله ولا شيء معه كما حدث النبي نفسه صلوات الله عليه وسلامه. وقد ذكر أبو العزائم هذه المقامات للنبي في الفتوحات الأربعة الأولى من الصلوات وورت كلها في كتاب (نيل الخيرات بملازمة الصلوات) وفي الأبيات المنظومة التي قالها أبو العزائم – وذكرناها سابقاً – فإنه مثلاً كان يقول في مقامه في (الجمع والاتحاد) في الوصل والفناء (لأني سر البدء ماض العزائم) ولكنه في مقامه في (الفرق والبقاء) في الفصل والبقاء يثبت (الاثنينية) المستقلة له ولرسول الله ﷺ في سر حقيقة (بدء الخلق) أو الأولية النورية لحقيقة الرسول النورية التي تحدث عنها كثيراً وباستفاضة في مواجيده وفتوحات صلواته على سيد الخلق والتي سقنا نماذجاً منها.

وهذه المواجيد التي كان يمليها أو يلقيها الإمام أبو العزائم تتميز عن أشعار وقصائد ومكتوبات أئمة الصوفية الكبار الذين سبقوه من أمثال محي الدين بن عربي (ترجمان الأشواق) وعبد القادر الجيلاني وعبد الكريم الجيلي وأحمد الرفاعي وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي وعبد الرحيم القنائي وابن عطاء الله السكندري وعمر بن الفارض وجلال الدين الرومي.. وكثيرون غيرهم من الذين ذاقوا المقامات العالية

وتدرجوا فيها وعبرها. وأعتقد أن الدكتور مصطفى محمود عليه رحمة الله كان غير دقيق عندما ذكر في كتابه (السر الأعظم) أن الشيخ أبن عربي الصوفي يعتبر أستاذ مدرسة الإنسان الكامل والنور المحمدي حيث يمضي فيها إلى عمق أبعد من الباقين، كما أعتقد أن رأيه هذا يرجع إلى عدم تعمق الدكتور في دراسة تراث الإمام أبي العزائم كله كاملاً في هذه الجزئية أو في غيرها من الموضوعات، الدراسة المحيطة الشاملة بما تتضمنه من رؤى الإمام أبو العزائم في التوحيد ومقاماته ومشاهداته ومكاشفاته وأسراره وحقائقه، ومقامات حضرة رسول الله التي تحدث عنها أبو العزائم في مواجيده وكتاباته وفتوحات صلواته على الرسول وما تحتويه من رؤى ومكاشفات ومشاهد وحقائق عميقة وجديدة، لم يسبقه إليها أحد ووردت كلها في كتبه:-

- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
- أكمل الصلوات على سيد الكائنات.
- الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية.

يمكن الرجوع إليها لتتبين حقيقة ما أقوله إلى جانب ما تضمنته هذه الصلوات من أدعية وابتهالات ومناجاة.

إن مواجيد أبي العزائم تكشف عن أسرار بعبارات وإشارات ورموز لمشاهد كشفها وتنبي عن مقامات له فيها مُدام قل من ذاقه بنفس قدره أحد ممن سبقوه في مقاماتهم، وفي ذلك يقول رضي الله عنه:

بالفضل حقا قد عرفت مقامي ... فرد الوجود وإمام كل إمام
السابقون الأولون جميعهم ... خلعوا العذار ولم يرقوا لمقامي
ولو أنهم في عصركم يا أحبتي ... لأتوا ببذل طالبين مدامي

ولمن لم يتبحر في تراث أبي العزائم النظمي والنثري، ولمن لم يعرف ولم يفهم ولم يعترف ولم يتذوق ولم يتواصل ولم يقترب ولم يتجلى ولم يحب، أنقل أمثلة

فقط أخترتها مما كان يحدث به الإمام أبو العزائم ليكون كل مؤمن ومتواصل وعلى صلة بحضرة رسول الله ﷺ بالحب لحضرته والاتباع لسنته والتقدير لمقامه والاحترام لذاته في مبناه ومعناه أي بشريته وسراجيته المنيرة:-

يقول أبو العزائم:

ذق سرنا وتحلى من معالينا — وسلم الحال كي تدري معانينا
فإننا قد شربنا الراح صافية — من غير مزج وما دامت توالينا
في حضرة قدست لا العقل يدركها — وسيد الرسل بالإحسان يسقينا
حتى سكرنا وبحنا عن حقيقتنا — والسر يخفى على من لم يوافينا

ويقول عن « نور الكنز العلي »:

نور من الكنز العلي بدا لي — فشهدت منه حقيقتي وجمالي
تسعون بحرا قد جرت في باطني — ما غيبتني عن مظاهر حالي
وأنا بها الظمآن مروي ولم — أروى بغير المشهد المتعالي
كل البحار شربتها وحشاشتي — لم ترتوي إلا بمحو ظلالي
فلمن أبث السر والحال قهر — ولمن أبح بالوجد يا أبدالي
أنا خائف من كشف سري بينكم — يأهل ودي خشية العذال
لا تكتمو عني الحديث وإنما — غنوا معني إن بحت بالأحوال

ويقول رضي الله عنه :

أواه لولا العهد أني أكتمُ — للكشف عن حالي الذي لا يفهم
أواه لولا غيبتي عني به — لكشفت سرا فيكمو لا يعلم
أواه لولا أنهم خطروا على — قلبي لجئت لكم بذاك أترجم
أواه لولا أنني أنا خائف — ممن به ظهر الجلال الأعظم
لفتحت رمز الغيب بعد خفائه — وجعلتكم دررا بسلكي ينظم

ويقول لمن فقه مقاله[1]:

أخاف عليكم إن تجملت بالحال ... لأني أراكم تفقهون مقالي
ولي رحمة فيكم وحب لأنني ... أدلكمو للواحد المتعالي
وأخشى عليكم أن يلوح عليكمو ... جمال حبيبي عند فك عقالي
وها أنا مقهور ولولا تنزلي ... للاح لكم نور بغير مثال
أسير بكم سير الرفيق ملاحظاً ... تمكنكم في القول والأحوال
وهذا سبيل المصطفى ومُدامه ... أديرت لنيل القرب حال وصال
على ذاته صلوا جميعاً وسلموا ... صلاة بها الزلفى وحال مآل

هذا وفي الفتح السابع[2] من الصلوات على رسول الله ﷺ والذي جاء في كتاب (الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية) يقول الإمام:

الفتح السابع من الصلوات

اللهم صل وسلم على نور أحدية الذات، المطلسم بطلاسم غيوب التنزيه والتقديس، والمعاني النورانية التي تجلت بأنواع كمالاتها الإحسانية، فانبلج صبح الأسرار بجوهره النفيس، قبضة مجلى حضرة الكنز من عماء الرمز، وسر سريان الجمال المطلق في كل مراتبه الأسمائية، والجلال الأعظم في كل عوالمه الصفاتية، الظاهر من وجهة باطنه، والباطن من حيث ظاهره.

اللهم صل وسلم وبارك على الأفق المبين، الذي أشرقت فيه وبه وله شموس الجمال، وبزغت بدور الاستدلال، عرش محيط حضرات الآيات الجلية، وكنز درر الغيوب الخفية.

اللهم صل وسلم على الجامع لكل الحقائق، وبما انطوت عليه من فيض الرقائق اللاهوتية، شجرة زيتونة التنزيه، وزيت زجاجة التشبيه.

(١) ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.
(٢) اخترت هذا الفتح والذي يليه، السادس والثلاثين، كأمثلة فقط من أكثر من ثمانين فتحا من الصلوات جاءت في كتب الإمام الثلاثة التي ذكرتها من قبل.

اللهم صل وسلم على قبضة المجلى الأحدى، وعين حقيقة التجلي الواحدي، مفيض أنوار معانيه، وأسرار مبانيه، على كل الأرواح والأشباح.

اللهم صل وسلم على الروح الكلي المتشعشع عنه إقرار جميع الأرواح الجزئية، والهيكل الحقي المفيض لبدر الهياكل الخلقية.

اللهم صل وسلم وبارك على الجامع بين كمالات المشكاة الحقي، وجمال المظهر الخلقي.

اللهم صل وسلم على الذات الواحدية، المكملة بالكمالات الأحدية، المنبعث من ضياء شموس معاني الهوية، وحوض سلسبيل بيان علوم الربوبية، من دنا إلى قاب قوسين، كمال العبودية، وتدلى بمحو الغيرية والاثنينية.

اللهم صل وسلم وبارك على شمسك المضيئة لكل الشموس، وغيثك المفاض من عيون ألطافك لتزكية النفوس.

اللهم صل وسلم وبارك على لوح محفوظ أسرارك الذاتية، وقلم تسطير آياتك القرآنية، وكوثر شرابك الطهور، ورفرف سبحات وجهك العظيم الأعظم.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد نور الحقائق، صلاة بها تشرق علينا من سماء رفعته شمس الأسرار، وتزول بها عنا حجب الأغيار، ونتملى بها بشهود وجهه الكريم، ونشرب بها من حوض اتباع شرعه الشريف. صلاة تحفظنا بها في قولنا وعملنا وحالنا من المخالفة لحضرته المحمدية، وتحصننا بها عن الميل إلى ما يؤدي إلى البدعة والتشبه بالصفات الإبليسية. صلاة تيسر بها أرزاقنا، وتشرح بها صدورنا، وتقهر بها أعداءنا، وتقضي بها حوائجنا، وتشفي بها مرضانا، وترحم بها موتانا. صلاة تفك بها من الشهوة قيودنا، ومن الغفلة وثاقنا، وتحفظنا بها من شر خلقك ومن شر الدنيا والآخرة، يا رب العالمين، يا مجيب الدعاء.

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حزب الحصن الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. يا جبار يا قهار يا منتقم يا شديد البطش يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [خمساً]. يا سلام يا حافظ يا قريب يا مجيب يا رؤوف يا حفيظ، احفظنا من أهل الشر كلهم ومن شرهم واربط على قلوبهم وألسنتهم وأبصارهم وأسماعهم، واجعلهم خاضعين لنا يا عزيز [ثلاثا].

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي الفتح السادس والثلاثين من الصلوات على رسول الله ﷺ والذي جاء في كتاب (أكمل الصلوات على سيد الكائنات) يقول الإمام أبو العزائم:-

الفتح السادس والثلاثون من الصلوات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾

لبيك اللهم ربنا وسعديك، لبيك لبيك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم يا من أوجبت الشكر على من أنعمت عليه بهاطل نعمك، وسوابغ مننك، قياماً بحقوق الشكر لذاتك، وبابا من أبواب مزيد إحسانك وفضلك، أسألك يا الله يا من أنعمت علينا بأعظم نعماك، وتفضلت علينا بأجمل مننك، نعمتك علينا بحبيبك

سيدنا محمد ﷺ، ومنتك علينا بالاتباع والاقتداء به، والتسليم لذاته ﷺ، فكانت النعمة به ﷺ لا يقدر قدرها إلا أنت سبحانك، للعجز عن حصر جمالاتها، وكانت المنة علينا بأتباعه ﷺ، والتسليم لحضرته المحمدية، أكمل منن خصصتنا بها سبحانك، وتفضلت علينا بمحبته، فكانت نعمة بعثته ﷺ، ونعمة اتباعه مننا منك لذاته المحمدية، ومنه ﷺ لنا، حتى بشرتنا سبحانك بأنك بذاتك تصلي عليه وملائكتك، كشفا لمراتبه العلية ومقاماته، وبيانا لقرب مكانته، ورفيع منزلته لدى حضرتك القدسية.

ثم كشفت لنا بالأمر ما أنعمت به على يده الشريفة ﷺ، لأن الشكر واجب للمنعم، وإنا ياذا الفضل العظيم قد هب علينا عبير مكانته، ونسيم حقيقته من روض ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

فظهر لنا العجز عن القيام بتأدية الصلوات والتسليمات والتحيات على ذاته ﷺ، إلا بقدر ما هب علينا من هذا النسيم المقدس، بقدر مشامنا لا بقدره، وعلى قدر أهليتنا لا على قدره، فنستمد من جنابك العلي أمداد المعونة، على أن تمنحنا منك يا إلهنا سر البيان، وجمال التبيان، لنقوم بما أوجبت من الصلاة والسلام على ذات حبيبك ﷺ.

اللهم فصل وسلم على قبضة النور، سر كن عن تعيين مثال البيان، نور النشأة الأولى حقيقة، وشمس الأفق المبين في النشأة الآخرة هداية، الممثل بمبناه حقيقة ما يقرب لحضرتك العلية من جمال العبودية، وكمال التمسك والتمكين، والممثل بمعناه معاني أخلاقك بدلائل أحواله، حتى صار ناطقاً عنك، مبايعاً بيدك، وصرت موجوداً عنده بمعاني المغفرة والعفو والقبول، حتى كأن أهل معيته منعمون بمعيتك، بل أنت معهم به، وهم معك به ﷺ عن إظهار مرادك المحبوب، وظهور سرك المقصود.

اللهم صل وسلم وبارك على سبحات الوجه المطلسم بطلاسم التشبيه، بحيث لو رفع منه حجاب لاحترق من واجهوا حقيقة ما كشف بسر مشاهدة التوحيد بمعاني مراتب التجديد، فكيف إذا رفعت الستائر عنه بمعاني الأول لا بابتداء الظاهر بمعانيه

وشمائله وشئونه، ذاك مشهد لولا التثبيت لظهر سر (فوق أيديهم) لمن ذاق حلاوة مشاهد التوحيد.

اللهم صل وسلم وبارك على سدرة كمالات المثل الأعلى، المغشية بمعاني صفاتك التي عجز عن إدراكها الروح الأمين، ووقف عند قدمها الأول أهل التأله من كروبيين وعالين، مصطفاك من خيرة أحبابك، ومحبوبك من صفوة أصفيائك، صلاة وسلاما تجملنا يا إلهنا بهما بحلل معيته ﷺ.

اللهم وامنحنا يا إلهنا من رضاك ما تعيذنا به من غضبك، ومن حبك ما تحفظنا به من الغفلة والنسيان والسهو. ومن الأنس بك ما تحصننا به من الآلام والفقر لشرار خلقك، والعناء والخوف من الخلق والمرض يا رب العالمين.

اللهم جمل بأحكامه صلى اله عليه وسلم مبناي، وبأسراره ﷺ معناي، وبأحواله ﷺ لطائف قلبي، وبأنواره ﷺ روحي، واجعلني يا إلهي نورا مشرقا في أفق سنته.

إلهي، إلهي إني فير عائل ذو عيال، فيسر لي يا إلهي ما لابد لي منه، وأكمل من الخبز والماء والملبس والمسكن بمزيد مع البسط والمنن.

إلهي، إلهي إني جاهل فعلمني من لدنك علما تسكن به نفسي إليك، ويطمئن به قلبي لجنابك العلي، وينشرح به صدري للقيام بما أوجبت علي، وأنشط به يا إلهي فيما تحب، وأجعله نافعا لي، نافعا لأهلي وأولادي وإخواني يا رب العالمين.

إلهي، إلهي جمل باطني بكمال اليقين، حتى لا أذل ولا أضل، ولا أشك ولا أرتاب، ولا أظلم ولا أظلم، واجعلني يا إلهي على القدم المحمدي الثابت، محفوظا من الشيطان الرجيم، ومن البدع المضلة، والأهواء المضلة، والفتن المضلة.

إلهي، إلهي تولني عند كبر سني، وضعف قوتي بأجمل مما توليتني به في طفولتي، وأجعل يا إلهي أكمل وأجمل نعمك وعطفك، وودك وعفوك، ورأفتك ورحمتك وحنانك، عند هذا الوقت حتى يدوم انشراح صدري، وأنسي وفرحي بلقائك، واقبض يا إلهي روحي بيمينك مشهدي في هذا الوقت جمال وجهك، ونعيم ما أعددت لي حتى تشتد الرغبة والفرح بلقائك، وأخرج غير خائف ولا حزن، واجذبني يا إلهي بجواذب جمالك، ولطائف إحسانك، وهو علي يا إلهي سكرات الموت، واجعل

لي يا إلهي في قبري أنسا بمشاهدة روضات جنانك العلية، وظهيراً يؤيدني عند سؤال الملكين، واحشرني يا ألهي على براق ودك، محفوظا بتحية من جنابك العلي وسلام، مجملا بحلل نورانية، تشتاق إليها الملائكة، وتفرح بها الحور والولدان، وتستنير بها الجنة، حتى أصل إلى الفردوس الأعلى، بلا سابق حساب، ومن غير أن اسمع حسيس جهنم، حتى أتمتع بما تشتهيه نفسي من نعيم النظر إلى وجهك الكريم، وبهجتي بالأنس لسماع كلامك المقدس، وفرحي بمعية سيد رسلك ﷺ.

إلهي، إلهي أمدني وأهلي وأولادي وإخواني بإمداد الفضل العظيم، حتى أكون يا إلهي وأهلي وإخواني منعمين بنعمك، شاكرين لفضلك، فرحين بفضلك ونعمتك ورحمتك، وأعطنا يا إلهنا الخير كله، واحفظنا يا إلهنا من الشر كله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكما كان يقول السيد/ عز الدين ماضي أبو العزائم عليه رحمه الله، شيخ الطريقة العزمية حفيد الإمام والخليفة الثاني "جرت مواجيد الإمام المجدد على أسلوبين مختلفين في التعبير، تارة أسلوب العبارة والتصريح الذي يرسله إرسالا مطلقاً من كل قيد من قيود الرمز أو أسلوب الإشارة والتلويح الذي يعمد فيه إلى الإغراب والإغماض ويُعول فيه على المجازات والاستعارات والكنايات وما إلى هذا كله من ألوان الرمز الذي من شأنه أن يزيد الأمر خفاءً على خفاء فلا يكاد القارئ أو السامع أن يدري ما وراء هذه الألفاظ التي ألهم بها على هذا الوجه من أوجه الإلهام ولهذا يتعين على القارئ أو السامع أن ينصرف عن ظاهر الألفاظ التي منها الإغراب والإغماض، وأن يُقبل على ما وراء هذا الظاهر من المعارف الخفية التي هي أبعد ما تكون عن عالم الحس وما فيه من المظاهر الدنيوية وأدنى ما تكون إلى عالم الروح وما يشتمل عليه من الحقائق العلية وما أفاضه الله ورسوله على أبي العزائم من المكنون

المضنون به في قصائده ومواجيده التي يعبر فيها عن (أذواقه وأحواله وأسراره وأنواره ومكابداته ومجاهداته..) انتهى. وقد كان أبو العزائم يقول لنا جميعاً:-

أفيقوا فليس الرسم الا مثاله ولا مثل للختم العلي بأسراء

وهو يعني أن سراجية محمد المنيرة ظهرت في جسم بشري أو في (مثال) هو الجسد الشريف لرسول الله ﷺ الذي ليس له (مثل أو مثيل) في حقيقة طاقته الروحية النورية كما ظهرت في الإسراء ولذلك يقول رضي الله عنه عن رسول الله :

خصصته يد العناية فردا وهو نور في صورة آدمية

وهو يعكس بذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥] النور هو رسول الله كما ذهب إليه المفسرون والكتاب هو القرآن الكريم وهو المعنى الذي يتمشى مع سياق الآيات الموجهة إلى أهل الكتاب أساساً. وقد سبق لروح القدس وهو نور أن ظهر للسيدة مريم في جسد بشري، والملائكة وهي نور ظهرت لسيدنا إبراهيم في أجساد بشرية وجبريل وهو روح ونور ظهر لسيدنا رسول الله في صورة آدمية هي صورة دعية الكلبي [1]...

أما عن شهود الوجود ووجود الشهود فيقول أبو العزائم[2]:-

(١) من وجد شهوده سعد وملك ومن شهد وجوده هلك.

(٢) متى شهدت الوجود وقفت في الحدود وإذا وجدت الشهود وصلت إلى السعود.

(٣) سلب أنيتك يوجب حسن هيئتك وشهود وجودك هو عين صدودك.

(٤) إنما يخفي عند شهودك وإثبات وجودك ويظهر عند فقدان أنيتك وإنعدام غيرتك.

---

(١) ما اخترناه من كلام السيد/ عز الدين ماضي أبو العزائم، شيخ الطريقة العزمية السابق عليه رحمة الله، جاء في فاتحة الكتاب الأول من ديوان ضياء القلوب ومؤرخة ٥ رجب ١٤١١ هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٩١م، وهو الديوان الذي أشرف على إعداده وإصداره شيخ الطريقة العزمية القائم حفيد الإمام أبي العزائم، السيد علاء الدين ماضي أبو العزائم، حفظه الله تعالى.

(٢) كما في كتابه: اصطلاحات الصوفية.

(٥) فر من شهود الوجود إلى وجود الشهود لترقي إلى رتب الصعود وإلا سُلب منك ما فيك من جمال المعبود.

أما برزخ الشهود فهو بين مقام الاتحاد ومقام الأنوار، وعن شهود القلب يقول الإمام: القلب مُوجه جهات أربعة إلى الملك والملكوت والعزة والجبروت، فبنور العقل يشهد المُلك وبنور الإيمان يشهد الملكوت وهو الآخرة، وبنور اليقين يشهد العزة وهي الصفات، وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهي الوحدانية. وأهل الشهود يثبتون الكون به سبحانه ويوحدونه فيه.

مقامات التمكين عند أبي العزائم

شهود وجودي في مقامات تمكيني … مقام على مثبت تعييني
شهود وجودي في سلوكي حجية … به وحلة التوحيد في التلوين
وجود شهودي في مقام تقربي … به حُلة الرضوان قد تعلوني
وفي القرب أفني عن وجودي ومشهدي … لأن جمال الحضرتين يقيني
وفي نور مجلاه تغيبي عن أنا … ضياء الألوهية فيه حق يقيني
لديها ولي الله أخرجني إلى … ضياء حضرة التفريد سر سكوني

وعن خفاء الوجود ومحو الشهود ومجلي واجب الوجود يقول الإمام في معنى الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾:

في (كل شيء هالك) رمز اجتلا … أوصافه والاتحاد بها مباح
أخفى وجودي في شهود الاجتلا … أخفى شهودي نور مجلاه الصراح
أخفى الوجود محا الشهود ملذ لي … في الاتحاد الحق حي على الفلاح
في المثنوية كنت محوبا أرسي … وجه الجميل وليس ثم من جناح
من بعدها عودي إلى ربي الذي … كنت الظلال بوصفه في الارتياح

وفي كتابه "أصول الوصول لمعية الرسول" يقول الإمام:

شهود الوجود بعد وجود الشهود تلوين	ومحو وجود الشهود تسليما للقرآن تمكين

لأنه رضي الله عنه كان يعتبر شريعة القرآن الكريم هي الحاكمة على الحقيقة في المشهد والشهود الروحاني، فتقرها وتعتبرها أو لا تقرها ولا تعتبرها.

إن الهيمان يكون من المحب الشديد الوجد[1] وهو هنا الإمام أبو العزائم ومحبوبه الذي هو في حبه هائم هو رسول الله ، حيث يعبر الإمام أبو العزائم في هذه الأبيات عن مشاهد لحقائق غيبية لا نعلمها ولا ندرك أبعادها لأننا لم نجربها كما لا يعلمها أو يدركها أو يحيط بها إلا من خبر وعاين وعاش مثلها وهي على كل حال تحوي إشارات ضمنية لمعاني من أحوال ومقامات من الفرق والجمع، والفصل والوصل، والفناء والبقاء والمحو والإثبات والغيب والشهود والنور والظلال وانتهاءً بالاتحاد وأصلها (الحب) الذي يولد الهيمان والنور والجذب والشوق والمعارج ويقول عنه في إحدى مواجيده:-

في الحب أفنى عن شهود ظلالي	حتى أفوز بجلوتي ووصالي
في الشوق أفنى عن وجودي فارقا	قد حير الأملاك نور جمالي
في العشق قد يُجلى الجميل ولا أنا	وهو الولي ورث منزه متعالي
في حالة الهيمان غيب غيوبه	يُجلى بلا كون ولا أمثال
فإذا تألّه فرد ذات قدست	أمسك عن الاسرار والأحوال
لم يبق إلا الله جل جلاله	يُجلى لنور كما له المتلالئ

وعن شمس مقام الاتحاد يقول أبو العزائم:-

تضئ شمس اتحادي في مناجاتي	إذا تجلى بنور الذكر مشكاتي

[1]) هكذا في قاموس "المعجم الوسيط" الذي أعده مجمع اللغة العربية ونشرته في طبعة خامسة، مكتبة الشروق الدولية.

صفا شهودي ومصباحي يضيء لمن	رأى الجميل بلا كون وحيطات
تجلى لي فأضاء الزيت ظاهره	إلى الحقيقة ينبي بالعنايات
أضاء مصباحه العالي بهيكله	نور يضيء على نور الكمالات
أخفى التجلي وأخفى الآي ظاهره	فررت مني لمجلي حضرة الذات
بدا الجميل بلا كيف ولا مثل	منزهاً لم تف عنه إشاراتي
بعين سري ضيا مجلاه يجذبني	له إليه به نزه عباراتي
تجلى لي في الفنا بجمال باطنه	فدك طوري وقد طويت سماواتي
تجلى لي في البقا بجمال ظاهره	فصرت عبداً وبيتا للكمالات
معمرا بضيا القرآن في حلل	من العواطف تنبي في النهايات
من الحظيرة من عندية سبقت	وفي (لدن) مشهدي منه مقاماتي
حلل أفيضت من المختار ظاهرها	حلل الشريعة من روض العنايات
صلاة ربي على المحبوب قدوتنا	نعطي بها الفضل من رب البريات

وعن الجمع والفرق يقول:-

رتب الصفاء لمن فهموا مبادينا	جمع ففرق فجمع الجمع يفنينا
فالجمع حضرة إطلاق تلوح بها	آي المظاهر تنبي عن مراقينا
والفرق من بعده شمس الشريعة قد	لاحت لتبدي لمن فرقوا معالينا
أسرار وجهتنا بالفرق قد وضحت	لمن تجرد إذ فهمت معانينا
من بعد ذلك جمع قد محا صورا	آي المظاهر والتحقيق يهدينا
بدء به الحق ملحوظا لمن شربوا	راح المعية من إحسان أيدينا
فيها الجمال يرى بالعين قد وهبت	من الجميل فوافتنا تهانينا
وبعد ذلك فرق الفرق فيه بدا	سر المهيمن جل الله مولينا
مقام قدس به العظموت قد ظهرت	أنواره لمراد حل نادينا
يذوق لذة تنزيه إذا سطعت	من أفق أعلى معالينا مجالينا

هـو المـراد رقـى رتـب العـلا وسـما ... إلى حظـيرة قـدس بهـا يناجينـا
فـرد ولكنهـا بالكـل قـد رجحـت ... أسراره وانجلـت فيـه معالينـا
إذا رئـي ذكـر الله العـلي لمـا ... أولاه مـن مـنن الإحـسان بارينـا
وبعـد ذلـك جمـع الجمـع منزلـة ... تخفـي فـلا يظهـرن إلا لنـا فينـا
عنهـا الملائكـة العـالون في حجـب ... لهـم مقـام تعـالى مـن تواليـنا
سـجدوا لآدم عنـد الـنفخ قـد وضحـت ... لـك الإشـارة مـن معنـى مبادينـا
مقـام قـرب بـه الوجـه العـلي يـرى ... في كـل وجهتنـا مـن ذا يبارينـا؟!
بـدا لنـا الحـق في الأفـق المبـين بـلا ... حجـب تنـزه فـافهم مـن آمالينـا

أما في حال السكر الحقيقي فيقول أبو العزائم:-

إذا مـا عـلا سـكري ولاحـت حقيقتـي ... أبـوح بـسر يـدره ذو المكانـة
وإن لاحـت الأنـوار مـن كـل وجهـة ... لكـلي بكـلي تبـدو لي شـمس وحـدة
وأشـهد بـالعين البـصيرة سر مـا ... خفـى مـن كنـوز الغيـب في كـل رتبـة
وينفـك رمـز تقيـدي وطلاسـم ... وأشرب مـن أسرار ذاتي مـدامتي
ويظهـر لي مـن بـاطني نـور ظـاهري ... وأشـهد بـالعينين سر بـدايتي
ويعلـوني الـسكر الحقيقـي عنـدما ... لعينـي يجـلى الوصـف مـن واحديـة
فـأفني لـديها عـن شـهودي ورؤيتـي ... وأمحـي بعـين العـين عنـي بغيتـي
وأفنـى فـلا تبـدو لعينـي مظـاهر ... لغرقـي ببحـر الغيـب سر الهويـة
أغيـب فـلا أدري لتركـي للـسوى ... وأحجـب عـن غـين لفـرط محبتـي
ويعلـوني الحـال المـذيب لـصورتي ... وأعطـى مـن الإحـسان ثـوب الحقيقـة
أكـن في مقـام لـو رآني بـه فتـى ... وسـلم لي يعطـي شراب الولايـة
لأني بحـال يـدره كـل ذائـق ... ويجهلـه المبعـود عـن كـل حـضرتي
وينكـره المبعـود مـن فـرط جهلـه ... وحرمانـه مـن شرب راح المحبـة
لأن شراب القـوم خـص بأهلـه ... بمحـض عطايـا المـصطفى والحنانـة

ومن لم يكن من أهله وأتى له ... يرد ويقطع بالسيوف المضية

فأهل اختصاص الحق أعطوا بفضله ... علوما بها فازوا بنيل السعادة

وخصوا من الهادي البشير برتبة ... بها دخلوا روض الهدى والنزاهة

وخصهمو المختار بالسر فارتقوا ... لأرقى مقام بل وأرفع رتبة

وقد خصني طه بإحسان فضله ... بأنهار علم من عيون الشريعة

وناولني من فيض غيث يمينه ... شراب الهنا والصفو في كل حضرتي

وتوجني منه بتاج محبة ... به أنا مخصوص بمحض الكرامة

عليه صلاة الله تترى وتنجلي ... صلاة بها أحظى بأرفع رتبة

ويقول عن إباحة الإسرار حال السكر:

شربت وقد جلي الحبيب مدامتي ... تناولتها منه به في الحظيرة

فعاينت لما أن شربت جماله ... تجلى مشيرا في معاليم صورتي

فأدركت معنى دق فيه مقدسا ... تنزه أن يحصى بأي عبارة

شهدت من الأسرار عند شرابها ... يقينا بأني واحد في الحقيقة

ولما سرى في باطني سرها انجلى ... لي الحق مرئيا بعين بصيرتي

ولما انتهى من باطني نورها إلى ... عوالم ناسوتي تحلى بحليتي

فعاينت بالعينين منها جمالها ... ومنها سمعت السر في كل حضرة

محت صورتي الأولى بأوصاف حسنها ... وصرت غريقا في بحار الهوية

ولما علا سكري جننت وصح لي ... بأن أك رمزا خافيا عن إشارتي

وترجمت عني بي لوحدة مصدري ... وأيقنت عند السكر صرفا بوحدتي

وبحت بسر يدره كل فاهم ... تناوله بالذوق من باب حضرتي

وهأنا في بحر المحبة غارق ... ولي فيه أسرار تثبت حالتي

فمن رام أن يحظى بمرأى جمالها ... أناوله منها رحيق المحبة

فقد عاينت عيني وكل جوارحي ... جمالا به قد صرت باب المحبة

وصـــار لـــ(مـــاضي) في حماهـــا منـــازل | بإحـــسان طـــه بـــل ومحـــض المـــبرة
أفـــاض علينـــا ســـيد الرســـل فـــضله | يقينـــا وعاملنـــا بعـــين العنايـــة
وناولنـــا راح اليقـــين فأشرقـــت | بـــه شـــمس تحقيقـــي وبـــدر شريعتـــي
وهانـــا في أنـــواره ســـابح ولي | بـــه في مقـــام الحـــب أرفـــع رتبـــة
عليـــه مـــن الله المهـــيمن دائـــما | صـــلاة بهـــا نحظـــى بنيـــل الـــسعادة

والإمام أبو العزائم يصف القلب المحب (وهو ليس من عالم التقييد والحس والمادة وإنما من عالم الروح) بأنه (محاط محيط في مقام الهوية) سر قوله تعالى: "ما وسعتني أرضي ولا سماواتي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن".

السراج المنير

وعن حقيقة رسول الله في سراجيته المنيرة يقول الإمام أبوالعزائم:-

شمس المجالي:-

رســـول الله يـــا شـــمس المجـــالي | إليـــك تـــألهي وبـــك إتـــصالي
مواجهـــة بهـــا أحيـــا ســـعيدا | بطيبـــة في اتـــصال لا انفـــصال
أرى نـــور الـــتجلي في الـــتخلي | بـــلا كـــون يلـــوح ولا ظـــلال
أشـــاهد نـــور معنـــى لا بمبنـــى | بكنـــز العـــين لا مـــرأى الخيـــال
يحجـــب نـــورك الأعـــلى وجـــودي | فأشـــهدني ضـــيا سر المثـــال
فـــأفني عـــن مـــرادي في رشـــادي | فنـــاء الإجـــتلا في صـــفو حـــالي
تـــدك الـــصاد تجـــلى العـــين جهـــرا | بحـــال تـــألهي لـــسنا المجـــالي
فمحـــوي عـــن وجـــودي في اتحـــادي | شـــهود حـــال جمعـــي قـــد حـــلالي
أراني ظـــاهرا وأرى بطونـــا | لمـــن يرجـــو شـــهودي بالعقـــال
معـــاني الحـــق قـــد حجـــب شـــئونا | بهـــا الإبعـــاد سر الإنفـــصال
أرى الأنـــوار مـــا وليـــت وجهـــي | وغيـــب الغيـــب فيهـــا قـــد بـــدا لي

أيا كوني حجبت وأنت سور ... تحيط بقاف في رمز المقال
أبا المجلى حجبت فصرت غيبا ... ولاح لي البها بضيا الجمال؟!
أم ارتفعت عن الأخفى ستور ... فأخفت ظاهري حال اتصالي؟!
فكنت ونوره كوني مشيرا ... لأني الرمز خمر للرجال
معاليمي بها هاء ثراءات ... وسري البيت معمور الجلال
به جمعي على المجلى وفرقي ... به أنا مظهر في أفق عال
فلا فرقي يشاب بغير جمعي ... ولا جمعي به تمحى ظلالي
مقام وراثة راح طهور ... وماء منزل لأولي الكمال

وعن « رحمة العالمين » يقول:

رشفة الحب فوق عين الشهود ... فوق عين اليقين في التفريد
فيه آي)يحبهم) أنبأتني ... أن راح الحبيب من تأييد
تحتسيها الأفراد من راح قدس ... لو أديرت لحققت توحيدي
قد سقاها بدءا بغير قداح ... فاحتساها المحبوب في التجريد
رشفة أسكرت قبيل التجلي ... أهل حب الرحمن والمعبود
قبل (كن) جننت عوالم أعلى ... جننت كل مرسل للعبيد
من أولي العزم كانت الراح تسقى ... من نصوص الأسماء والتقييد
بعد ان أشرقت لنا شمس طه ... دارت الراح من معاني الحميد
يا أولي العزم كنتمو الظل قبلا ... وهو شمس قد أشرقت في الوجود
كنت يا خير مرسل في كنوز ... لا تراك الأملاك بعد الجهود
كنت فردا قبل الوجود ونوراً ... فرد ذات العلي سر الشهيد
كنت ما كنت يا حبيبي غيبا ... في مقام لم يدركن بالحدود
كل عالين في هيام لمعنى ... من معاني المختار نور معيد
نورك الأصل والعوالم طرا ... ظل نور من منعم من رشيد

يـا حبيبـي قـد صـاغك الله نـورا ... مـن سـناه بفـضله والجـود

قبـل ملـك وقبـل عـال وأعـلى ... قبـل (كـن) سـيدي وقبـل الجديـد

أشرقـت شمـسك المـضيئة فجـراً ... في انفجـار الأنـوار نـور المجيـد

رحمـة العـالمين أنـت حبيبـي ... منـك نـال الأفـراد خـير الـشهود

وعنه ﷺ يقول الإمام:-

والكـل علـوا بعـض فـضل محمـد ... وعـوالم الكـونين عنـه مظـاهر

كـل الوجـود بـأسرة في دهـشة ... والكـون عـن فهـم الحقيقـة حـائر

عجـز الـورى عـن فهـم سر محمـد ... لم يـدره الا الإلـه القـادر

هـو نـور مجـلى الـذات بـل هـو قبـضة ... عنهـا تجـلى كنـز حـسن بـاهر

بـل مبـدئي عـن أولى قـد أشرقـت ... شـمس الـتجلي عنـه وهـو الآخـر

بجمالـه وكمالـه يـا ربنـا ... كـن نـاصري ومـوفقي يـا سـاتر

أثبـت إلهـي (ماضـيا) بمعيـة ... وصـنفت وفي القـرآن ثمـة تـذكر

ويقول:-

سرك الأعـلى خفـي غـامض ... فـوق قـدري سـيدي مـا وصـفا

أنـت نـور النـور غيـب غيوبـه ... يـشرب الـراح فتـى قـد عرفـا

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه هو (غيب الغيب) الذي يقول فيه أبو العزائم في بيت من إحدى قصائده:

أم الـسر غيـب الغيـب أشرق نـوره ... فـواجهني بجمالـه الإثبـات

وفي موجد آخر يقول:-

أفي القدس روحي؟ أم بروضة جنات؟ ... فـأني أرى المحبـوب كـل جهـات

وهل أشرقت شمس التجلي لمن صفا ... فأشـهرت الأرواح مجـلي الـذات؟

أم الـسر غيـب الغيـب أشرق نـوره ... فـواجهني بجمالـه الاثبـات

أم الـروح خمـر القـدس دارت طهـوره — بعـين بـلا قـدح ولا حانـات
أم الليلـة العظمـى[1] تـذكرنا الـذي — هـدانا بنـور القـدس للخـيرات؟
عـلى الـروح يـا خـير النبيـين كلهـم — فطـأ شَرقًـا حتـى تـصح حيـاتي
يـضيء قلـوب العـالمين ظهـوره — بـها لاح بالتـشبيه في مـرآتي

ويقول عن التواصل مع رسول الله:

أشرق النـور مـن حبيـب القلـوب — فـسقانا مـن خمـر علـم الغيـوب
ويـبـدا المـصطفى لنـا فحبانـا — بعطايـاه بعـد غفـر الـذنوب
لاح نـور الحبيـب لي فـدعاني — لي تقـرب فأنـت أنـت حبيبـي
ثـم دارت كئوسـه برحيـق — مـن معـاني القـرآن والتقريـب
هـام أهـل الـصفا وطـابوا وغـابوا — عنـدما عـاينوا حبيـب القلـوب
نظـرة منـك يـا حبيبـي بفـضل — أحظـى منهـا بالوصـل والمرغـوب
ثـم جمـل أعـضاء جـسمي بحلـل — مـن جمـال التعيـين والترغيـب
وتفـضل نـاول مـرادي مـداما — مـن مـدام التحقيـق نـور مجيـب
ثـم لاحـظ صـوري وأبـدال ذاتي — بعيـون تـرى بهـا مطلـوبي
وعليـك الـصلاة مـن ذات ربي — يـا مـرادي ومقـصدي وحبيبـي

ويقول الإمام أبو العزائم مناجيا حضرة رسول الله:-

طربـت وقـد دار الـشراب طهـوراً — وغنيـت حـال تنـزلي تعبـيرا
فخفيـت عبـاراتي عـن العقـل في الـصفا — فكيـف إذا مـا كنـت ثـم مـشيرا
تغنيـت ألحـان الفنـا حـال غيبتـي — فـأشرق نـور الآي فيـه سـفورا
وغابـت إشـاراتي عـن الـروح عنـدما — ألاحـت لأهـل الإصـطلام النـورا
إليهـا صـغت روح الفتـى في المحـاده — تطيـب أرجـاء الوجـود عبـيرا
أشرت إلى النـور الـذي هـو قبـضة — مـن الغيـب وافي داعيـا وبـشيرا

---

[1] هي ليلة الخميس ١٢ ربيع أول ١٣٤١هـ التي قال فيها أبو العزائم القصيدة.

أشرت إلى رتـب الوجـود معـبرا ... فلم تدر

فكيـف يلـوح الغيـب للعقـل ظـاهرا ... وعقـلي يعقـل كونـه منظـورا؟!

ومـا فيـه مـن آي الـتجلي محجـب ... عـن العقـل يدركـه الفتـى مخمـوراً

فكيـف بغيـب الغيـب قبـضة نـوره ... يـشاهده عقـل غـدا محجـورا؟!

تـشاهد نـور المـصطفى الـروح في الـصفا ... إذا لاح إيـمـاء بـدا تفـسيرا

وقـدرك يـا خـير النبيـين غـامض ... وللمـلإ الأعـلى يلـوح منـيرا

فعـالون قـد شـهدا الجـمال بـلا خفـا ... بـذاتك في بـدء يلـوح ظهـورا

وفي آدم منـك الـضيا لاح جهـرة ... لأملاكـه سـجدوا لـه تكبـيرا

وفي كـل أركـان الوجـود ظلالـه ... تـضيء لمـن شـهدوا (ألـست(النـورا

ظهـرت ببـدء في مقامـك أولا ... فكنـت لـه فـردا إليـه مـشيرا

مـرادا لـه بـدءا لأجلـك كـل مـا ... يقـدره يـا سـيدي تقـديرا

أيـا سـبحات الوجـه في كـل حـضرة ... ويـا ظـل مجـلاه أراك نـصيرا

بوجهـك واجـه رتبتـي في تطـوري ... لأشـهد ربـا مـنعما وغفـورا

هذا وقد تحدث الإمام أبو العزائم عن رسول الله بالمضنون باستفاضة في كتابه "اصطلاحات الصوفية" يمكن الرجوع إليه، فذكر رضي الله عنه الذات النورانية الأحمدية والذات النورانية الواحدية وتحدث عن رمز الذات الأحدية في مقام أخفى الخفاء ورمز كنز الواجدية في مقام الخفاء وحبطة هوية الوحدانية في مقام الروح، وزجاجة حقيقة التشبيه في إشارة إلى القلب المحمدي، ثم سُبحات العزة في مقام مجلى الأسماء وسبحات الكمالات الذاتية في مقام مجلي الذات وسبحات وجه المجالي الذاتية بمكانته المحمدية المشار إليه بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) [الإسراء: ١]. ثم تحدث أبو العزائم عن "السبع المثاني" وهي رموز سماوات حضرات حقائق الأسماء والصفات المستوية على العرش، المشهودة من حيث تجليات معالمها بأسرار مظاهرها، فهي أصل جميع مراتب الوجود من عالم الملك والملكوت والعزة والجبروت، وأصل هذه المراتب:-

- مجلى الأسماء الجمالية .
- مجلى صفات الجلال .
- مجلى حبطة أسماء الجمال والجلال .
- مجلى ما بين الجمال والجلال .
- مجلى ما بين الجمال والكمال .
- مجلى الكمال المقدس .
- مجلى ذات الكمالات .

وهو عند أبي العزائم "طلسم المعاني" الرمز العالي للغيب المصون الذي ليس له مظهر لعيون أي حقيقة فهو الممد لجميع الرسل قبل شروق شمسه في أفق الحياة الكونية، وهم رسل الله نيابة عنه، كما أنه الممد لورثته من أولياء الله المواجهين لشمسه المحمدية المشرقة أنواره فيهم. وهو "الظل الأول" الذي ستر الله به ظلمة العدم بنور الإيجاد والإمداد وهو سر أحتجب عظمة عن أن تحيط به الأفكار أو تدركه العقول، فهو سر المجلى الذاتي في عماء الكنز وطلسمه الرمز، خفي عن الأرواح كشفه وغاب عن الأسرار فهمه. ورسول الله هو الفاتح بدءا (أول نور أشرق في النشأة الأولى) والخاتم عودا (أول نور يشرق في النشأة الثانية وأول شافع وأول مشفع).

فعنه يقول: خصصته يد العناية فردا وهو نور في صورة آدمية

وهو كعبة الأرواح (والكبعة في مكة كعبة الأشباح) الهيكل المجمل بكاملات أخلاق الله، العامر بمعاني الصفات، فلا تنكشف شموس المعاني إلا في سماء مبانيه ولا تتضح أسرار علومه إلا في آفاق رسومه . وهو اللون الذاتي الذي تجملت بمحاسن صفاته جميع الآثار الكونية، والمثل الأعلى رمز النور في مثال الظهور الذي أضاء لعالين قبل التلوين محجوبا عن أرواح الكروبيين قال تعالى ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم/ ٢٧] وهو سبع حقائق نورانية تشير له ﷺ (المشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب والشجرة والزيت والنور) فهو النور في قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ) [النور/ ٣٥] يعني نور

العبد فالله تعالى منزه عن التمثيل. ورسول الله يقول أيضا أبو العزائم أنه مجلى الذات النور الأول الذي ظهرت به الذات لذاتها، وروض التجليات التعيين الأول الذي بتعيينه تعينت عوالم الأكوان، فهو ﷺ مجلي الذات الأحدية لذاتها قبل تجلي الأسماء والصفات وهو ﷺ حوض تجليات معاني الأسماء والصفات الربانية بالجمالات، وهو ظل أحدية الذات المجُلى عن الله لله في حضرات البطون وتحت عنوان "محمد رسول الله" يقول الإمام محمد ماضي أبو العزائم:-

أول الرسل وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وسراجاً منيراً أسرج سرج الرسل والأنبياء من قبله، والصديقين والشهداء من بعده، سماه الله سراجاً منيراً ولم يسمه شمساً لأن السراج يسرج غيره ولكن الشمس لا تجعل شمساً غيرها وهو ﷺ أول الإرادة وآخر العمل.

خلق الله نور حبيبه سيدنا ومولانا محمد من نوره فهو العقل الأول الذي نظر الله إليه بدءا وخلق لأجله العالم أجمع، وتجلى فيه تجلياً عاماً حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية الأعلى عليين، ولعالين، وللملائكة عمار ملكوت الله تعالى، فكان آدم مظهر شهود تلك المعاني للملائكة، ورسول الله المظهر الأكمل لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحاني العالي والأعلى. وهو مرآة المجلي أي مرآة حقائق التجليات والأخلاق الإلهية الذي لا تلوح كمالات جمال سبحات وجه الكنز الأعظم إلا من مرآة حقيقته الدرية، وهو البرزخ الحاجز بصفاء حقيقته الدرية النورانية، ولطيف صورته الإنسانية بمكانته المشكاتية، بين الأسماء غيبا والعوالم شهودا، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء/ ٦٤] وهو مشكاة الجمال الإلهي وهو مصباح التجليات فهو سراج الروح بتوجيهاته ومصباح العناية الأزلية الظاهر في مقام (كان الله ولا شيء معه)[1] ومصباح معاني الإرادة فأول الإرادة وأول مداد لله هو حبيب الله ومصطفاه. وإرادته تعالى صفة واحدة تختلف أسماؤها:-

[1] الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه.

•فإن تعلقت بخصوص النعم تسمى (محبة) قال تعالى ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران/ ٣١].

•وإن تعلقت بعموم النعم تسمى (رحمة) قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

•وإن تعلقت بالعقوبة تسمى (غضبا) قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد/ ٧].

وتلك المعاني – كما يقول أبو العزائم – تقتضي سر الإرادة للظهور بصفات الجمال والجلال التسعة والثمانين. فهو مصباح العناية بمحبته وجنانته ومصباح الولاية برأفته ورحمته.

وأخيراً هو صاحب المقام المحمود الذي يحمده فيه العالم أجمع فنالهم منه خيراً عظيماً.

إن أحداً لن يستطيع أن يُقدر الإمام أبا العزائم مقامه الحق الذي تعبر عنه مواجيده التي تربو على المائة ألف موجد (لم يجمع منها إلا حوالي عشرة آلاف موجد حتى الآن) وما حوته من مشاهد ومكاشفات وأسرار ومعارف وإشارات ومعاني وحقائق وغيبيات وروحانيات وأذواقيات ووجدانيات ورموز وإشراقات وإلهامات وفيوضات وفتوحات كلها عطاءات ونعم من فضل الله تعالى أولاً كما يقول سبحانه:

﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[آل عمران/ ٧٣-٧٤] ثم من فضل ونظر رسول الله ثانيا الذي كان الإمام أبو العزائم وارثاً له ويقول في شأنه:-

كل الذي أنا فيه فضل محمد ... منه بدا وإليه كان وصوليا

ويقول بشأنه أيضا:-

وبـــا يعنـــي وأختـــار ذاتي لذاتـــه ... فـــذقت جمـــال العبـــد حـــين أبـــايع

وعلمنـــي الأســـماء في الجمـــع كلهـــا ... وأيـــدني بـــالحق والنـــور ســـاطع

وحملنـــي تلـــك الأمانـــة بعـــد أن ... تجلـــت عـــلى مـــرآة قلبـــي الودائـــع

ويقول رضي الله عنه حال الذكر:

تـراءى رسـول الله في الـذكر حـاضرا ... يـدير طهـور الـراح يهـدى البـصائرا

سـقانا طهـور العلـم والـسرو التُقـي ... كـما قـد سـقي الأفـراد أحيـا الـسرائرا

نعـم أنـت يـا خـير النبيـين روحنـا ... رأينـا بـك الغيـب المـصون المظـاهرا

فـما نالـه الأصـحاب منـك منحتـه ... لأهـل الـصفا أوليـت منـك البـشائرا

ولا فـرق بـين الأولـين وبيننـا ... لأن ضـيا المختـار قـد لاح سـافرا

ويقول باعتباره المرشد الممنوح من حضرة رسول الله:-

أديـروا لـدى التنزيـه راح الحقيقـة ... لأروى لكم مضي سمت عن إشارتي

ردُوا حوضه بالذوق والحسن جانبوا ... فكـوثره نـور يُـرى بالبـصيرة

هـو الفرق والجمع الـذي هـو سابق ... دنـو فـذق سر المـدام الـشهبة

وصـاحبه عبـد تحقـق قـد صـفا ... وناولـه طـه شراب الـشريعة

وتَّوجـه منـه بتـاج اتباعـه ... وبالفـضل يُـسلكه بعقـد الوراثـة

هـو المرشـد الممنـوح فهـم حقـائق ... وكـشف رمـوز الآي نـور العبـادة

وعـين رسـول الله تنظـره دائـما ... ومـن فـضله يؤتيـه نـور الهدايـة

ومـن فـضله يُـولي (محمـد ماضـيا) ... فيوضـات أنـوار العلـوم الحقيقـة

ويمنحـه إحـسانه وجمالـه ... وينظـره بـالعين عـين الأبـوة

بـه نلـت مـا قـد لا ينـال بغـيره ... مـن الرتـب العليـا وسر النبـوة

ونـاولني في الحـان راح وداده ... وكـان مـدبر الـراح بحـر الفتـوة

عليـك صـلاة الله يـا كنـز نـوره ... ويـا آيـة تـتلى بقـدس الحظـيرة

وآلـك والأصـحاب يـا سـيد الـورى ... ومنـه سـلام بـل وكـل التحيـة

وباعتباره الوارث الفرد:-

بـين الـشهود لأوصـافي وآيـاتي ... سـور يحيـز بـين الوصـف والـذات

فالوارث الفرد نور الوصف مشهده ... بـــالإجتلاء لأسرار العنايـــات
نـــور عـــلي بـــلا ســـور يحيـــزه ... قـــد لاح علنـــا بـــلا أيـــن ومـــشكاة
سر اجـــتلا الوصـــف، والجـــبروت ... قـــد جـــاوز الآي في ارقـــى المقامـــات
والـــسالك الواجـــد المحبـــوب مـــشهده ... نـــور الـــتجلي فـــذق معنـــى إشـــاراتي
والـــسالك العاشـــق الفـــاني مـــشاهده ... آي الظهـــور بـــأكوان وحيطـــات
خمـــر يـــدار عـــلى الأرواح يـــسكرها ... مـــن فـــضل معـــط بـــصدق في البـــدايات
نـــور يلـــوح لأهـــل الحـــب يجـــذبهم ... نحـــو المكـــون بعـــد صـــفاء مـــرآة
خمـــر إذا نـــاولوه غـــاب شـــاربه ... عـــن كـــل حـــظ وأهـــواء وجنـــات
يـــصغى إلى ألـــسن الآيـــات ناطقـــة ... في (إنـــما نحـــن) فأقـــصد وجهـــة الـــذات
فـــر المـــراد إلى مـــولاه وجهتـــه ... وجـــه تعـــالى يـــرى مـــن غـــير آيـــات
دار المـــدامُ عـــلى الأرواح هيمهـــا ... في مـــشهد القـــرب أنـــوار النهايـــات
فيـــه البدايـــة بعـــد الـــصفو في حلـــل ... مـــن نـــور قـــدس مجـــلي حـــضرة الـــذات
وصـــل النهايـــة بـــدء مـــن منازلـــة ... إذ لا نهايـــة فـــأفهم سر كلـــماتي
ينمـــو التألـــه للمجـــلى إذا انبلجـــت ... أنـــوار سري بمحـــوي حـــال إثبـــاتي
لا يظهـــر البـــين لي والوّجـــه حيطـــة مـــن ... قـــد فـــر لله في حـــال المناجـــاة
مـــن نفـــسه بـــل ومـــن دنيـــا وآخـــرة ... من مقعد الصدق قصدي وجهة الذات

وعن نفائس مشهد الوارث:

لي مـــشهد لـــست في التنزيـــه أبديـــه ... لأننـــي عـــن عيـــون الـــرأس أخفيـــه
ترقى به الروح حال صفاء جوهرها ... مـــن عنـــصر حاجـــب أو قيـــد تـــشبيه
روحـــي نعـــم صـــورة مثـــل لمبـــدعها ... تواجـــه القـــدس في أجـــلى تجليـــه
أخفـــى مـــشاهد روحـــي في مـــواجهتي ... لأنهـــا عـــن مجـــالي الـــذات تجليـــه
عـــن عـــين سري وعـــن قلبـــي أســـترها ... والسر عن كشف روحي ليس يدريه
غيـــب الغيـــوب شـــهود الخـــتم ظـــاهره ... سر الـــتجلي، ومجـــلي الـــذات خافيـــه

من دونه مشهد الأملاك قاطبة   لأنه وارث، والفرد موليه
دعني أغني إذا ما الروح لاح لها   غيب البطون بلا حد وتشبيه
وأستر عبارتنا عن واجد دنف   إلا لفرد تحلى من معانيه
قد ناولوه طهوراً من مدامتنا   وجملوه بتشبيه وتنزيه

وهو رضي الله عنه يقول:

عجبت لأني قد أستر أحوالي   وللقهر مني قد تلوح أقوالي
وأخفي حقيقاتي وأظهر غيرها   لأني أخشى أن يرى غير أمثالي
وسري سر غامض عن عقولكم   وغيب عن الأقوال والأعمال
أخاف إذا ما بُحت أني ظهرت في   مظاهر تقييد بأفق عقال
ولكنني أومي برمز إشارتي   جمال مصون لا يُرى بخيال
علّي عن الأفهام والعقل دونه   يُباح لأهل الوجد بالأفضال

كما يقول رضي الله عنه عن أسرار الأمامة:

ذق سرنا وتحلى من معالينا   وسلمّ الحال كي تدري معانينا
فإننا قد شربنا الراح صافية   من غير مزج ما دامت توالينا
في حضرة قدست لا العقل   وسيد الرسل بالإحسان يسقينا
حتى سكرنا وبحنا عن حقيقتنا   والسر يخفى على من لم يوافينا

*****

ويقول عن شراب الإمام:

يا سروري لما تجلى حبيبي   لعيوني وطاب لي مشروبي
ودعاني لحضرة القرب حتى   رفعوا الحجب عن جمال حبيبي
ثم دار الشراب بعد اقترابي   فأراني من سره المكتوب
فوق عرش الجمال قد أجلسوني   وبدا لي بعد الصفا محبوبي

وحبيبي طه يناول راحي — في رياض التقديس والتقريب
ثم دار الشراب من بعد قربي — لأولي العشق من أولي التقريب
شرب العاشقون ذاتي فهاموا — بجمال مقدس موهوب

وعن حال الإمام:

لم أسترن بستار الحال إخواني — إلا لأخفي عن البعداء أشجاني
فالنور نور علي لو يلوح سنا — ضيائه لانمحت آثار أكواني
والسر سر حبيبي لو أبوح به — عاينتمو حال قولي نور رحمان
لكنه الحال أبديه ليسترني — عن أعين أبعدت عن نيل رضوان
أما شرابي فمن قلبي أناوله — لمن صفوا بودادي بعد تبيان

وعن مقام الإمام:

إذا ما ذكرتم من أحب دعوني — فإني بذكركمو تراه عيوني
وعني أحجبوا الأبصار والقلب طهروا — فإن مقام القرب عين جنوني
مقام له سجد العقول تكرما — وحال به أهل الصفا بشجون
فلا يشهدن حسني جهول بنفسه — ولا يمنحن نوري لكل خئون
ولكنه بالفضل يعطي ويمنحن — لذي همة عليا وكل جنون

* وباعتباره باب المدينة المحمدية*

إلى رؤياك يا نور العيون — أنا المشتاق برهاني جنوني
ولا لوم علي ولا عتاب — إذا ما بحت جهرا فاعذروني
أنا الشماس في حال التجلي — أناول من صفا خمر اليقين
أنا باب المدينة[1] يا آل قومي — فهيا واجهوني أو دعوني
أغني في الفناء لأهل صفوي — ملوك العشق أبدالي عيوني

([1]) إشارة إلى ما روي عن حضرة رسول الله «أنا مدينة علم وعلي بابها» وعلي من العفو.

وأشـــطح في الفنـــاء بـــلا قيـــود ... وأشرح في الفنـــا معنـــى البطـــون

* وعن كشف الحجاب للإمام*

لا وحـــس رأيتـــه بعيـــوني ... وجمـــال مقـــدس يعلـــوني

وشراب مـن حـضرة القـدس صرفـا ... مـــن مجاليـــه صـــح لي بيقينـــي

ومعـــان قـــد طلـــسمت وتعالـــت ... أفهمـــوني بهـــا لـــدى تمكينـــي

كـــشفوا لي عنـــي حجـــاب ابتعـــادي ... ولـــديهم راح الـــصفا قـــد ســـقوني

وبـــروض الـــشهود عنـــد التـــداني ... بمعـــاني أسرارهـــم توجـــوني

مـــلأوا بـــاطني علومـــا وأحيـــوا ... باتبـــاعي ومنهمـــو قربـــوني

عـــاملوني بالفـــضل منهم ولاحـــت ... نـــور شـــمس اليقـــين لي تحيينـــي

كيـــف أرجـــو ســـواهمو وهـــواهم ... صـــار دينـــي ومـــذهبي ويقينـــي؟!

أو أرى غـــيرهم ولـــيس ســـواهم ... ظهـــر بـــاطن تـــراه عيـــوني

إن مواجيد أبي العزائم التي جاء ذكرها في كتابي هذا ليست إلا نذر يسير من علم كثير وفيض كبير وهي رذاذ على شاطئ البَّر يجيء من محيط واسع ليست له حدود تُدرك، وبحر شامخ ليس له نهاية تُبلغ، يصعب جداً أن لم يكن يستحيل على أحد أن يحيط بهما أو بما فيهما من المعارف والأسرار والمشاهدات والمكاشفات والروحانيات هي فيوضات من فضل الفتاح الذي هو وحده مالك المفتاح يعطيه لمن يشاء من عباده وعبيده يختصهم برحمته كما يشاء وكيف يشاء.

بحر الإحاطة الأسمائية عند أبي العزائم

إن المظاهر والشئون وكل موجودات هذا الوجود الكوني ما هي إلا "مرائي" للأسماء الحسنى والصفات العُلى التي هي الكون الحقيقي المخلوق والموجود وفي باطنه الطاقات والقوى وفي ظاهره الكائنات والموجودات والمخلوقات المادية بكل أنواعها وأشكالها، ومن هنا يقول الإمام أبو العزائم:

تلـــك المظـــاهر والـــشئون مرائـــي ... فيهـــا تلـــوح لمـــن صـــفوا أســـمائي

فالعـــارفون يـــرون سر تنـــزلي　　والجـــاهلون مـــرادهم آلائـــي

وبذلك تكون الأسماء الحسنى (محيطة) بالكون وبكل من فيه وما فيه نتيجة تجليها بالقدرة والطاقة وفاعلياتها وتأثيراتها، وهذه هي (الإحاطة) التي يسميها أبو العزائم (بحر الإحاطة) ويسميها أبو الحسن الشاذلي (بحر الوحدة) ليكون الإنسان (محيط / محاط). يقول الإمام أبو العزائم:-

ولقـد دخلـت الحـان حـان شـهوده　　وشربـت منهـا كـل مـا قـد بـسكر

وفنيـت حتـى صرت عـرش ظهـوره　　تهتـــز لي عنـــد البيـــان منـــابر

وغرقـت في بحـر الإحاطـة فارقـاً　　طـورا أخـوض وتـارة أنـا زاخـر

حتـى لقـد صرت المحـيط وصـح لي　　أني عـلى نهـج أبـن مـريم عـابر

وهو نفس ما كان يقوله أبو الحسن الشاذلي في أحد أوراده:-

وأغرقني في عين بحر الوحدة شهودا حتى لا

أرى ولا أجد ولا أحس إلا بها نزولا وصعودا

كما هو كذلك لن يزال وجودا

وبحر الإحاطة عند الإمام أبي العزائم هو تحققه رضي الله عنه بشهود ورؤية إحاطة الأسماء الحسنى بالوجود كله بطاقاتها الإيجابية الفاعلة والمؤثرة في تجليها سر قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦] وقوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص/ ٨٨] فالأشياء الموجودة والكائنة في الكون من المظاهر والشئون المادية وغير المادية فانية وهالكة وزائلة وغير حقيقية وتظل الحقيقة الموجودة فعلا هي (الاسم الحسن) المشهود في الوجود والمحيط بالوجود بالاسم الأعظم (الله) الجامع للأسماء الحسنى كلها الجمالية والجلالية والكمالية (ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها) [الأعراف/ ١٨٠] ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء/ ١١٠] فالإحاطة الأسمائية لله سبحانه وتعالى هي عند أبي العزائم مشهودة في أحديتها وواحديتها ووحدانيتها سر

قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[طه/ ٨] وقد عبر الإمام أبو العزائم عن هذه الإحاطة الأسمائية كثيراً في مواجيده وبرؤى مختلفة ومشاهد متعددة.

وإذا كان الإمام أبو العزائم في شهوده (محيطا) بتجليات أسماء الله الحسنى في المظاهر والشؤون المخلوقة فإنه كان يشهد في حقيقة الأمر (إحاطة) الأسماء الحسنى بكل المظاهر والشؤون في الأرض ومحيطها فيما سماه (بحر الإحاطة) الذي لا ساحل له يحده في مقام كان هو فيه متجردا عما سوى الله وتجليه بأسمائه.

إن الكون يحتاج إلى تفسير روحي يتناوله بصورة أشمل وأكمل من التفسير الطبيعي[1]، أي تفسير علوم الطبيعة التي لا تتناول إلا الشق المادي فقط بينما الكون مادة وطاقة أي جسم وروح بالضبط كالإنسان الذي يتكون من جسم وروح، ويحتاج الاثنان إلى بيان الجانبين معاً، المادي والروحي في عالمي الشهادة والغيب.. وهو الأمر الذي أستطاع الإمام أبو العزائم أن يفصله ويبينه في تراثه النثري والنظمي الذي تناول فيه الجانبين فيما يمكننا أن نصفه بجانبي (الشريعة والحقيقة). ولذلك يقول السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم (شيخ الطريقة العزمية الصوفية القائم وحفيد الإمام) يقول أن جده هو الإمام الوارث المحمدي، الفرد الجامع القائل رضي الله عنه:-

وراثة محبوب وحلة مصطفى مراد بهما "ماض" هو المأمون
على المنهج الأعلى يسير بصحبته ي العالم الأعلى له تمكين
لأكشف عن وجهي ستائر حجبه ويبدو الخفا حتى تراه عيون

يقول أبو العزائم عن تجليات الأسماء الحسنى في الوجود:

هي الأسماء تجلى في ظهوري لأهل الحب في حال السفور
تجلت كي يلوح ضيا المعاني جليا في الرسوم بكل سوري
أضاءت حال تجريدي بيدئي ألاحت لي لديها سر نوري

[1]) وهذا ما كان يدعو إليه الدكتور/ محمد إقبال عليه رحمة الله، الشاعر والفيلسوف الصوفي الباكستاني.

أنـــا نـــور الـــتجلي في ابتـــدائي — وصـــورته تـــشير إلى مـــصيري
معـــاني قـــادر وضـــيا حكـــيم — وحكمـــة مـــنعم وهـــدى غفـــور
وظـــل صـــفاته لاحـــت برســـمي — تـــشير إلى العـــلي إلى القـــدير
ولي في النـــشأتين شـــهود عـــين — عبـــودة رتبتـــي وصـــفا ضـــميري
ليظهـــر جـــل أظهـــرني بيانـــا — وأخفـــاني برســـمي في ســـفوري
فـــلا أنـــا في ظهـــوري غـــير آي — تـــدل عـــلى بيـــان في ســـطوري
تجـــلى بأســـمه الـــستار أخفـــى — معـــاليمي لأظهـــر في ســـتوري
ظهـــوري مقتـــضي الأســـماء تنبـــي — لأني مظهـــر يجلـــو ظهـــوري
ظهـــوري رقـــه المنـــشور لاحـــت — لأهـــل الحـــب شـــمس مـــن شـــكور
خفـــائي كـــي يلـــوح لكـــل روح — جمـــال مـــن جميـــل أو بـــشير
جمـــال الكـــشف والعلـــم اللـــدني — جمـــال الفـــرد في أنـــسي سروري
شـــهود في حـــصون الفـــرد أجـــلى — لروحـــي سر أسراري مـــصيري
وعلـــم أخـــشع الألبـــاب لمـــا — ألاح جمـــال مقتـــدر خبـــير
فقلبـــي خاشـــع والـــروح ســـكرى — وجـــسمي خـــانع حـــالي عـــذيري
أرى مـــالا تـــراه الـــروح عينـــا — تجـــلى لي ومحبـــوبي ســـميري
أحـــن إلى اتـــصالي في انفـــصالي — وفي قـــرب القرابـــة كـــشف نـــوري
فنـــور مقـــام مجـــلاه عـــلاني — عـــلى نـــور العبـــودة في صـــدوري
ورودي في صـــدوري عـــين قـــربي — وقـــربي في القرابـــة مـــن بـــصير

وعن سر ظهور الأسماء الحسنى يقول رضي الله عنه:

سر (أحبيـــت)[1] في بطـــون ظهـــوري — كـــي تلـــوح الأســـماء حـــال ســـفوري
كنـــت في البـــدء ظلـــه في صـــفاء — صرت في الخـــتم نـــوره التـــصويري
حبـــه نفـــسه ظهـــورا بطونـــا — هـــيكلي الـــرق فيـــه آي الـــسطور

(1) حديث (كنت كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني).

لم أراني حـال الـصفاء ولكـن ... قـد أراه والرسـم رمـز الـستور
يختفـي رسـمي الجـلي بنـور ... مـن معاني الأسماء حـال الحضور
عنـدها الغيـب مـشهدي في اتحـادي ... والمبـاني والآي ظـل الـستور
ظللتنـي بظـل معنـى صـفات ... سـترتني عنـي بـما في ضـميري
حيرتنـي فـيما أرى مـن ظـلال ... وي ورسـمي مـن سـافل التفـسير
تـارة أشـهد المبـاني، وأونـا ... أشـهد الآي في الجـلي المـشير
بـل وأونـا تجـلى المعـاني لروحـي ... في فنـائي عنـي بنـور بـصيري
ثـم تخفـى تلـك المعـاني بغيـب ... مـن جمـال الأسـماء في تعبـيري
ثـم تخفـى الأسـماء بعـد اتحـاد ... مـن ضـياء المجـلى ونـور النـور
ثـم يخفـى الـشهود يخفـى مقـامي ... عـدت للبـدء في عبـور البحـور
فـوق جـودي رتبتـي قـد رست بي ... بعـد بحـر الـشهود نـار الـسعير
جـزت بـر الجحـود بحـر حـدودي ... في مقـام التفريـد سر العبـور
كنـت لا شيء عـدت للبـدء لاحـت ... لي بمعنـى مقـدر وقـدير
حيزتنـي بـل ميزتنـي فأحيـت ... في منهـا حقـائق التـدبير
بـه فـصلي قـد ألبـستني جمـالا ... سر (أحبيـت) والوصـول حبـوري
في انفـصالي (يحـب) معنـاه تجـلى ... في لاحـت في كـل ملـك كبـير
أشرقـت لي فكنـت ظـل الـتجلي ... كـي يراهـا العـالون بالتـصوير
لم تلـح لي لكـن ألاحـت لغـيري ... بي غيبـا مـن نورهـا المـستور
لي فنـاء عنـي بهـا في بقـاء ... مقتـضاه (أحبيـت) داعـي سروري
في غيـب يلـوح لي في انفـرادي ... لم يـر العالمـان غـير الـسور
لي يقينـا مـا لم يكـن مـن سـواها ... غيبهـا الغـامض الخفـي الظهـور

لقد كان الإمام أبو العزائم لا يرى إلا الله سبحانه وتعالى منزهاً ومحيطاً في وسعته، موجوداً واجباً وفاعلاً ومتجلياً ومؤثراً في هذا الكون وهذا الوجود وكان رضي عنه

بعيني قلبه لا يرى إلا تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في كل ما هو موجود وكائن، لا يرى إلا المعاني الدالة على آيات الله، وآيات الله دالة على أسماء الله وصفاته وأسماء الله وصفاته دالة على أحدية ذاته، وهي الوجود الواجب الحق من سر ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن/ ٢٦] وقوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة/ ١١٥] وكان يقول كما ذكرنا في غير هذا الموضع:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن تغيب المباني والمعاني سواطع

واسترشادًا مني بمشاهدات ومكاشفات الإمام أبي العزائم أقول موضحاً أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي تتجلي (تظهر) في المخلوقات كلها، المعروف منها لنا وغير المعروف، المتطور منها لنا وغير المتطور، لتكون معرفتنا بالذات الإلهية التي نعتبرها مجهولة لنا ولغيرنا من الكائنات الحية العاقلة الواعية، أو الكائنات الروحية النورية اللامادية العاقلة، ولكن له سبحانه أسماء وصفات يكون إدراكنا لها من خلال تعلقها بآثارها الناتجة عن تجليها في الأفاق والأنفس وفي العوالم الروحية وعالم الروح النوري، أو غير ذلك من العوالم التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. وتحدثنا سورة النور في القرآن الكريم في الآية ٣٥ أن ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾أي أن الكون الذي نعيش في أحد كواكبه (الأرض) في مجموعتنا الشمسية يرجع إلى الله من خلال الاسم (النور) مع مثل إنساني لهذا النور هو غالباً المخ أو ربما القلب، والنور كما هو اسم من الأسماء الحسنى هو أيضاً طاقة من الطاقات، والاسم باعتباره متعلقاً بالذات الإلهية فهو قديم ليكون علم الله بالكون الذي خلقه من العدم على غير مثال سبق، علماً قديماً غير محدود ولا متناهي لأن الله هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ولا شيء قبله ولا شيء بعده، بل وكان سبحانه وتعالى أحداً ومنزها في وجوده الواجب ولا شيء معه.

في الإنسان

الإنسان إجمالا[1]:

معلوم أن حكمة الحكيم القادر اقتضيت أن يكون الإنسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملكوت، فأبرزته القدرة كأنه صورة لجميع العوالم مع صغر حجمه، فالإنسان كون صغير، والكون كله إنسان كبير، فأودع الله سبحانه وتعالى فيه كل معاني الأنواع، فالإنسان جماد من حيث أنه من طينة ويميل إلى السكون والراحة، ونبات من حيث أنه يتغذى وينمو، وحيوان من حيث أنه يحس ويتحرك، وملك من حيث أنه يشهد الغيب بدلائل المشهود ولا يعصي الله ما أمره ويفعل ما أمره الله سبحانه به إذا صفا وتكمل، وإبليس إذا نزع إلى هواه ورأيه وحظه ونسي يوم الحساب، وخليفة عن ربه إذا تجمل بأخلاق الربوبية. الإنسان هو الكل في الكل، فسبحان القادر الحكيم يبلغ بكمالاته النفسانية إلى أن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وينحط باتباع حظه وهواه إلى أن يكون في هاوية السخط والمقت ولظى الجحيم، وبينهما دركات أو درجات قال الله تعالى في التنبيه بقدر الإنسان: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

وقال سبحانه وتعالى في بيان منزلة الإنسان العلية وما أنحط إليه من البلية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾، وقال الله تعالى: في بيان أن الإنسان قد يكون شيطانا: (شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً)، فالإنسان وهو الهيكل الصغير الضعيف كما قال الله تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾، وقال الله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جامع لكل حقائق الكائنات، يبلغ من المقامات في القرب من الله تعالى ما به يطيعه الله ويحبيه، وينحط بالمعصية والمخالفة إلى أسفل الدركات حتى يتمنى أن يكون ترابا، هذا هو الإنسان إجمالا وقد فصلنا طرفا من هذا الموضوع في كتاب: (النور المبين لعلوم اليقين) فليراجعه الراغب في العلم.

---

[1] الإمام أبو العزائم في كتابه الإسلام دين الله.

حكمة بالغة:

ولما كان الإنسان هو صورة الكون أجمع، وهو المقصود بالذات من كل الكائنات، كان لابد له أن يعرف الله بقدر ما أهله الله لمعرفته لا بقدر الجناب المقدس، تنزه الله ذاتا وصفة وإسما عن أن يدركه مخلوق، أو يعلمه حق العلم مربوب مقهور، وقد اقتضت الحكمة لكمال تنزيه الله ذاتا وصفة وإسما عن الإدراك والتحديد والكيف والتشبيه، أن يجعل لكل رتبة من مراتب الوجود العاليات معلما مخلوقا مشهودا، يظهر سبحانه بهذا المخلوق ما لابد لأهل تلك الرتبة من العلم به سبحانه ومشاهدة آياته وأسمائه، فجعل سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام معلما للملائكة، وآية أشهدهم بها غرائب حكمة الحكيم وعجائب قدرة القادر البديع، فسجد الملائكة كلهم أجمعون عندما علموا بسيدنا آدم عليه السلام، وشهدوا في آدم من بديع الحكمة عجيب القدرة، فكان الملائكة الروحانيون مع طهارتهم من الشهوات والحظوظ والأهواء وعلوهم عن التدنس برذائل الشهوات، في حاجة إلى معلم يعلمهم ما يجب أن يعلموه، ونور يبين لهم ما لابد لهم أن يشهدوه. حكمة بالغة، سرها مقتضي تنزيه الذات الأحدية وكمال تقديسها عن الإدراك والتحديد وكمال التشبيه، فكان سيدنا آدم عليه السلام وهو روحاني جسماني تخفي أنوار روحانيته بقيود جسمانيته، إظهارا لقدرة القادرة الحكيم، ودلائل حق على كمال القدرة وجمال الحكمة، فلما كسفت ظلمات الجسم أنوار الروح هبط من درجات العلو إلى السفل حتى أناب إلى الله تعالى بالتوبة التي تلقاها من ربه عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ولما كانت طرق العلم الخبر الصادق والحس الصحيح والعقل الكامل، معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فجعل سبحانه وتعالى الأسماع للخبر الصادق، والأبصار لشهود الأكوان الدالة على مكونها سبحانه، والقلوب لفقه الآيات الدالة على القادر الحكيم المصور البديع المنعم المتفضل المعطي الوهاب، ولمقتضي تلك الحكمة كان من فضل الله تعالى على الإنسان أن يدله عليه سبحانه، ويبين له سبله سبحانه، ويرشده لما فيه خيره وصلاحه في الدنيا والآخرة، وكانت سنة الله في خلقه أن يعلمهم مالا بدلهم منه من العلوم بمعلم مخلوق كما قدمنا.

ثم يقول أبو العزائم أن في الإنسان قوى عديدة منها القوة النارية والقوة الحساسة والقوة المتخيلة والقوة الناطقة وقوة الميل أي التي تشتاق إلى الشيء أو تكرهه، والعقل العلمي والعقل العملي والقوة الواهمة والقوة المفكرة والقوة الذاكرة والقوة الحافظة والعقل والنفس الشهوانية والنفس السبعية والنفس الملكية (الروح) والقلب والسر والخفا والأخفى والنفخة القدسية وإذن الخالق حيث الجسم من الملك والروح من الملكوت. وكان الإمام يقول أن الإنسان مرَّ بأطوار سبعة قبل إبرازه في الكون المحسوس، تطور فيها طوراً بعد طور، فكان في حضرة العلم ثم خصصته الإرادة ثم كان حقيقة إنسانية أمام الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف/ ١١] والله إنما يخاطب الموجود لا المعدوم، ثم تعلقت به (كن) إيجادا للحقيقة الإنسانية أولاً التي هي هو الإنسان قبل بروزه في الأعيان الكونية، ثم واثق الأنبياء لرسول الله ثم كان يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف/ ١٧٢] ثم كان الخلاف بين الملائكة وبين الله تعالى.. وكل هذه الأطوار قبل إبرازه في الكون المحسوس. أما أطوار الإنسان في الكون المحسوس فكان الإنسان طينا ثم كان نطفة ثم كان علقة فمضغة فعظاماً فكسيت العظام لحماً ثم أنشأه الله خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

فالإمام أبو العزائم من الذين يقولون أنه كان لنا وجود قبل التسوية في الأرحام ونفخ الأرواح في الأجساد ودلل على ذلك بمشهد الميثاق الذي جاء في القرآن الذي أخذه الله علينا بالإقرار بربوبيته قبل النزول إلى الأرحام سر قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢ – ١٧٣] وكنا في النور في أحسن تقويم قبل أن نلبس جسدنا الطيني في أسفل سافلين وفي طور الماء المهين. وقد كان الإمام أبو العزائم يردد في مواجيده هذا الطور النوراني ويذكر بالشوق والحنين موقفه بين يدي ربه في مشهد (ألست بربكم) ويقول:-

تجذب الروح الهياكل — للصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفا — أسكرت عال وسافل

لأن الروح تنجذب دائما إلى أصلها النوراني الأعلى بينما الجسد يشد صاحبه إلى أسفل سافلين الطين والمادة أو الماء المهين، كما أن الجذب الإلهي للروح فضل وتقريب والجذب الجسدي للإنسان إبعاد وتغريب كما يقول أبو العزائم:

جذبي لعالين إحسان وتقريب والجذب للسفل إبعاد وتغريب

النشأة الأولية

وفي حنين أبو العزائم إلى صفاء النور الأول في الإطلاق قبل التقييد يقول:-

لي غـــرام مـــن نـــشأتي الأوليـــة حـــين واجهـــت وجــه رب البريــة

كنـت روحـا أشـتاق والنـور حـولي صرت جـــسماً في دار دنيـــا دنيـــه

ظـل كـوني قـد حجـب الـروح ويحى عـــن شـــهود الأسرار في الـــصمديه

كيـف صـبري مـن بعـد رؤيـة وجـه في صـــفا عـــن صـــورة المثنويـــة؟

أنـت يـا جـسم قـد سـترت حبيـب صرت يـــا جـــسم للقريـــب بليـــه

خـــل روحـــي تفـــر لله إني في هيــــام للوصــــل للأحديــــه

وفي مكان آخر يقول:

أعـدني إلى بـدئي لأفنـي عـن الـسوى بجذبـة حـب منـك يـا سـابغ الفـضل

ألـح لي نـور الوجـه جمـل لطيفتـي بسر اجتلا الأوصـاف مـن غـير مـا ظـل

ويعاوده الحنين إلى الأولية:

أحـــن إلى العـــود الـــذي كـــان أولاً حنينـــاً إلى الإطـــلاق سر التجمـــل

لأشــهد نــور العـين بـالعين أشرقـت مـن القــدس لا مــن حيطـة وتــسفل

إلى البــدء تحنــاني إلى البــدء صبـوتي إلى القـــدس تهيـــامي لنيـــل تواصـــل

ويجود عليه ربه بمشهد العود فيغني منتشياً:

أُعـــدت إلى العلـــم اللـــدني مُجمـــلاً برتبـــة تعيينـــي فتبـــت مـــن التـــوب

وفي مكان آخر يقول:

أُعـــدت إلى أزل فلـــم أر غـــيره وصرت لــــه المــــرآة جــــل ثنــــاه

ويذكر مشهد "ألست"(١)

لي تجلي من قبل كن فأراني	سر بدئي والعود بعد شتات
لم يكن في الشهود لبس لأني	منذ بدئي أرى بلا حيطات (بلا حدود)
فعيوني التي رأته قبيلاً	لم تحجب بحيطة الكائنات
من "ألست" وقبلها كنت نوراً	سورة التين وضحت كلماتي
كل يوم شأن جديد وروحي	تشهد الحق هيكل مرآتي

أضداد الصفات والقرب

وكان رضي الله عنه يقول:-

بأضداد الصفات أنال قربي	وأحظى من إلهي بالوصال

والمعنى أنني أتقرب إلى الله القوي (أي المتصف بالقوة) بضعفي (وهو ضد القوة) وأتقرب إلى الغني بفقري وإلى العزيز بذلي وإلى الصمد باحتياجي وإلى الغفور بذنبي وإلى التواب بمعصيتي وإلى الغفار بسيئاتي وإلى الكريم ببخلي وإلى الموجود بعدمي وإلى المشهود بافتقاري.. وهكذا.. وفي ابتهال للإمام إلى الله تعالى يقول:

إلهي بفقر هو جمالي، وبذل هو كمالي، وبالضطرار هو إقبالي، أعزني بوصالي وأغنني بالنوال واستجب يارب سؤالي..

وكان يقول: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا.

إن سمة الكون والكائنات هي (التضاد) الذي يثبت الغيرية والسوى والاثنينية كما في العبد والرب والذكر والأنثى والملك والشيطان والموجب والسالب والمادة والطاقة

---

(١) يوم (ألست بربكم) هو اليوم الذي رافق ربنا فيه بني آدم جميعهم سر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣]

والذري والنجمي والعاقل وغير العاقل، والحق والخلق والوجود والعدم والعين والغير والنور والظلمات والحياة والموت والشيء واللاشيء والعذاب والنعيم والجنة والنار، وبالنسبة للإنسان، المؤمن والكافر والموحد والمشرك والمهتدي والضال والشقي والسعيد، والمطيع والعاص، والخير والشر، والصلاح والإصلاح والفساد والإفساد، والزمان والمكان (الأبعاد) والشهادة والغيب.. الخ.. وأسماء الله الحسنى فيها (جمال) وفيها (جلال) في نسبة إلى الله أو إلى الإنسان.. حسب المقتضى وفيها أيضا (كمال) لا تضاد فيه أو معه في أحدية وواحدية ووحدانية.. يرمز إليها عَلَمٌ دال عليها هو الاسم الأعظم (الله) الجامع للأسماء الحسنى والصفات العُلى كلها.

وأحب أن أقرر هنا أن الاسم غير المسمى كما يقول الإمام أبوالعزائم وكما كان يقول الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وليس هو عين المسمى كما كان يقول المعتزلة ويقول الإمام الصوفي محي الدين بن عربي، رضي الله عنهم أجمعين. فالإسم إضافة إلى المسمى زائدة للتعريف به لأن المضاف ليس هو نفس أو عين المضاف إليه وإنما تعريف من المسمى لمعرفة ذاته من غيره كما هو السر في الحديث ("كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني) والسر هنا في (فبي عرفوني). أن الذات الإلهية كنز مخفي، أي خافية ومخفية ومجهولة غير معروفة لغيرها ولا موصوفة ولا متصورة ولا مضافا إليها في ذاتها غيرها، ليس في الذات إلا الذات وليس في الخلق إلا الخلق، ليس في ذات الله شيء من غيره أو شيء سواه وليس في غيره أو سواه شيء من ذاته. فلا يعرف الذات الإلهية إلا الذات الإلهية ولا يشهد الذات الإلهية إلا الذات الإلهية والاسم الأعظم (الله) علمُ دال على الذات للتعريف وليس نفس أو عين الذات لإنها منزهة كامل وكمال التنزيه والتقديس عن الإدراك والكيف والتشبيه والتحديد. يقول الإمام أبو العزائم عن الذات الإلهية إنها في أخفى كنوز النزاهة قُدست:

بأنوار أسماء الجمال تنزهت	وأسرار معناها بكنز الهوية
بمجلى معاني الوصف عن سر باطن	وبالذات في أخفى كنوز النزاهة
بأسمائك العليا بسر ظهورها	لدى ظهر التخصيص سر الإرادة

وفي موضع آخر يقول:

وبالذات في طمس العما غيب غيبها ... تعالت عن التشبيه والتمثيل
بأنوار تنزيه وسر قداسة ... والمحو سلب السلب بالتفصيل
وبالذات في مجلى جلالة مجدها ... ومحوى بها فيها ضياء مأمولي
خفيت عن الأبصار عن كل عاقل ... تحجبت بالآثار والمعقول
أقمني وأولادي وأهلي وخلتي ... مقامات أهل الحب في التنزيل
وصلى على الغوث المرجَّي محمد ... حبيبك وامنحنا بكل قبول

ويقول رضي الله عنه أن العجز عن الإدراك إدراك:

عين بكنز الخفا بالعجز تدريها ... علمي لها نزهت عن كشف خافيها
جهلت مكانتها خفيت وما ظهرت ... والجاهلون رأوا أنوار هاديها
عين منزهة عن كشف رتبتها ... إلا لها فتعالت في معانيها
العجز إدراك معناها لعاشقها ... وبه بلوغ الترقي من مراضيها
عين أضاءت بأسماء مقدسة ... فلاح نور التجلي عن مجاليها
ظهرت وما خفيت علمت وما جهلت ... والظاهر آلاي تنبي عن تجليها
علمت لأحبابها وهمو الشئون لها ... ظهرت بها همو غابت معاليها
عجبا وقد ظهرت وهي التي بطنت ... وهي التي علمت جهلت مباديها
إن قلت أشهدها فالنور طلعتها ... أو قلت أجهلها فالجهل يبديها
لم يقدر لها سواها في مكانتها ... والكل منها لها مجلى أياديها
عين بقلبي تشاهدها بنور سنا ... أسمائها وعيون الرأس تخفيها
يا ظاهرا بتجليه بكنز خفا ... بطونه أرجو فهم النفس ما فيها
أدعوك بالإسم حيطة أسماء مقدسة ... كشفا به أتحلى من مجاليها
حتى أكون أنا العبد الذي ثبتت ... له الحقائق في أجلى معانيها
ونور قدس به أرقى لمرتبتي ... مجملا بك ماضيها وحاليها
حتى أناول من مولاي حلته ... وأرتقي بالتهاني في مراقيها

وصـل دومـا عـلى طـه الحبيـب ومـن فهمـــت عنـــه معانيهـــا بناديهـــا

إن الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود الأول (الأزلي) والآخر (الأبدي بلا نهاية) أي أنه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، لا مكان ولا زمان يحدانه ولا بعد فيزيقي أو رحى يحتويه، وهو سبحانه يظهر ويتجلى بالأسماء والصفات ثم بالأفعال ثم بمجلي الذات، وظهوره بذاته لا يكون إلا لذاته، فلا يعرف الذات الإلهية إلا الذات الإلهية في المقام الذي قال فيه الإمام أبو العزائم (العجز عن الإدراك هو قمة الإدراك) وهو الأمر الذي يقول به العلم الحديث فيما يتعلق بقاعدة (اللاتحديد)[1] التي تضع حدا وحاجزاً للقياس والمشاهدة فيما يتعلق بالمكان والسرعة في اللحظة ذاتها، وهما العاملان اللذان يحددان مركز الجسيمات الصغيرة جدا، أما بالنسبة لغير الذات خاصة الإنسان فالذات الإلهية مجهولة تماماً، خافية ومخفية، غير معروفة لا توصف ولا تتصور ولا تتخيل ولا تتوهم ولا تشبه ولا تقدر ولا تقاس ولا ترى أو تشاهد ولا تدرك والعجز عن إدراكها قمة الإدراك.

هناك حجب خارجية كثيرة تحجب الذات الإلهية عن كل من وما سواها، وهي الحجب التي عنها الإمام أبو العزائم أنها (الغير) عندما يقول:-

نقطة الغين يا مريد حجاب وهي عين إذا زال النقاب

وكل وجود دون مستوى الوجود الذاتي لله تعالى هو وجود حاجب، وبذلك لا يكون هناك وجود مخلوق إلا وهو وجود حاجب لأنه يدخل في دائرة (الغير) ولكنه يعتبر في نفس الوقت سلم الارتقاء وبراق الصروج ووسيلة الترقي والعلو في الطريق المؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى عن طريق آفاق الكون الطبيعي والأفق الأعلى في الكون الروحي المستويات الظاهرة والباطنة في النفس الإنسانية.

وعن حقيقة (الأضداد) يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم/ ٤٥] وفي سورة الإسراء الآية ١١٠ ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ فالله هو أيضا الرحمن، يعذب

---

[1] التي اكتشفها فيرز هيزنبرج علم ١٩٢٧.

ويرحم كما في البسملة وكما في سورة الفاتحة.. ولذلك كان الإمام أبو العزائم يقول (بأضاد الصفات أنال قربي) وهو ما بيناه من قبل.

إن مقتضى تجلي (ظهور) الأسماء الحسنى كلها هو ظهور الأضداد النسبية كلها وهي التي ظهرت مع آدم في الطاعة والمعصية أو في الخير والشر، ولكنهما بالإضافة إلى الذات الإلهية لا يختلفان حيث إن طاعة الإنسان لا تنفع الإله ومعصية الإنسان لا تضر الإله وهو سبحانه الذي في الأرض إله وفي السماء إله، كما أن الذات الحرة العاقلة التي كان يمثلها آدم ويمثلها كل بني آدم هي منفصلة تماماً ومستقلة عن الإله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء والذي ليس له كفوا أحد. أما الأسماء الإلهية فكلها حسنى والقبح المتصل بمظاهر الأسماء في الكون هو نسبي بالإضافة إلى عقل الإنسان، الذي يفرق بين الحسن والقبيح وبين المفسدة والمصلحة بالنسبة لرؤيته. والأسماء الحسنى تقتضي المعصية ليظهر (التواب والعفو والغفور) وتقتضي الطاعة ليظهر (الشكور والهادي والمؤمن) مع ضرورة التفرقة في التوحيد بين الإرادة والأمر الإلهيين فكل ما يحصل ويكون في الحياة يكون بإرادة الله ومشيئته ولكنه سبحانه وتعالى ليست بالضرورة أن يأمر به، كما في المعاصي مثلا.

أما معنى ما يقوله الإمام أبو العزائم من كون المظاهر والشئون مرائي للأسماء الحسنى فيمكن التعبير عنه بأنه ما من مخلوق من مخلوقات الوجود إلا وقد أختص بظهور أسم أو أكثر من أسماء الله الحسنى حسب خواصها. فالإنسان لا يرى مظهراً أو شأناً أو أثراً إلا ويرى معه أو عنده أو فيه، تجلي الاسم المؤثر الفاعل. فإذا رأى نباتاً تجلى له اسم المقيت وإذا رأى دواء تجلى له اسم الشافي وإذا رأى ميتا تجلى له اسم المميت وإذا رأى مؤمناً تجلى له اسم الهادي وإذا نظر إلى السماء تجلى له اسم الرافع والعلي والقدير وإذا نظر إلى الأرض تجلى له اسم الباسط وإذا نظر إلى البحار والمحيطات والمياه تجلى له اسم المحي وإذا استشعر الهواء تجلى له اسم اللطيف والحي وهكذا سائر المظاهر والشئون المادية والقوي والطاقات والمخلوقات بكل أنواعها وأصنافها بما فيها الإنسان الذي جمع خالقه فيه أسرار ومعاني وطاقات أسمائه الحسنى وهي التي من أجل ظهور أنوارها فيه سجد الملائكة لآدم أبيه. إن ما يقوله أبو العزائم

عما يشهده ويعلمه هو أن الكون الحقيقي هو كون الأسماء والصفات الإلهية الحسنى وما يعنيه ذلك من أن كل الكائنات والمظاهر والشئون المادية والطاقية والقوى المخلوقة والنشطة في حركتها وإيجابياتها في الكون إنما هي كائنة ومتحركة ونشطة وإيجابية بفعل تجلي وتأثير وفعاليات وطاقات الأسماء الحسنى التي يجمعها (الله) نور السماوات والأرض والفاعلة في مستوياتها كلها النجمية والذرية.

والأسماء لها طاقات (قدرات) تظهر (تتجلى) في الكون وكل كائناته المخلوقة، والطاقة في الكون والكائنات لها تكون في ماديات وأجسام كثيرة الأشكال والصور، فهي كثيرة في تشكلاتها المختلفة ولكن حقيقتها وجوهرها هو الوحدة، وحدة الطاقة أو وحدة القوى الفوقية وهي التي يقوم عليها البنيان الكوني الطبيعي وهي (الكهرومغناطيسية والجاذبية والقوى الضعيفة الذرية والقوى الشديدة الذرية) وهي تعكس وحدة الأسماء الحسنى الإلهية التي هي مصدر كل القوى والطاقات في الكون وكائناته. والوحدة كما يقول لنا الإمام أبو العزائم مقامات ثلاثة هي الأحدية والوحدانية والواحدية وهي باختصار يُعبَّر عما كان يقوله أبو العزائم:-

الأحدية: مقام كان الله ولا شيء معه أول لا ابتداء.

الواحدية: بقاء وجه الله (الاسم) بعد فناء كل شيء أخر بلا انتهاء وليس بعده شيء.

الوحدانية: نفي الشريك وانتفاء الشرك، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يدبر الأمر في السماوات والأرض من الكون وهو واحد أحد.

الإنسان عند الإمام أبي العزائم

والإنسان عند الإمام أبو العزائم هو كما يقول:-

- العالم الصغير: الإنسان هو العالم الصغير، والعالم: إنسان كبير، فالإنسان مملكة عظيمة، وعالم صغير، والنفس: سلطان المملكة، والعقل: وزيرها، والقوى جنودها، والحسن المشترك: صاحب بريدها، والأعضاء: خدمها، والبدن كله: محل المملكة.

•العالم الكبير: الإنسان هو العالم الأكبر، فظاهر القلب: عرش الرحمن، وباطن القلب: بيته المعمور، فإذا عمره سبحانه بشهود معاني صفاته، كان سدرة المثل الأعلى، وزجاجة المثل العلي، وكان الهيكل صورة الرحمن، ويكون الكون كله صورة الإنسان الكامل، محل استجلاء معاني الصفات.

•شجرة الرب: الإنسان هو شجرة الرب، والنباتات شجرة الإنسان، وهو السدرة التي رأسها مغروس في العرش، وأطرافها مدلاة على الجنة ولقد زين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى، وجمل باطنه بما هو أشرف وأقوى وهو حان الشراب للسالكين، ودنان الراح للواصلين، والشراب الطهور للعارفين، ظهر مبناه، وغاب معناه، وهو بمعناه لا بمبناه وهو الذي قلل لفظه، واستوفى معناه.

•مجمع الأضداد: جمع الله فيه الأضداد، وتفضل عليه بخير العجائب، وحيز في الحجى لما أودع فيه من الغرائب، فتراه بين راق يتكلم في رقيه مع الله شفاها، وبين هاو إلى حضيض الأسفلين سفاها.

•مظهر الأسماء: الإنسان مظهر تسعة وثمانين اسما من الأسماء الحسنى، أما باقي الأسماء فهي أسماء الكمال وعددها عشرة، وليس لها مظهر.

•النوع الوسط: هو النوع الوسط بين الملائكة والحيوانات، فهو بالنسبة لغذائه ونموه وحسه وحركته حيوان، وبالنسبة لإدراكه وقوة تصديقه بالغيب ملك مقرب.

•مثنوي التركيب: الإنسان مثنوي التركيب، فهو مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية، وعقل بينهما رقيب، وهما جوهران متاضدان في الصفات، متباينان في الغايات، مشتركان في الأفعال العارضة، وفي الصفات بلا مفاوضة، فالإنسان حي ناطق، وهو جملة مركبة من نفس ناطقة وبدن فائت.

•مسير ومخير: الإنسان مسير ومخير، مسير فيما يعلم، ومخير فيما لا يعلم.

حقائق الإنسان:

جماد: من حيث إنه من طينة ويميل إلى السكون والراحة.

نبات: من حيث إنه يتغذى وينمو.

حيوان: من حيث إنه يحس ويتحرك.

ملك: من حيث إنه يشهد الغيب بدلائل المشهود، ولا يعصي الله ما أمره، ويفعل ما أمره الله سبحانه به إذا صفا وتكمل.

إبليس: إذا نزع إلى هواه ورأيه وحظه ونسي يوم الحساب.

خليفة عن ربه: إذا تجمل بأخلاق الربوبية.

الصورة المجملة: الإنسان صورة من الصور المجملة بالهبات المنسوجة في أكمل مراد للذات، بل صورة مؤهلة لأن ينفخ فيه روح قدسية تجعل له الكون أفقاً منيراً بالآيات ظاهراً بالجمالات، بل مخلوق خلق ليكون جمالاً للعوالم، وكمالاً للمظاهر، وخليفة عن الظاهر، منح من الاستعداد والقبول ما يجعله أهلا للوصول، وهو هو الطينة اللازبة، والمني الذي يمنى، والحيوان الأعجم، والشيطان الرجيم.

أصول الإنسان:

العدم.

التراب.

المني: وهو ماء الرجل والمرأة.

ملك وحيوان وشيطان:

● الإنسان حيوان، فإذا ساعده العقل على حيوانيته تمكن بعقله وحيوانيته من أعمال لا تعملها السباع الكاسرة، ولا الحيوانات النافرة، ولا الشياطين الفاجرة، فيكون أدنى وأجرأ من الحيوانات، وأضر وأفجر من الشياطين، حتى تشرق أنوار الشريعة عليه، فيسارع إلى الكمالين متوسطاً في الأمرين فيكون أعلى وأكمل من الملائكة.

الإنسان الحيواني: عاص من المسلمين.

الإنسان الشيطاني: غاو كافر، أو منافق.

الإنسان الروحاني: السالكون المقتدون.

الإنسان الكامل: هم الرسل القائمون مقامه ، قبل إشراق شمسه المحمدية في عالم الإمكان، وأبداله صلوات الله عليه المجددون لسنته بعد رفعه إلى الرفيق الأعلى، فالإنسان الكامل سره مشرق بأنوار الإطلاق، وعلنه مستنير بنور الحصون من سر ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[الفتح: ٢٩].

الإنسان الكلي: هو رسول الله .

الإنسان: مملكة عظيمة، وعالم صغير، النفس: سلطان المملكة، والعقل: وزيرها، والقوى: جنودها، والحس المشترك: صاحب بريدها، والأعضاء: خدمها، والبدن كله: محل المملكة.

وقد تحدث أبو العزائم أيضا عن آدم وذكر قبسا من المضنون فيه والرمز فيه، في كتابه "الطهور المدار على قلوب الأبرار" يمكن الرجوع إليه.

والقرآن الكريم يصف الملائكة المقربين بأنهم (العالين) ويصف المؤمنين بأنهم (الأعلون) وبذلك يرفع الإنسان المؤمن فوق الملائكة المقربين سر قوله تعالى ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد/ ٣٥] والله يخاطب إبليس قائلا ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[ص/ ٧٥] والعالون هم الملائكة المقربون الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم وفي ذلك يقول أبو العزائم:-

وفي "أنتم الأعلون" سر مكانتي   تجاوزت "العالين" في فلك القرب

وهو رضي الله عنه يتحدث عن الإنسان.

ويقول رضي الله عنه عن نشوة الطواف حول الكمال:

* نشوة الطواف حول الكمال *

نشوتي من قبل نشأة هيكلي ... حيث كنت النور أول أولى

كنت غيبا في الإرادة ظاهرا ... في خفاء الغيب قدس موئلي

في التطور لاح لي نور البها ... في التنزل والحقيقة منزلي

لم أرى في البدء إلا وجه من ... لي تجلي بالجمال الأكمل

طفت قبل الوقت حول كماله ... لم أشاهد غير نفسي معقلي

لاح لي في القبر بغيب غامض ... عن عقول عقلت بالأسفل

في التنقل من أنا ورثني ... علم عين في مقام تنزل

هيكلي طين ونفخة قدسه ... أسجدت أملاكه في المنزل

غاب في بدئي جمال لاح لي ... في رسومي حيث رسمي هيكلي

هيكلي لوح المعاني سطرت ... فيه توسمي للجمال المجمل

فصل الهيكل مجمل ما خفى ... في شهود الروح معنى الأول

هيكلي كان الحجاب وظلمة ... صار مسطور البهاء الأكمل

صرت مرآة الصفات وسدرة ... قد غشاها النور جذبا للعلي

نفخة القدس اسمحي لي أشهدي ... آلها في حيرة المتذلل

هل أنا ظل الصفات وصورة ... شاهدتها الروح في الأفق الجلي؟!

أم أنا رمز لكنز غامض ... فيه أوصفات من الغيب العلي؟!

أم أنا سر المثال بآية ... سرها المشكاة تجلى للولي؟!

أم أنا ظل الصفات لواجد ... من عوامل علوه والأسفل؟!

حيرتي في رتبتي لا تنتهي ... وي أنا من عند مشهد أولى؟!

سره المصون أتقن خلقه ... أم ضيا الاسماء فصلى موصلي؟!

أم أنا العبد المراد لذاته ... حيث نفخة تشير لهيكلي؟!

ذا مقام القرب والفضل الذي يوليه للعاشق المجمل.

وعن مظهر الظهور :

فوق كشف الحجاب ذوق الشراب في مقام الصفا بحال اقتراب
فوق ذوق الشراب قرب اتحاد فيه أخفى ورتبتي من تراب
فوق قربي مقام حِبِّي وجمعي في اصطلام تألهي في غياب
فوق هذا الغياب دارت طهورا سترتني عني بنور الجناب
عندها لا أنا لأني غيب عن عيون الأرواح ظل السحاب
صورة جملت بأسرار معنى غيب غيب عن نسبتي وانتساب
ترك تركي حق به صرت حقا في شهود مؤيد بالكتاب
في وجودي بالمثنوية ينبي صورة جملت بغيب مهاب
فوق هذا الرغام رتبة رسمي فوق عالين في المحاء حساب
مظهر للظهور سر التجلي نور غيب مستتر بالنقاب
هيكلي رمز كنزه في اتحادي فيه أسماؤه لأهل المتاب
يشهدون الجمال في الرسم يجلى لمراد المحبوب في الإقتراب

* وعن حلل النزاهة *

حاشا ونور جماله وجلاله أني أميل إلى شهود سواه
وبحق نور كماله وبكنزه كيف السُلُوُّ وباطني مجلاه؟!
في باطني صور المحاسن تنجلي وتجلي لي في ظاهري معناه
فغدا فؤادي عرش وصف كماله وجوارحي كرسي جلال علاه
فانا به عنه وفيه أجتلي رمز الهوية من ضياء سناه
نور أحطت بكل ما هو كائن متزين بجماله وحلاه
فأنا المحب لذات وصف محاسني وكذا أنا المحبوب ذق فحواه
هذا حقيقة حالنا عند الصفا وشرابنا منا بنا نعطاه

فأنا الجمال الصراف شاهدني ترى ... نورا يضوع بحانه رياه

وتشم من طيب الوجود وروضه ... معنى سما فيه لنا أجلاه

وتذوق راح الواحدية موقنا ... بفناء كل الكون إلا الله

وتميس في حلل النزاهة واجدا ... حال الذي مولاه قد أولاه

وترى حقيقة أولية أحمد ... والقبضة العليا بكنز بهاه

وتراه سرا ساريا منه بدا ... ما قد تشاهده وما تراه

ولدى التحقق تنتبه من نومة ... متيقنا بالجهل عن معناه

وتذوق أنك عاجز فتتوب من ... شرك خفي وتراك عبد علاه

فيفيض غيث كماله لعبيده ... ويمده منه بنور هداه

هذا هو العبد الذي لو جاءه ... قلب سليم لحظة أحياه

بل وارث من نور طه قطرة ... يحيي بها كل امرئ يرآه

يا ربنا بالبدر نور جمالكم ... طه أنلنا قربه ورضاه

وامنح (محمد ماضيا) راح الصفا ... حتى يذوق برشفه معناه

وأفض بحار جماله في باطني ... وأدم على شهوده ولقاه

حتى أمتع ظاهري عن باطني ... وتفوز أصحابي بطيب شذاه

وأفتح على الإخوان من أسراره ... وتولني والأهل يا الله

والسالكين طريقنا ومن انتمى ... فامنحه يا غوثاه ما يهواه

وتول أولادي ومن والاهمو ... وأدم سرور الكل يا رباه

وصلاة ذاتك دائما تجلى على ... من في القرآن عليه أثنى الله

والصحب والأزواج والأتباع ما ... داع دعا مولاه

في الحب

أما الحب وهو أصل الوجود وأصل كل موجود بسر الحديث (أحببت أن أعرف) فكان يقول الإمام أبو العزائم فيما يقول:

الحب ومراتبه:

الحب: الحب باب الشهود، فإذا أحببت فقد صح الورود، والحب إن كان بالعام جذب إلى المحبوب، وإن كان بالشهود أصمت المحب، لأنه يعجز عن تصوير محبوبه بعبارة أو إشارة، ويجله عن أن يبين محبته غيرة على المحبوب، فإذا تجاوز الكشف صار المحب محبوباً، فأشار إلى المحبة بقدر نفسه والحب حبان:

- حب منك لله في الله.
- حب منك لأخيك في الله.

مراتب الحب:

- الهوى.
- الهيام.
- التتيم.

المحب: يرى حبيبه قريباً بأنسه، بعيدا بشوقه، ولم تبق المحبة للمحب نفساً يراعى له فيه حقوقاً خوفاً من الفوات، لأنه مات بالمحبة في الله، فأحياه الله بالود والإحسان، والمحب من لم ير لنفسه حباً حتى يكون هو المحبوب، وما نصب به غير المحب ينمو به غرام المحب.

- **مخاوف المحب:**

مخاوف المحب سبعة بعضها فوق بعض:

* خوف الاعتراض. * خوف الحجاب. * خوف البعد.

* خوف السلب. * خوف الفوت. * خوف السلو.

* خوف الاستبدال.

٢- مراتب المحب:

•المحب حب المقربين العارفين: إن سبق إلى العبد المحب بمقام الخوف.

•المحب حب أصحاب اليمين: إن سبق إلى العبد المحب بمقام المحبة.

٣- معرفة المحبين: تكون معرفة المحبين أعظم المعارف، إذا كانت أوائل أحوالهم المخاوف.

المحبوب: فاقد نفسه في الطاعة محبوب، وفاقد نفسه في المعصية إن صدق حاله مقامه رقى على سلم المحبوبية، فاحفظ مكانتك التي بها أنت محبوبه يشرف بك على قدس عزته وجبروته، وهذا حبه لك وتقريبه، وكذب من أدعى محبة من لم يعرف، فإنه قد يسيء الأدب لجهله بمكانة المحبوب.

المحبوب والمحب: كم جذب المحبة أشباحاً من أسفل سافلين، فلم تقف بها حتى شهدت رب العالمين.

والمحب: حامل أعباء المحبة، والمحبوب : محمول على رفارف العناية، قال تعالى ﴿ وَمَامِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ (الصافات: ١٦٤).

وأهل الوفا : مجاهدون، وأهل الصفا: مشاهدون، والمصطفون: محبوبون، والمحبة فوق كل مقام، ومطلوبهم السلام، لا دار السلام.

المحبوب: ليس هناك محبوب كل خير إلا الله، ومن والاه، وما والاه والمحبوب غيب، والدليل خفي، والوصول إليه لابد منه.

المحب: إذا انعقد القلب على قدر حبة من المحبة، جذبته العناية الإلهية إلى الله تعالى فأحبه سبحانه، والمحب كيف يخالف محبوبه، فمن فعل مكروها أو ترك مندوباً من أحكام الشريعة، وأدعى أنه من أهل المحبة، فدعواه تحتاج إلى حجة.

والمحب على أنواع ثلاثة:

- •محب للدنيا: وهي الصحة والقوت والأمن.
- •محب للدين: وهي المحبة والاستقامة والإيثار.
- •محبة لله: وهي واحدة: ألا وهي الفناء عمن سواه.

المحبوب والحب: المحبة حجاب وهي أرقى المقامات، لأنها تشغل عن المحبوب، وهل يسع القلب محبوباً وحباً؟!.

علامة الحب: أن تقبل على حبيبك عند إقباله عليك وإدباره عنك وعلامة حب الله حب ذكره.

الحبيب: الحبيب لا يقدر لحبيبه إلا خيراً، وإن رأى الإنسان ذلك شراً، وكل الشرور يخلقها الله تعالى وهي خير.

عناء الحبيب: عناء الحب راحة، وعذابه في الحبيب بهجة ينال بها أفراحه، يجوع فيطعمه على بساط مؤانسته، ويسهر فيؤنسه على موائد كرامته.

درجات الحب:

- •الحب للنعمة.
- •الحب للمنة.
- •الحب لما أظهره فيك ليظهر به لك ولغيرك.
- •الحب بالفناء عن ذلك كله تفريداً للقصد وتجريداً للتوحيد من شوب التحديد والتعديد.

حب الله للعبد وحب العبد لله: إذا أحبك الله آنسك على بساط منادمته محفوظاً من البسط معه، وجملك بما يحبه، وواجهك بجماله حتى تحبه، فكان حبه لك جاذبك إلى حضرته، وحبك إياه حافظاً لك من سوء الأدب في معيته.

وفي حب النبي صلوات الله عليه وسلامه يقول الإمام:

سر الوصول إلى الجناب العالي ... حب النبي محمد والآل
تعطي القبول وترفعن لجنابه ... وتنال ما ترجوه من آمال
والفضل لا يعطي لعلة عامل ... نزه إلهك عن سوى ومثال
كم عامل في ظلمة لا يشهدا ... إلا وساوس نفسه بخيالي
والفضل فضل الله يعطي منةً ... بالحب في طه العزيز الغالي
من لحظة بالحب تشهد وجهه ... وتفوز منه بسره في الحال
تعطي العلوم وتشهدن فترجمن ... بلسان أهل الحب والأبدال
تعطي الجهال فلا يراك مصدق ... إلا ويشهد نورك المتلالي
من أين هذا العلم والنور الذي ... أعطيته من لحظة في الحال
من حب قلبي للحبيب محمد ... نلت الرضا بل نلت كل آمال
أنا يا حبيبي في هواك متيم ... وشهود وجهك بغيتي ونوال
واجه بهذا الوجه مضني مغرم ... يرجوا نوال القرب والإيصال
أنت الوسيلة أنت نور قلوبنا ... أنت الشفيع لحضرة المتعال

ويقول رضي الله عنه عن شمس المحبة:-

هل الحب إلا محو ظل صفاتي ... أهنى بوصل في صفاء حياتي
وما دمت في أوصاف رسمي فإنني ... دعي وفي رسم من الظلمات
تستر شمس الحب أوصافي التي ... بها مقتضى حجبي عن الآيات
فأحيا بأوصاف الحبيب منعما ... بنور الهادي في ضيا مناجاتي
تظللني أنواره ويحيط بي ... ضيا الوجه ما وليت كل جهاتي
يحققني حبي بأني عبده ... يقينا أكون مثاله المشكاتي
هو الحب يجذبني إلى حضرة الصفا ... فنائي بحبي عن علي مقاماتي
هو الحب أفناني وأثبت رتبتي ... أنا العبد تحناني لمجلى الذات
لأرقى مقام القرب يرفع أهله ... هو الحب جذاب إلى الحظوات

هو الحب فضل الله يمنح منة ... لمن سبقت حسناه بالنفحات
هو الحب وصال إلى حضرة الرضا ... ومن ذاقه يفنى عن الجنات
هو الحب خمر أسكر الروح أولا ... وأشهدها التوحيد في الكلمات
ولولاه لم يكشف حجاب ولم يلح ... جمال علي أو ضيا آيات
ومن خصصوا بالحب من قبل كونهم ... همو الأمنا الأفراد أهل العنايات
هو الحب ينسيني حظوظي وشهوتي ... وكل مقام من عظيم الكرامات
أفر به شوقا إلى الله رغبة ... من العالم الأعلى وكشفي وحالاتي
هو الحب نور الله يجعله لمن ... صفاه بحسناه وآي الكمالات
وكل مقام دونه لأولي الصفا ... وهل بعد حب الله من إشارات
أشير قبيل الحب والظل حاجبي ... وفيه اتحادي صح لي بمماتي
وهل بعد حب الله إياي رغبة ... سواه تعالى وهو كل مسراتي

• جواذب المحبوب •

هو الحب جذاب القلوب إلى الرب ... به نيل وصلي بالحبيب بلا حجب
هو الحب معراج إلى حضرة الصفا ... يجملني بجماله حالة القرب
هو الحب خمر الإتصال يديره ... حبيبي إذا صافي بوصل بلا شوب
ولولاه لم أشهد جمالاً مقدساً ... وحبي من أزل يفاض من الغيب
أحب جميلاً قد تجلى بنوره ... فشاهدته بيقين حق بلا ريب
فغيبني حبي له عن حقيقتي ... ونار الهوى بشهوده أحرقت قلبي
تجلى بأسماء الجمال عشقته ... وصح لي الهيمان في حالة الشرب
هو الحب يجذبني هو الخوف مانعي ... عل قريب جنن الروح بالحب
فلا صبر لي عنه وعشقي قاهري ... أنا العبد تحناني إلى حضرة الرب

• الحب سر الصفا •

الحب سر الصفا والحب حبان ... حب اتحاد به سلبي لإمكاني

قرب يؤلهني لجمال حضرته ... فيه فناء البقا والغيب تبياني

والحب في الحضرة الأخرى أكتمه ... فيه بقاء الفنا والمحو ريحاني

غيب عن العالم الأعلى وحيطته ... حبي لأني به طلسمه الثاني

تخفى عن الروح أسراري وظاهرها ... يمحو السوى عن مراد غارق فان

لا لوح يظهر للرائي ولا عجب ... إذ حيطة العرش دون الكشف بعياني

أخفى الضياء معاليمي وأظهرني ... فكنت نورا جليا لا بأكوان

قد كنت مشكاته مصباح طلعته ... وصرت غيبا مصونا نور برهان

هذا هو الحب حب عن معاينة ... فيه محاني عني فيه أحياني

غابت شمائلي الأولي وجملني ... بالإجتلاء وفيه طاب تحناني

حب به أنا محبوب أشاهدني ... أسرار أنواره ببيان قرآن

لا أشهدن حيثما وليت في وجهي ... في هيكلي غير أنوار لديان

لا تحجبن رتبتي الأولى مشاهدتي ... وهو القريب بلا كيف وأكوان

صل إلهي على الشمس التي طلعت ... أحيت قلوبا بأنوار وفرقان

وفي خمر المحبة يقول:

خمر المحبة دار للأرواح ... صرفا فشوقها إلى الفتاح

يسقيه محبوب القلوب محمد ... في حضرة الإطلاق لا الأشباح

دارت علينا من يمين محمد ... خمر تضيئ كطلعة المصباح

لبيك تدعوني إلى الرب العلي ... روحي فداك أدر بلا أقداح

وفي الحب عن شهود يقول:

أحب وما حبي لأني أناجيه ... ولكنني شاهدت نور تجليه

عشقت معان مشرقات بظاهري ... فهيمت في حسن له بيديه
بدا لي في مرآة ذات جماله ... فهمت به وجدا وما أدريه
وتاقت إليه الروح وهي مشوقة ... إلى أن بدا نور الخفا من معانيه
فهامت بمعناه ولبت إجابة ... لداعي الجمال الصرف عن سر باريه
علاني غرامي في شهودي لحسنه ... وزاد إذن ولهي على أهليه
جذبت به عني إليه وصح لي ... لدى المحو تعييني به أو فيه
عشقت وما أدري لدى العشق ... لمن أنا مشتاق ومن أعنيه
إلى أن بدا لي عند ولهي جماله ... بآيات تقديس مع التنزيه
دهشت وقد دكت رواسي عناصري ... وجردت عن حسي وما أدريه
ولكن لطف الفضل ثبت مهجتي ... ومتعني بتنزل التشبيه
بدا لي طه هاديا وهو كعبتي ... به نلت ما أرجو وما أبغيه
عليك صلاة الله يا نور عرشه ... صلاة بها أحظى بنيل مراضيه

وفي الحب الصادق يقول:

قد أنبؤوني أنني لهمو محب صادق ... فأجبتهم يا سادتي أنا في المحبة غارق
لا أبتغي إلا الوصال وأنتمو ... في مهجتي لكمو المقام السابق
لي قد ظهرتم في المشاهد كلها ... حتى نما شوقي ولاح البارق
ما حيلتي إلا التفضح في الهوى ... رفقا إذا دار الشراب الرائق
قبلي الذين رأوه ماتوا خشية ... وأنا الذي قد ذقت منه رقائق
الطور دك وخر موسى مغشياً ... لما بدا هذا الجلال الفائق
ما عزم (ماضي) سادتي ما قدره ... والنار في قلبي ودمعي دافق
إن بحث بالأسرار عذرا فالهوى ... وحياتكم في القلب ليس يفارق
النار لا تخفى وهل يخفى الضنى ... ولدى المحبة لا يعوق العائق؟!
أبداً أراكم في جميع مشاهدي ... وأرى الذي أهواه وهو معانق

وفي الحب والمقام يقول الإمام أبو العزائم:-

* جامع الحقيقة والشريعة *

الحب عن علم المقام هو القرب	والحب عن كشف الحجاب هو الغيب
فالحب بالنسب العلي قرابة	والمشهد الغيب بالمعنى هو الصب
كشف التقرب بالوصف الجميل به	طاب القبول وطاب الوصل والشرب
تمحي المباني بعين الصب إن ظهرت	بهيكل الصب ما ينمو به الحب
قرب القرابة حال الوصف نور سنا	شمس الخلافة والمعطي هو الرب
نور الوراثة عن سر الرسالة قد	وهبت بفضل ونعم الفضل والوهب
فرد تجمل بالعلم اللدني عن	حق اليقين ولا شرق ولا غرب
باب المدينة عن حال الفتوة عن	نور النبوة نعم الذخر والحسب
لسان حكمته العليا وشمس هدى	قد عمم الفضل والإمداد والكسب
شمس الحقيقة بدر الشرع قد كلمت	فيه المعاني ولا فخر ولا عجب

وكان يعتبر الحب أعلى مقامات المريدين:

الحب أعلى مقامات المريدينا	به الوصول إلى رتب المرادينا
الحب حبان حب عن مواجهة	بالإجتلاء وهذا للأقلينا
أو فهم آيات آثار مسخرة	بها الوصول إلى روضات عالينا
فالحب معراج مبتدئ له سبقت	عناية فغدا بالحب مجنونا
والعارف الفرد محبوب لخالقه	فات المقامات تحقيقا وتمكينا
في كل نفس له نور يواجهه	من عالم القدس ترويحا وتعيينا
قد فارق الكون والآيات وانبلجت	أنواره فغدا في الغيب مضنونا
لا يعرف الفرد إلا من له سبقت	عناية الله أو يراه مكنونا
معناه غيب ومبناه مشاهدة	والفرد معنى وليس الفرد تكوينا
يمشي على الأرض في ذل ومسكنة	هام الملائك شوقا فيه وحنينا
أنفاسه النور في الملكوت مشرقة	لكل عالين فأنهم دمت مأمونا

لا يعـــرف الفـــرد إلا ذو مواجهـــة	صـفا فـصوفي فـأحيي الـنهج والـدينا
فـــرد مـــراد لـــذات الله منزلـــه	حظـــائر القـــدس لا أعـــلى وعالينـــا
شـمس نعـم مـشرق ملكـوت خالقـه	بنـــوره جـــل مـــن أولاه بارينـــا
صـلى الإلـه عـلى الفـرد المـراد ومـن	بـــه ننـــال مـــن المعطـــي أمانينـــا

رحم الله أبا العزائم وغفر له ورضي عنه وأرضاه، فقد كان موهبة من الله روحانية للطالبين لربهم القاصدين وجهه سبحانه وتعالى، بالفضل والاه وبالفضل ورثّه عن حضرة رسول الله معارفا وعلوما لدُنيَّة متجاوزا من خلالها، وبالفضل من الله أيضا، المقامات وواصلا إلى الممكن من منتهاها حيث حقيقة حضرة نور رسول الله المانعة لا يتعداها أحد ويقول في معناها أبو العزائم:

العين قد نظرت للعين فانفجرت	عين الحياة وروحي للحمى وصلت

وقد عبر عن هذه المقامات الإمام في مواجيده ومكاشفاته بجديد الرؤى وأعلى المشاهدات ورموز المعاني وأسرار الإلهيات والتأويل بالإشارات والغوض في لب وجوهر دلالات الآيات.. الخ فأباح ما أباح وأخفى ما أخفى من أسرار ومعارف لم يبح به لا في مواجيده ولا في المنثور من كلامه في تراثه حيث (السر) كما كان يقول (أغلى وأعلى).

وقول الإمام (العين قد نظرت للعين) يحتمل معنيين لا أعلم أيهما قصد إليه أبو العزائم، **الأول** هو نتيجة نظر أي تجلي عين حضرة الذات الإلهية على عين حضرة الأسماء الحسنى والصفات والثاني هو نتيجة نظر أي تجلي عين حضرة الذات الإلهية على عين حضرة أنوار الحقيقة المحمدية.. فحصل انفجار هائل وكبير مصاحب بدوي عظيم نتيجة عدم تحمل الحضرة الثانية لطاقة الحضرة الأولى، أخرجت معه الذات الإلهية أعيان الوجود من العدم أو الحياة من الموت أو النور من الظلمات أو أعيان كل شيء من اللاشيء حيث الطاقة هي القدرة على الفعل أو العمل أو الصنع أو الخلق، وقد وصلت روح أبو العزائم إلى هذا الحمى الروحاني والمشهد الروحي علما ومعرفة وتحقيقا، ولكن بما لا يمكن وصفه أو تحديده أو تصوره.

لقد كان الإمام أبو العزائم هائما في أنوار مجالي حضرة الذات الإلهية وهي (سر الحقيقة في غيب التجلي من كنوز الهدية) كما كان يقول، يراها متجلية في المعاني التي تبرزها وتدل عليها المخلوقات والكائنات والمظاهر والشئون وكل ما خلقه وأوجده الله سبحانه وتعالى، ينظر إليها أبو العزائم فلا يرى على التحقيق مبانيها وإنما يرى معانيها التي تدل على قدرة بارئها وعلى حكمته في خلقه وآياته في تدبيره وإحسانه في إيجاده وإتقانه في صنعه وجماله وجلاله وكماله الذي تبرزه أسماؤه الحسنى وصفاته العلى في تجليها (ظهورها) المحيط بكل شيء ودلالاتها على مجلى حضرة الذات الإلهية المجهولة والمخفية (كنت كنزا مخفيا..) الحديث وهو رضي الله عنه يقول عن شهود المعاني في المباني:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن	تغيب المباني والمعاني سواطع
لأن المعاني الشمس والكل أنجم	إذا أشرقت فالنجم بالشمس طالع

ويقول أيضا:

المعاني مشرقات في المباني	والمباني ناطقات بالمعاني
فمرادي لاح نور الحق في أرجائه	ومريد الحق يرجو للتداني
والصفا القدسي يأتي جهرة	لمراد قد وفا لي بالمعاني
يبدو نور القدس فيه منه إذ	بالتخلي عن سوانا قد وعاني
والمكبل بقيود الحس في	سجن نأي عن شهودي وجناني
لا يذوق القرب إلا عندما	تنمحي منه داعيات الكيان
وأخو الأشواق يصفو لي وقد	يعلُه نوري بأنوار القرآن
عندها يمحى سوى عين الصفا	ويلوح السر مني للعيان
يدخل الحانات ذو العزم الذي	قد صفا صدقا ولاح لكل جان
وأخو الهمم العلية يرتقي	للمعالي ويرى عين التداني
يشرب الراح الشهية صرفها	وينادي: عين عيني قد سقاني
وله تجلى الصفات بحقها	من مجالي القدس في نور البيان

والشموس العاليات له أنجلت ... في سماء زينت بالمهرجان
والبدور الزاهرات لقد زهت ... في معان ظاهرات ومبان
حكمت حكما وأبدت نسبا ... شوهدت نسبا لأهل الفرقدان
وتراءت في معان قد خفت ... عن عقول حجبت في ذا الكيان
هي أسرار ولكن طلسمت ... وهو عين قد خفت عن كل عان
فيها منها لها تشهد لها ... وبه منه له ترأى مكاني
قف إذن وأنظر تشاهد كونها ... وبه تحجب عن السر المصان
سر بها منها لها ترى حسنها ... في معاليم أضاءت للعيان
أشرقت أنوارها إذ خفيت ... ذاتها في رتب من ذا القرآن
ذقه صرفا وادكر تحظ بها ... ذاقه أهل الفنا بل والجنان
وتجنن لا تقيد إن ترد ... إن تراها في رياض ومغان
نزهن حضرتها عن نسبة ... وانتساب بدرها من قد نساني
وارتقي عنك وعن ملك علا ... وعن العرش وكرسي المعان
واسر في ليل انمحا عين السوى ... وافن عن نسب تراءت كالعهان
جز بوادي القدس واحرم خالعا ... عنك ما تنأى به من كل دان
عندها تظهر نورا ساطعا ... إذ هو النور المضيء لكل فان
ليس إلا هو تعالى ظاهرا ... قد أتى التبيان في نص القرآن
ولنا المختار وضح ما خفا ... من معاليم الهدى عين البيان
فعليه الله صلى دائما ... ما ترنم ذو اشتياق بالمعان

ويقول في كلامه لولده وتلميذه محمد الصبيحي عليه رحمه الله *عين الفؤاد* ترى المعاني:

لعيون الفؤاد كشف المعاني ... ولتلك الأحداق درك المباني
فالذي ران قلبه بهواه ... لم يرى غير تلكمو الأركان

فهـو يـرأى لكنـه محجـوب ... بحظـوظ الأهـواء والأدران

هـي عـين ولـيس يبـصر فيئـا ... فهـو أدنـى مـن رتبـة النـيران

وأولـو القـرب قلـبهم قـد أضـاء ... بـضياء التـسليم والإيقـان

جعـل الله نـورهم منـه فـضلاً ... فـرأوا غيـب آيـة بالعيـان

وبعـين منـه لهـم شـاهدوه ... بمقـام التنزيـه بعـد البيـان

ظهـر النـور في المعـالم جهـرا ... فـرأوا سر تلكمـو الأكـوان

كتبـت وقـد قيـدت روحـي بهـيكلي ... ليكـشف مـا أرجـوه قـول لـساني

وخاطبـت نفـسي بـالتجرد عنـدما ... تـشوق ناسـوتي لأنـسي بـإخواني

فللـروح أنـس دائـم بـشهودها ... ولكـن ذا الناسـوت مظهـر ثـان

أيأيهـا الجـزء المـتمم صـورتي ... ويـاكـل في التمثيـل كـشف عيـاني

ويـا بعـض هـذا الكـل في عـين غافـل ... وياكلـه في عـين مـن هـو فـان

ويـا عـدما عنـد الكـمال وظـاهرا ... تجمـع أضـداد بـصورة إنـسان

وياطينـة مـن سـافلين قـد ارتقـت ... ويـاسـيدا في مقعـد الـصدق رحمـاني

إليـك صـبيحي نفثـة حـال نـشوة ... تـشير بأنـك دائـم الجمـع روحـاني

أيـا ولـدي شـمس الحقيقـة يهتـدي ... بنـور سـناها المخلـصون ذووا الـشان

وشرع الهـدى يـدعو بـه كـل وارد ... ليطهـر مـن أدران حـظ وشـيطان

أيـا ولـدي عـين اليقـين وحقـه ... يفـاض لمـن وصـلوا مقامـات إحـسان

فنـب يـا صـبيحي عـن محمـد داعيـا ... ويلـغ تحيـاتي لأفـراد إخـواني

وبلـغ أخـاك الفـرد والـصادق الـذي ... تحقـق وجـدا لا بقـول وعرفـان

خليلـك والمحبـوب أحمـد مـن لـه ... مقـام وحـال صـادق بعيـان

ألا قـل لـه وسـطا فكـن ناهجـا عـلى ... رياضـة ناسـوت لـدنيا وديـان

كـذا أنـت أهـل الله جعلـوك خادمـا ... لـدنيا وديـن صـادق العـزم إنـساني

تـشاهد بـالروح العليـة قدسـه ... وتعمـل للـدنيا بمحكـم قـرآن

وبلغه عني بل وعن الكم هنا	تحية أشواق ودعوة رضوان
وبلغ أخي علمي دعائي مكررا	لأهليه والأنجال والأخدان
ألا ياصبيحي سورة الروم وضحت	سيغلب جمعهمو بكل مكان
إذا الكواكب القدسي أشرق ظاهرا	تحف به الأقمار من كيوان
على قلب صديق النبي جميعهم	ووجهتهم للواحد الديان
فدعني صبيحي والحقائق عن غد	وبلغ تحياتي إلى إخواني

وتذوق المعاني عند أبي العزائم هو كشف سر – المادة أي طلسمها، وطلسم المعاني عند الإمام هو رسول الله . وهو الرمز العالي للغيب المصون الذي ليس له مظهر لعيون أي حقيقة. فهو الممد لجميع الرسل قبل شروق شمسه في أفق الحياة الكونية وهو رسل الله نيابة عنه، وهو الممد لورثته من أولياء الله المواجهين لشمسه المحمدية المشرقة أنواره فيهم، وهذا النور المشرق في ورثته ونوابه منه مطلسم وموقوف في تنقله لورثته (ورثة الأنبياء) على أتصالهم بالنسب الأعلى سر قوله (حسين مني).

مرآة للكمالات المورثة (وأنا من حسين)[1] صورة مرموزة مطلسمة. وكما ذكرنا من قبل يقول الإمام أبو العزائم عن الورثة أنهم أشبه بالمرائي، فإن المرآة الأولى التي واجهت الحقيقة المحمدية ورسمت فيه صورته لا فرق بينها وبين آخر مرآة رسُمت فيها تلك الصورة. ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف وبين الإناء والإناء لا ما فيهما، والصورة لم تتغير فهي هي، وتكون المرآة بحسب زمانها فخير مرآة يكون في حيز زمان وكلها حيز، ومن أنكر هذا فقد أنكر قوله (وخاتم النبيين) الأحزاب/ ٤٠[2] وكان الإمام أبو العزائم يقول عن النظر والمدد المحمدي:

أشاهد أنوار الحبيب بباطني	يناولني صرفا من المشروب

ويقول:-

وِفِّي نعم سر الحبيب ونور	"وفيكم رسول الله" قد طمأنت قلبي

(١) حديث «حسين مني وأنا من حسين» ورد في الترمذي وسنن ابن ماجه.

(٢) وفي كتاب (اصطلاحات الصوفية) للإمام أبي العزائم مزيد من المعلومات في هذا الموضوع يمكن الرجوع إليها.

وذلك في إشارة إلى الآية السابعة من سورة الحجرات ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾.

وعن رتبة ومقام خاتم رسل الله يقول:-

وروحي في التجريد يا خير مرسل	لقد شهدت أنوار رتبتك المثلى

الصوفية والتصوف

إن التجربة الصوفية الباطنة في محاولات إتصالها بالملأ الأعلى هي تجربة شخصية لا يمكن لأصحابها، خاصة من الأعلام الثقات، نقلها إلى الغير اللهم إلا لندرة من أفراد معينين ومختارين يبلغون المقام ويرثون العلوم والأحوال بفضل من الله[1] ومن هنا فإن أصحابها يبوحون بالتعبير المحدود أحياناً في نظم بالرمز أو غير المحدود أحياناً أخرى بالنثر عن مشاهدهم الروحية وتجاربهم القلبية الباطنة بأقوال قد يفهمها العاديون من الناس وقد لا يفهمونها، ربما لقصور اللفظ اللغوي عن بيانه الحقائق التي تتمخص عن هذه التجارب الروحية الباطنة التي تتصل مباشرة بشخصية صاحبها ورؤاه ومعارفه عن الحقيقة المطلقة التي يمثلها الحق المطلق والإله رب العالمين" ومن هنا كان حديث أعلام الصوفية الثقات عن المقامات التي ربما كان أعلاها الاتحاد بوحدة الشهود وليس بوحدة الوجود.

وليس معنى هذا أن التصوف يجتاز حدود العقل أو يتجهم له أو لا يعبأ بالتأملات الفكرية كما يقول السطحيون من الناس فإن أعلام التصوف الإسلامي كانوا من كبار العلماء وجمعوا بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة في نفس الوقت الواحد ومن مثل هؤلاء الأئمة الحسن البصري والقشيري والغزالي والجيلاني والشاذلي وأبو العزائم

([1]) المأثور عن الشيخ أبو الحسن الشاذلي أنه كان يقول لتلميذه وخليفته للشيخ أبو العباس المرسي (ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت)، وهو نوع من تآلف الأرواح الذي حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

ولكنا نقول، مع ذلك، أن مشاهد التجارب الروحية الشخصية التي تتصل بقدرات القلب وعقل الروح في الإنسان يمكن أن تسفر عنها نتائج من المعارف والرؤى التي تعلو على الإدراك الإنساني المرتبط بالحواس في عالم الشهادة والمادة والتجريب إلى إدراك زائد على الحواس[1] أو فوق الحواس نتيجة الالتزام الكامل بتعاليم وأحكام شريعة الله الخاتمة، شريعة محمد رسول الله كما جاء بها القرآن الكريم وجوهره في الحقيقة وهو الكلمة الإلهية الأخيرة بالدين كله.

ولذلك كان الإمام أبو العزائم يقول عن مكاشفاته وفتوحاته القلبية الروحية (ليس للعقل أن يذوق مدامي) وهو كان بذلك معبراً عن الحق والحقيقة في الأمور حيث أن المعلومات والعلوم الناتجة عن كشف البصيرة وإلهام القلب وعلو وصفاء الروح تختلف عن المعلومات والعلوم الناتجة عن التفكير والتأمل العقلي والتجريب الحسي والاختبار المعملي.

إن قدرة الإنسان على الملاحظة بالنسبة للمحسوسات والمحدثات والماديات لا تستطيع أن تمتد لغير جزء ضئيل نسبياً من الحقيقة الكلية ومن ثم فإننا لا نستطيع بعقولنا وحواسنا المحدودة وحدها أن تدرك أو ترى الحقيقة في إطلاقها وصورتها التي هي كائنة عليها فعلا وكما خلقها الله. إن (الحقيقة) كما أن لها مظهراً فيزيقياً محدود بحدود العقل والحس فإن لها أيضا مظهراً روحيا غير محدود بحدود العقل المرتبط بالحواس وفي حدودها وإمكاناتها ومن ثم فهي ترى رؤية أكثر وضوحاً وأقرب إلى الصحة وفي أبعاد لا يعرفها العقل والحس المقيدان بالوسائط

والأبعاد الكونية التي يعملان في إطارها. وذلك يعني أن (الحقيقة) من حيث نظرة الروح إليها في نورانيتها الملهمة وقوتها وطاقتها العالية وإدراكها الواعي لها مغايرة لما يراه العقل الواعي المقيد بالمخ والجهاز العصبي المركزي والحواس وتأثيرات البيئة، وإن كان الاثنان وجهين لرؤية نفس الشيء، الروح في الإطلاق من عالم الأحد والغيب، والعقل في النسبية في عالم الخلق والشهادة، والله سبحانه وتعالى له الأمر والخلق وعالم الغيب والشهادة. وبناء على ذلك فإن ما يدركه الإنسان ويعتبره (حقيقة) في حدود عقله وقدراته الفيزيقية – حتى في أعلى درجات التجريد الرياضي – قد لا

(1) (E.S.P.) (EXTRA SENSORY PERCEOTION).

يكون بالضرورة مطابقاً لما يدركه بشفافية الروحية أو ببصيرته أو في مستوى إدراكه الزائد على الحواس .(E.S.P) وعلى كل حال فالإنسان يدرك بعقله المؤمن أن هناك عالم روحي غائب عنا تحكمه قوانين مغايرة للقوانين الفيزيقية التي تحكم عالمنا الطبيعي المشهود. وإنه في ظل هذه الحقائق يمكننا أن نفهم ما يقوله الإمام أبو العزائم من أن (ليس للعقل أن يذوق مدامي) حيث مكاشفاته الروحية ولذلك يقول الإمام أبو العزائم:

سلِّم أيا عقلي وسوحي نفختي	في عالم الأرواح والتقديس
كي تشرفي حال الصفا على الضيا	في غيب غيب فوق نور قدوس
الله أكبر كيف تشهد ظلمة	غيبا فلا يدري بكشف قيس
الغيب فوق العقل والأرواح في	شوق إلى راح بغير كؤوس

وإنه في ظل ما أوردناه من حقائق يمكننا أن نفهم ما يقوله الإمام أبو العزائم من أن (ليس للعقل أن يذوق مدامي) حيث أن مكاشفاته الروحية ومشاهداته الإيمانية والإحسانية والإيقانية كان يرى معها في أوقات معينة ما لا نرى في العادة، ويتحقق بما لا تتحقق به في المعتاد ونحن في حالات من (الفرق) نكون فيه متقلبين بين الحضور والسهو وبين الذكر والغفلة وبين الكشف والغطاء.

إن العلوم والمعارف تولد (رؤية) وأمخاخنا وأجهزتنا العصبية المركزية وحواسنا عندما تتصل بها عقولنا تولد رؤية ولكنها قد تكون (خادعة) فلا ترى الحقيقة بالبصر المتعرض للخداع وذلك في نطاق علم وعالم الشهادة، أما بقلوبنا الفاقهة وأرواحنا العاقلة في إدراكها الزائد على الحواس (E.S.P) فإننا في نطاق علم وعالم الغيب، نرى الحقيقة في كيانها الذي تكون فيه أو تكون عليه دون خداع بصري وإنما بصدق البصيرة وتصديق الفؤاد وهي الحالة التي تحقق بها محمد رسول الله ﷺ عند رؤية الآيات وكبرى الآيات في المعراج وقال فيها القرآن الكريم ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴾ [النجم/ ١٧] وقال أيضاً ﴿ مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰ ﴾ [النجم/ ١١] وهذا النوع أو المستوى من العلم يقول فيه القرآن الكريم ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ [النجم/

٣٥](1). إن علم الشهادة يولد رؤية فيما يظهر وعلم الغيب يولد رؤية فيما يخفى أو يزيد على قدرات حواس الإنسان المعروفة، كما مثلا في الجلاء البصري CLAIRVO YANCE)).

ومشاهد ومكاشفات الإمام أبي العزائم كانت في مقام ومستوى رؤية ما غاب أو يغيب عنا فيما يخفى أو يزيد على قدرات حواسنا العادية وإمكانات عقولنا المتصلة بها وبأمخاخنا وأجهزتنا العصبية المركزية، ولذلك قال رضي الله عنه ما ذكرناه من قوله (ليس للعقل أن يذوق مدامي) فهو مدام خارج عن عالم الشهادة وواقعه وحقائقه النسبية التي ندركها عادة بمقاييسنا من ظاهر الحياة الدنيا في اتصالها بالطبيعة المحسوسة وما نراه في المعتاد بحواسنا المحدودة التي لا تعكس دائماً الحقيقة.

إن أقرب ما يوصلنا إلى مشاهد الروح ومكاشفاتها وعلومها عن الإلوهية، والحقيقة الروحية المحمدية، وسائر الأرواح، ومظاهر المخلوقات العاكسة الأسماء والصفات وتجلياتها، أقرب ما يوصلنا إلى مشاهد الروح وعلومها هو العلم الحديث فيما يتناوله من مفهوم (الطاقة)(2)، وبذلك نقيم الوصلة بين الروح، والعقل، ولا نفصم بينهما، لأنهما متكاملان، وأياً كان الأمر لابد أن نلجأ إلى العقل لفهم مشاهد الروح بالقدر الذي يتفهمه العقل ذاته أو يسلم به. وإذا كانت علوم مشاهد الروح، أو البصيرة، أو الذوق الصوفي في الماضي، تجنب العقل فهم مشاهدها وتراه قاصراً على أن يدرك بيانها فإن الأمر يختلف في عصرنا الحالي الذي تقدمت فيه العلوم الحديثة في الطبيعة، والكون، والإنسان، وعلم الروح الحديث، وعلوم ما وراء الحس المعروفة بالباراسيكولوجي، وعلم ما وراء الطبيعة المعروفة بالميتافيزيقا.. وأمكنها بذلك إيجاد تفسير لكثير من الحقائق الروحية، أو الغيبية التي تحدثت عنها الأديان انعكست في كلام أئمة الصوفية الثقات كما في كلام الإمام أبي العزائم – رضوان الله عليهم جميعاً – منذ القديم وحتى الآن.. ومن هنا فإن طبيعة عصرنا العلمية ومستقبل العلوم في

---

(1) نزلت في الوليد بن المغيرة.

(2) أفردنا كتابا مستقلا في هذا الموضوع.

القرن الحادي والعشرين وما يليه ستجعل الرباط قوي ومتكامل بين مشاهد الروح ومكاشفاتها التجريدية، ومشاهد العقل الطبيعية والتجريبية، أي : الرموز الرياضية، التي تفسر الحقائق الكونية.. وبهذا تظهر لنا عظمة القرآن، كما تظهر لنا أسرار علوم الحقيقة في قالب من الفهم العقلي والتفسير العلمي لها، لأنهما يعكسان الحق في الكون منظور إليه روحياً أو عقلياً، وبذلك يتوحد الحق في الآيات القرآنية، والخلقية الكونية والإنسانية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت/ ٥٣].

والحقيقة أن علوم الطبيعة، والإنسان التي يتوصل إليها العلماء المؤمنون بعقولهم لا تتعارض أبداً مع علوم مشاهد الروح للطبيعة والإنسان التي يتوصل إليها العلماء ببصيرتهم الروحية.. فهؤلاء وأولئك داخلون في محيط العلماء الذين يقول فيهم القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر: ٢٨]، وقد جاءت هذه الآية بعد كلام القرآن عن العلوم الطبيعية الكونية وتكوينها.. والإنسان، والحيوان، والحشرات والتي تقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[فاطر: ٢٧-٢٨].

فالعلوم المتداخلة يكمل بعضها البعض، وهي بحر لا ساحل له، أو أفق لا آخر له، وهو معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: ٧٦]. ولابد أن يكون العلم – أياً كان مصدره – مقروناً بالإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه فذلك هو الذي يربط بين العلوم بمصدرها العقلي المؤمن ومصدرها الروحي الملهم أو المكاشف كما أنه لابد من توجيه العلوم وجهة ربانية، أو أخلاقية قوامها الإيمان بالله وتوحيده وتقواه حتى يستعمل العلم في النفع وليس في الإضرار، وفي الخير، وليس في الشر، وفي إسعاد الإنسان، وليس في إشقائه، وبذلك يمكن للعلم أن تزداد إلهاماته وتتسع آفاقه يلهم الله به من يشاء من عباده بما يشاء من القدر مما يعلمه هو سبحانه

وتعالى فهو يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم سر قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ولا ينبغي معاداة علم من العلوم نتيجة الجهل به، أو نتيجة الأسلوب الذي يتناول به المعلوم، فكل العلوم ضرورية في الطريق المؤدي إلى القرب من الله سبحانه وتعالى والمعرفة به، والعلم كله مختزن في العالم كله، كما هو في علم الله، بمعنى تكامل المعلومات وإضافة بعضها إلى البعض، في الطريق العلمي الموصل إلى الحق بواسطة التخصصات المتنوعة في شتى العلوم وفروعها، ما كان منها ذو صلة مباشرة بأمور الدنيا، أو ما كان منها ذو صلة مباشرة بأمور الآخرة التي يقول فيها – سبحانه وتعالى –: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، ذلك أن الفقه في علوم الدين لابد أن يكون مقترناً بخشية الله وحق تقاته، ليولد الإنذار والتحذير من عذاب الله أو غضبه.. فالفقه هو في علوم المعاملات وفي علوم جوهر الدين، وحقيقته المؤدية إلى الحذر من الآخرة سر قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وهذا كان معنى وكانت حقيقة الفقه في الدين في عهد النبوة.

إن مشاهد ومكاشفات الروح القوي الملهم نتيجة التواصل مع ربه، ومشاهد واكتشافات العقل المؤمن المتحلي بمقامات اليقين الثلاثة (علماً وعيناً وحقاً) سيتوافقان في نتائجهما النهائية عند الإنسان المؤمن عندما يشهد آيات الله الواحد الأحد في آفاق الكون الطبيعي وقواه وطاقاته وفي الأنفس الإنسانية بالإيمان الذي يتبين معه (الحق) وتتبين معه (الحقيقة) في القرآن الكريم وفي الكون العظيم متطابقين في (وحدة) للحق والحقيقة ولمشاهد الأحدية الإلهية المحيطة والوحدانية والواحدية وهي المقامات التي بين معانيها الإمام أبو العزائم عندما تحدث عن علوم ومقامات ومشاهد التوحيد[1].

ومع ذلك سيظل لعلوم ومعلومات الروح ومكاشفاتها وما تتذوقه منها، ولعلوم ومعلومات العقل واكتشافاته وما يتذوقه منها، سيظل لهما مجريين مختلفين لبحرين

[1] أوردناها عنه رضي الله عنه في غير هذا الموضوع من الكتاب.

مرجعهما الله سبحانه وتعالى، يلتقيان عند الإيمان والإحسان واليقين والدرجات العُلى، ولكن يظل بينهما مع ذلك برزخ بين طبيعتهما وفيما يتذوقانه، لا يبغيان.

لقد كان الإمام أبو العزائم مُجددا للتصوف الإسلامي السني أي المؤسس على الكتاب والسنة والملتزم بهما في الاعتقاد والسلوك والتربية والتزكية للنفس، التصوف الذي يحقق الثقة بالنفس ويعمل على توازن الشخصية الذاتية للإنسان بين الجسدية والروحية في وسطية كانت هي مسلك أبي العزائم في طريقه الصوفي المبني على مقام الإحسان يدعو من خلاله كل مريد إلى أن يؤدي واجبه الدينيوي في مجتمعه وهو نقي الضمير، طاهر النفس، محسن في أقواله وأعماله وأخلاقه ينهج في سلوكه الديني نهج الوسطية التي ينبني عليها الدين الإسلامي، وليهتم بتوجيه نفسه نحو صالح المجتمع الذي يعتبر لبنة من لبناته ويمثل بشخصه في أخلاقه الفاضلة وتربيته الروحية المعتدلة، نموذج الإنسان الذي تحوطه تقوى الله وخشيته ورقابته الدائمة لتنتج العمل المتقن والمعاملة الحسنة والإخلاص للوطن. إن الإمام أبو العزائم قد نفذ إلى جوهر وروح معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومقاصدهما ومشاهد الآيات ودلالاتها وتجليات الأسماء وإحاطتها جامعا بين وحدة الشهود ووحدانيته واجب الوجود ومنتهى مقامات التوحيد في الأحدية والوحدانية والواحدية، وتلقي بالفضل من الله ورسوله علوماً ومعارفاً مكنته من تجديد الخطاب الديني والخطاب الصوفي ومشاهدهما في مقامات له يصعب علينا الإحاطة بها أو فك رموزها التي نطق بها أو عبر عنها أو أشار إليها صراحة أحياناً وضمنا أحيانا أخرى، ولكن من تقرب أقترب ومن ذاق عرف ومن أحب أرتوى.

الصوفية

إن الأئمة الصوفية الثقات وهم كثيرون لهم مشاهد ورؤى شخصية يتفرد بها صاحبها، قد تتبين لناس من المؤمنين ولا تتبين لغيرهم خاصة من غير المؤمنين، وتتضمن في فحواها معارفاً ومعلومات يمكن أن ينظر لها بالاعتبار الذين يفهمون معانيها المشهودة والمرئية المعبر عنها باللغة، والتي تعلو في مضامينها عما يتوفر من

معارف وعلوم مادية تخضع للحس والتجربة وهي علوم ومعارف تتصل في كثير من الأحيان بالإدراك فوق الحسي (E.S.P.) وهو إدراك مصدره القلب المؤمن الذي يعقل الأمور ويعقل هذه المشاهد والرؤى الشخصية المجرية من أصحابها ولازالت تحتاج من العلماء إلى بحث ودراسة فيما وراء الطبيعة من القوى القلبية والعقلية والنفسية والروحية.

ومما يقوله الإمام أبو العزائم عن الصوفي وأوصافه:

الصوفي: من جاهد نفسه في ذات الله بتوفيق الله، حتى صفا قلبه، ووقته، وحاله، فصافاه الله تعالى فسمى صوفيا.

أوصافه:

- الصوفي: جاهد نفسه في الله، حتى أطاعته، وأنسلخ من مقتضيات نقائصه، كما ينسلخ الليل من النهار.
- الصوفي: دائم التصفية، يصفي الأوقات من شوب الأكدار، بتصفية القلب من شوب النفس.
- الصوفي: لا يسأل ولا يرد، وهو أوثق بما في يد الله، مما في نفسه.
- الصوفي: عمل بكتاب الله مجاهداً، وسنة رسول الله مشاهداً.
- الصوفي: مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس.
- الصوفي: علم قدر الدنيا والآخرة، فقدم ما يبقي على ما يفني، وباع ما يزول بما يدوم.
- الصوفي : عرف قدر الدنيا بالتعليم، وتحقق زوالها بالتفكير، وأيقن أن بعدها داراً هي الدار حقاً، لا يسعد فيها إلا من تخلى عن دنس الأجسام، وخبث الشياطين، ودناءة البهائم، وبلادة النباتات، وثقل الجمادات، حتى يتشبه بعالم الملكوت الأعلى.

- الصوفي: قوي في دين الله لا تأخذه لومة لائم في الله، شهد الحق حقاً فأتبعه مسارعاً، وشهد الباطل باطلاً فأجتنبه فازعاً، يغار لله ولسنة رسول الله .
- الصوفي: من حفظ قلبه صافياً لله، وعلق بالعبادة، وانقطع إلى الله تعالى، وأعرض عن زخرف الدنيا وزينتها، بالزهد فيما يقبل عليه العامة من لذة، ومال، وجاه، وهو دائماً في شغل عن الخلق بالخلوة مع الله للتعبد.

الصوفية وهويتهم:

الصوفية: هم أهل الله الصالحون، الذين تحروا الرشد في سلوكهم طريق الله تعالى، فلم تشتبه عليهم المسالك، ولم تشطح بهم الأهواء.

هويتهم:

- الصوفية: هم أنصار الله ورسوله في كل زمان ومكان سترهم الله عن أعين الجهلاء، وأخفاهم عن أهل الظلم والطغيان، ولكنهم هم النجدة عند الشدة، والقوة عند الضعف، والحصون عند الخوف.
- الصوفية: هم المقبلون بكليتهم على الحق، الملتفتون عن جانب الغرور والفناء إلى اليقين الحق والبقاء، وهم الرجال الذين عرفوا قدر الدنيا والآخرة، وفروا إلى الله تعالى مع حفظ الأدب مع الله تعالى بالوقوف عند الأسباب، التي وضعها الحق مرتبطة بعضها ببعض.
- الصوفية: رجال نظروا إلى الدنيا بعين الاحتقار، فلم ينافسوا أهلها ولكنهم أهتموا بتنبيههم إلى حكمة إيجادهم فيها، وإلى الواجب عليهم، ليكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، وأقبلوا بالكلية على تزكية نفوسهم، وتحصيل العلم النافع الموصل إلى نيل الخير الحقيقي.
- هم صفوة الله تعالى، الذي أجتباهم من الأزل فوفقهم وأعانهم، وشرح لمحابه ومراضيه صدورهم، لأن بدايتهم المجاهدة في الطلب.

•الصوفية: جعل الله لهم نوراً استبان لهم به حقيقة الدنيا والآخرة، وحقيقة أنفسهم، وحكمة إيجاد الإنسان وإمداده، وتسخير الكائنات له، فسارعوا إلى ما به نيل ما أعده الله للإنسان في تلك الدار الدنيا، من البهجة بالعلم، والأنس بالشهود، والعمل بمحابه ومراضيه سبحانه، أو في الآخرة من جوار أنبيائه الأطهار، وأوليائه الأخيار.

•الصوفية: إن من الناس من يأكل بذل السؤال، ومن الناس من يأكل بتعب كالتجار، ومن الناس من يأكل بامتهان كالصناع، أما الصوفية فيأكلون بعز، يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة.

أدعياء الصوفية: لأدعياء الصوفية، وقاطعي طريق الله، على أنفسهم ستار موهوم أسدلوه، لتضليل البسطاء، وإغواء الأبرياء، والتحايل على العيش من وراء هذا الافتراء، وإن الشيطان لم ينل من المسلمين ما ناله الفساق من أدعياء الصوفية بالباطل.

طريق الصوفية: طريق الأخذ بالعزائم، وقهر النفس على غير مألوفاتها، ليصفو جوهرها، وهو للقليل أهل الخصوصية وليس للعامة قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص: ٢٤).

طريق الصوفية في المعرفة: آمنوا بما جاء به رسول الله ، ثم سلكوا طريق مجاهدتهم أنفسهم، حتى صفت نفوسهم وتطهرت، وصارت مجردة عن الحظوظ والأهواء، فعلمهم الله علم ما لم يكونوا يعلمون، وجعل لهم نوراً في بصائرهم، يشهدون بها حقائق الكائنات، ويعلمون بها أنفسهم، والنشأة الأولى، والنشأة الآخرة، وطريقهم هذا خاص لخاص، لا يؤهل له إلا من سبقت لهم الحسنى من الله تعالى، حقيقة قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾[البقرة/ ٢٨٢] وقوله تعالى ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال/ ٢٩] وقول رسوله (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

الإمام أبو العزائم عن التصوف

التصوف مذهب قديم ومنهج سابق:

ذكر الإمام عن التصوف[1] أنه: مذهب قديم ومنهج سابق وفق الله له المقربين، وقد تحمل بهذا المذهب كثيرون من الصحابة في عصر رسول الله وهم أهل الصفة من أئمة الصحابة كأبي ذر وصهيب وسلمان وسعيد بن جذيمة والعبادلة وبلال وأبي رافع مولى رسول الله ، ورضي الله عنهم أجمعين.

ويبين الإمام أن كلمة التصوف اصطلح عليها أهل المجاهدة، وأن الذي يستحسنه الإمام فيها أنها مأخوذة من الصفاء، فالصوفي من جاهد نفسه في ذات الله بتوفيق الله حتى صفا قلبه ووقته وحاله فصافاه الله فسمي صوفياً، وهو فعل ماضي مبني للمجهول، ويقول: ولولا أن اللفظ مضبوط بالرواية لقلت: إنه صفي، نسبة إل أهل الصفة الذين أقبلوا بكليتهم على الله ورسوله مجاهدين أنفسهم في ذات الله.

يقول الإمام في إحدى قصائده[2]:

لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهة صفا فصوفي فأحيا النهج والدينا

ورجال التصوف هم في كل عصر وزمان أئمة الهدى، وسرج الدلالة، ومصابيح الظلمة، وهم أهل الله الذين فرغت قلوبهم مما سواه، وصفت لطائف قلوبهم فأشرفت على الملكوت الأعلى، وظفروا بأسرار العلوم وحقائق الفهوم، وهم المحدثون الذين أخبر رسول الله عنهم، الذين تتلقى قلوبهم عن ربهم، وهم الذين أمرهم رسول الله بأن يستفتوا قلوبهم لصفائها وإن أفتاهم المفتون، ولكنهم قليل.

وقد دخل فيهم الدخيل من المتمصوفة – وهؤلاء هم الذين اتخذوا التصوف حرفة، والصوفية ستاراً يجمعون من ورائه حطام الدنيا، ويسعون لنيل حظوظهم وأهوائهم وشهواتهم، حرفوا معاني المجاهدة والعمل في التصوف إلى تواكل وبطالة، واستبدلوا حياة التجريد بعيشة الثريد، والعلم والمعرفة بالجهالة والخرافة، مما كان سبباً

(1) في كتابه : "أصول الوصول:.
(2) ديوان ضياء القلوب، قصيدة: ٩٤٧٦.

في أن يشنع الكثيرون على التصوف وأهله.

والحقيقة أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين في علومهم فسمعوا الحديث، ونظروا في الأحاديث، وقرأوا القرآن واشتغلوا بتدبره، ونظروا في أصول الدين وعلم الفقه، فالبداية فقهية والنهاية صوفية، ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء، وأصحاب الحديث ولم يحط بما أحاطوا به فإنه يرجع فيما وقع له من المسائل إلى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة، وهم أصحاب العلوم الظاهرة.

والصوفية يلزمون أنفسهم بالأخذ بالأغلظ والأشق، ثم إنهم خُصوا مع ذلك بعلوم عالية، وأحوال شريفة، ومقامات رفيعة، فتكلموا في علوم المعاملات، وعيوب النفس، وآفات القلب، وشريف المقامات مثل اليقظة، والتوبة، والزهد، والخشية، والمراقبة، واليقين، والشرك الخفي والعوارض، والأذكار، وتجريد التوحيد، ومنازل التفريد، وغير ذلك، فهم حماة الدين وأنصاره وأعوانه، وهم ورثة الأنبياء.

وأول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على المطلوب، والموهبة تبلغ غاية الأمل.

و "التصوف" عند الإمام كما يبين في جوامع كلمه:

- الأخذ بالأصول، والترك للفضول، والتشمر للوصول.
- ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع.
- حمل النفس على الشدائد، للري من أشرف الموارد.
- مفارقة الأشرار، ومصادقة الأخيار، ومتابعة الآثار والأخبار.

الشريعة والحقيقة والطريقة:

عرف الإمام الشريعة والحقيقة والطريقة، وبين أنه لا تعارض بينها في ظل الكتاب والسنة، فليس هناك حقيقة تزيد أو تنقص من الشريعة ولا تعطل شيئاً من أحكامها، وإنما الحقيقة فهم في المعنويات، وفهم في الكمالات التعبدية، والتحليات

الأخلاقية. وأما الطريقة فهي السبيل إلى الله التي تفيض على السالك النور، وتضفي عليه الأحاسيس العميقة بالربانية السارية في هيكله حتى تحفه الرحمات والبركات.

الإمام يحذر من الدعاة المغالين:

يذكر الإمام أن من الدعاة الجهلاء من يجلسون في وسط العامة فيذكرون اسم ولي من أولياء الله، ويبثون عنه الأقاصيص التي تفيد أنه ينفع ويضر، وأن من يتبعه يكثر ماله وأولاده، وأن من زار قبرة تُقضي حوائجه ويموت أعداؤه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل، حتى يرغب الناس، فحذر الإمام من هؤلاء وبين أن الضرر بذلك من جهتين:

من جهة أنهم يتبعون طريقة لعاجل فان، فيكونون ممن يعبدون الله على حرف.

ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التي لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره، لأن النافع هو الله، ويحرمون النفع من الجهة التي ينتفع منها لأن الله أقامه سبباً للنفع، وهي جهة تلقي العلوم، وفهم فقه القرآن الشريف، وتزكية النفس، وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام، والتجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التي لا تُذكر الدنيا في جانبها بشيء إلا كما يذكر العدم مع الوجود.

وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذي يدعون إليه متوفيا وليست له كتب علمية ينفع بها من يقتدي به، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحرمانه من طلب الرجل العالم الذي جعله الله نوراً، والانتفاع بعلمه والاقتداء بعمله[1].

وقد كان الإمام يقول أن هناك أصلان للوصول إلى الله تعالى في الطريق إليه الذي يطلبه فيه العبد، وهما:-

- صفاء جوهر النفس.
- استقامة الطريق.

[1] في كتابه : "مذكرة المرشدين والمسترشدين.

وأن أمهات الكبائر والخطايا هي الكبر والطمع والحسد وكل الرذائل ترجع إلى أصل من تلك الأصول. والأخلاق عند الإمام أبي العزائم هي الأساس الذي تنبني عليه شخصية السالكين للطريق إلى الله، يقول:

هي الأخلاق أسرار المعالي ... تفاض على أولي الهمم العوالي
ترى الإنسان إنسانا عيانا ... وتشهده بها نور المثال
يلوح عليه نور الوصف يجلي ... كما يجلي على الملك الموالي
بأخلاق المهيمن قد تحلى ... فحل مقام أعلى بالجمال
فذلي للعلى به فخاري ... وفقدي للغنى به نوالي
بأضداد الصفات أنال قربي ... وأحظى من إلهي بالوصال

والإمام يقول:- "ليس كل من صلى وصام وزكى وحج يكون كامل الإسلام حتى تكتمل أخلاقه وتطهر صفاته وتزكو نفسه وتحسن معاملته لجميع إخوانه والناس أجمعين، فالمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والإسلام ليس طهارة بالماء لأن الماء لا يطهر الخبائث النفسانية ولا يزكي النفوس الشيطانية ولا يكون المسلم مسلما إلا إذا أحب لأخيه ما يحبه لنفسه وبذلك يحسب مسلما حقاً عدلا عند الله وعند عباده.

وقد بين الإمام جملة من الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يكون عليها المسلم ومنها الصدق وهو الصفة التي تحقق الإنسان بمقامات اليقين، ومنها الأمانة والوفاء بالعهد ومعاونة الأخوة وإكرام الضيف وصلة الرحم وإكرام الجار وإغاثة الملهوف وتقديم النصيحة وعيادة المريض وحفظ اللسان والبطن والفرج والتباعد عن البدعة والسعي في محو الفتن والصلح بين الناس وقضاء حاجة السائل وإدخال السرور على قلوب المسلمين وستر عوراتهم والاجتهاد في تأليف قلوبهم على الحق والصبر على الشدائد والثقة بالله تعالى والاعتماد عليه والتوكل عليه وشكر النعمة وعدم المكافأة بالسيئة والعفو عمن ظلمه وإخفاء النقمة والإحسان إليه وعدم أذيته كما أذاه. ومنها عزة النفس بالثقة واليقين بالله تعالى ومنها الود في الله والزيارة في الله والإكرام في الله بدون أن يقصد مكافأة إلا من الله تعالى. ومنها الرحمة والشفقة ومعاملة الناس الكبير

كالوالد والمساوي كالأخ والصغير كالولد. ومنها أن يحب من أحبهم الله ورسوله ويكره من كرههم الله ورسوله. ومنها أن يزن كل أعماله وأقواله بميزان الشرع محافظة منه لله سبحانه وتعالى ومراقبة له سبحانه، وسواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملات أو في الأخلاق ." انتهى. كذلك كان الإمام يقول في تعريف التربية[1] إنها عمارة كل وقت من أوقات السالك فيما أقتضاه الوقت من اللازم الشرعي من عمل قلبي فقط أو عمل بدني فقط أو عمل مزدوج منهما وبذلك ينتقل على معارج القرب في كل لمحة ونفس لأن الزمن هو المراحل التي ينتقل منها إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى وإنما العمر هو المسافة التي بين العبد وربه)إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى(العلق/ ٨ فكلما مضى من عمره نفس انتقل مرحلة إلى ربه وفي كل نفس له كمالات يتحمل بها اذا عمر الوقت بواجبه فإن أهمل خسر الوقت وخسر الربح فيه، وطولب بواجبه لأن تلك الصحف تُرسم فيها صور الأعمال محلاة بنور القبول والثناء من الله، أو بظلمة من المعصية والمقت من الله، ولا يعد المريد سالكا على الطريق إذا لم يحط علما بواجب الأوقات وبصحبة من سلك، وعرف المبدأ والمرجع وتمكن من معرفة النفوس وعلم أمراضها ودوائها وتكميلها". أما أسس التربية عند الإمام فأولها المحبة وثانيها المجاهدات بأنواعها الثلاثة وثالثها علوم الرسالة الخمسة التي علمها رسول الله ﷺ لأمته والتي وردت في الآية ١٥١ من سورة البقرة ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

التصوف

إن التجربة الصوفية تبني على الاختيار والتأهيل الإلهين للإنسان ولا تبني على الجدارة والاستحقاق (كل ميسر لما خلق له) وإن كانت العبادة، خاصة الصلاة، هي السبيل إلى إرتقاء الصوفي في المقامات الشهودية والقرب من الله سبحانه وتعالى وتحقيق الصلة به سبحانه بعد تصفية النفس والذكر الكثير، وبعض الناس يقارنون بين الإسلام والتصوف وهي مقارنة خاطئة لأن الإسلام أوسع وأشمل من التجربة

[1] في كتاب "معارج المقربين" ومعناها في مفهومها العام هو الطريق في الطاعة إلى الله تعالى.

الروحية التي يمر بها المتصوف ولأن التصوف جزء من الدين الإسلامي يتخصص باتباع القرآن وشريعته والسنة المحمدية ومشتملاتها، ويتخصص في التربية الروحية للإنسان وسلوكه بالإيمان والتقوى وضبط النفس والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة.

والصوفي كما يقول الإمام أبو العزائم هو من صفا قلبه ووقته وحاله وصافاه الله فسمي "صوفي" فعل مبنى للمجهول والروح المنفوخ منه من الله في الإنسان هي المسؤولة عن تحويل النشاطات الكهروكيمائية في المخ إلى الأحاسيس والمشاعر والإبداع والتفكير المجرد وهي المسؤولة أيضاً عن استقبال وإرسال الإدراكات فوق الحسية التي ستظل في حاجة إلى جهاز استقبال وإرسال تجاوز آليات المخ المستخدمة في استقبال وإرسال الأحاسيس المعقدة، إن الديانات السماوية وما بها من تصوف تمد الإنسان بشيء من السمو النفسي وتفرز حقيقة وجود الإله وتسمح بالعبادة والذكر بالتقارب منه والتقرب إليه وهو في الحقيقة تقريب منه لنا لأن طلبنا له هو من طلبه لنا ولولا طلبه لنا ما طلبناه نحن[1]. والدين في جوهره "واحد" في كل إصداراته وينبغي النظر إليه في هذه الوحدة بحيادية في غير انحياز وبفكر يستشف المضمون دون زيغ من هوى أو موروث أو موقف محدد أو شعور منكر أو منجاز.

ويخبرنا منُزل الأديان السماوية سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن هذا الدين الواحد هو "الإسلام" بشريعته وحقيقته يتضمنها هذا الكتاب الإلهي الخاتم لكل الكتب السماوية السابقة عليه، القرآن المحفوظ من منزله رب العالمين.

وهو المهيمن عليها: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[الشورى: ١٣].

(1) وهكذا كان يقول الإمام أبو العزائم فيما جاء في كتابه "أصول الوصول لمعية الرسول" من ان (طلبك له سبحانه هو عين طلبه لك ولولا طلبه لك ما طلبته فانت مطلوب به ومطلوب له ولا أثر لك في طلبك له إنما به مطلوب وبه طالب وإلا فمن وفق الطالبين حتى يطلبوا؟!) إنما ينتسب الطلب لنفسه من لم يوجد مطلوبه.

وهذا الدين الواحد هو الذي كمل واكتمل برسالة محمد رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

لتتمسك به البشرية ويلتزم بالإيمان به كل إنسان وجان ولتتوحد الإنسانية في إطاره وفي ظلاله وظلال قرآنه. أن كل دعوة أو طريق يحيد عن الدين في إسلامه وتسليمه وسلامه مع المولي عز وجل ومع النفس ومع الآخرين هو دعوة وطريق يتجاوز الحق إلى غيره ويعرقل الوحدة الإنسانية ويؤدي إلى التفرق والاختلاف ولا ينتج عنه إلا الجدل بالباطل وفساد حججه التي تفتقر دائماً إلى الحجية المنطقية والعلم السليم والمعرفة الحقة، ولن تجني منه الإنسانية إلا الضلال عن دين الحق وسواء السبيل والطريق المستقيم والعلم النافع والرؤية المؤمنة الصادقة لما هو حق وحقيقة، ولا يهمنا في شيء أن ينكر الماديون الملحدون وجود الله سبحانه وتعالى أو عالم الغيب والغيبيات والديانات السماوية ورسالات الأنبياء والرسل أو خاتمهم محمد رسول الله والقرآن الذي أوحاه الله إليه، وسيظل المؤمنون يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر حتى تقوم الساعة ويبعث الله من في القبور للحساب وما يترتب عليه من جنة النعيم أو عذاب النار في الحياة الأخرى التي تتسم بالخلود. إن الوجود الحقيقي، الوجود المادي الموضوعي الخارجي وهو العالم المحيط، والوجود العقلي الذاتي الداخلي وهو الهيئة التي يدرك عليها الإنسان الوجود الخارجي، فوقهما وجود حقيقي غيبي هو أيضاً من خلق الله وصنعه ولكن معلوماتنا عنه قليلة.

وأحب أن أقول أن التجربة الصوفية ومشاهد الأئمة الصوفية الثقات الملتزمين بالكتاب والسنة هي عروج روحي حول التسامي بالذات فوق الوجود المادي وتحقيق الشعور بالتوحد مع العلي العظيم ومع المطلق. وقد ثبت مع التقنيات العلمية الحديثة في التصوير بكاميرا سبكت (SPECT) إلى جانب التصوير بتقنية الإنبعاث البوزيتروني وتقنية الرنين المغناطيسي الوظيفي[1]، أن ما يمارسه عُباد الصوفية من طقوس تؤدي إلى تسكين العقل الواعي والحواس، بنقل المدخلات إلى مناطق ترييط

[1]) وهي احدث تقنيات التصوير الإشعاعي للمخ (PET) – (FMRI) – (SPECT).

التشكيل والإدراك مما يؤدي إلى هدوء نشاطها وإغلاقها، فيتلاشى الإحساس بالذات وبالجسد كوجود منفصل، وينعدم الشعور بالوسط المحيط وبالزمان، فيتحقق الشعور بالممازجة مع حقيقة مقدسة أكبر من الوجود المادي، وهذه الحالة يصفها الإمام أبو العزائم في قوله:

غشت أنواره سدرة ذاتي	فكنت ولا مكان ولا برية
ولا صبح يلوح ولا مساء	ولا عرش يلوح لدى العطية
تراءى الوجه لي حولي مضيئاً	فأفتاني به لا بالمزية
أنا من عندها والوجه حولي	وسكري من مدامته الروية
أنور القدس أم غيب مصون	أم المجذوب للذات العلية

وإني وإن كنت لا أعلم من هم الصوفية الذين خضعوا للتصوير بكاميرا سبكت (SPECT) إلا أنني أعلم أن الأئمة الثقات من صوفية السلف لم يخضعوا لهذه التجربة ولا خضع لها الإمام أبو العزائم، ولذلك فإن نتائج التصوير لا يصح ولا يجوز أن تعبر عن الانفعالات أو التغيرات الفسيولوجية للصوفية الثقات.

"لقد أثبتت دراسات أندرونيوبرج[1] وجين حقيقة ما يستشعره الصوفية وأطلقوا عليه اسم "الوجود الغيبي المتوحد المطلق" (ABSOLUTE UNITARY BEING). أن ذلك هو إدراك لوظائف مخية سوية وليست مجرد هلاوس او توهمات. فالوجود المادي ترصده أدمغتنا بآليات الإدراك في المخ شأنه في ذلك شأن الوجود الغيبي الذي يدركه بعضنا تماماً، (ABSOLUTE UNITARY BEING) وثبت أن هذا التوحد الذي يصفه الصوفية لا يقل واقعية أو حقيقة عن باقي أشكال الوجود. أن ما يصفه الصوفية والفلاسفة، وأثبته العلم عن الوجود الغيبي المتوحد المطلق هو المستوى الأعلى من الوجود الذي يختفي فيه التمايز وتختفي فيه الكثرة، ويستشعره المرء عند تلاشي إحساسه بجسديته وبالوجود المادي.. أن رؤية

[1] أستاذ الأشعة التشخيصية ورئيس مركز الأبحاث الروحية بجامعة بنسيلفينيا ، وأحد مؤسسي علم البيولوجيا التقنية للتدين وهو متخصص في دراسة الأسس العصبية لبيولوجيا المشاعر الروحية.

"الكثرة" في الوجود المادي قد شغلتنا عن رؤية الوجود الغيبي المتوحد[1] وهو ما يقول به الصوفية عن "وحدة الكثرة" وهي ليست معاينة لذات الله سبحانه وتعالى وإنما هي شهود وحدة الأسماء الإلهية الحسنى في المظاهر المخلوقة وطاقاتها وقواها وهي التي عبر عنها الإمام أبو العزائم "ببحر الإحاطة" الأسمائية كما ذكرنا من قبل، أي وحدة الشهود، وأي قول بأن عوالم الغيب ليست حقيقية وأنها قد تكون من تخيلات العقل، هو قول غير علمي لا يستطيع الماديون الملحدون إثباته لأن العلم لا يملك أي وسيلة للتفرقة بين الوجود المادي وبين الوجود الغيبي اللامادي فكلاهما يتم إدراكه بنفس الآليات سواء بالمخ ووسائطه أو القلب وعقلانيته أو الروح وتساميها في هيكل الإنسان.

يقول الأستاذ الدكتور عمرو شريف[2]: "أثبتت الأبحاث العصبية أن التجربة الصوفية الصادقة عروج روحي حقيقي، مصدرة التسامي فوق الذات والوجود المادي، والشعور بالتوحد مع الوجود الكلي المطلق، بل إن مشاعر التسامي جزء من حياتنا اليومية نستشعرها جميعاً عند الاستماع إلى الموسيقي أو رؤية منظر طبيعي جميل مثلاً.. بما يؤدي إلى تسكين العقل الواعي والحواس وتنتقل المدخلات إلى مناطق تربيط التشكيل والإدراك مما يؤدي إلى هدوء نشاطها وإغلاقها".

وقبل أن أسترسل في الحديث عن الإمام أبو العزائم أود هنا أن أقول أن دين الإسلام الذي عاش به وله الإمام أبو العزائم ظهرت فيه عبقريته في جانب الشريعة وجانب الحقيقة ولم تكن عبقرية الإمام أبي العزائم في الإسلام السياسي وإن كانت له صلات بالحركات الوطنية في العالم الإسلامي وصلات بزعماء وقيادي هذه الحركات بما فيها من الزعماء السياسيين المصريين، وكان رضي الله عنه دائم النضال ضد الاستعمار البريطاني خاصة في مصر والسودان وسجن بسبب ذلك مرتين كما كان له جهاده في موضوع الخلافة الإسلامية ممثلاً لشعب مصر في مواجهة الملك فؤاد الذي

([1]) المرجع السابق.

([2]) في كتابه "ثم صار المخ عقلاً" الناشر مكتبة الشروق الدولية..

كان يريد الاستئثار بمنصب الخلافة للمسلمين. إنه من خلال معارف الإمام في فقه الشريعة ومعارفه ومقاماته في مشاهد الحقيقة الصوفية وفيما حواه "الدين" في كافة مجالاته، ترك الإمام أبو العزائم تراثاً زاخراً نثراً ونظماً جدد به الفكر الديني خاصة في الجانب الروحي والمعرفة الصوفية والتوحيد وراح في مواجيده النظمية يغرد هائما في الأفاق العليا للروحانيات من خلال مكاشفاته في مقامات الإحسان واليقين والإتحاد بعلوم ومعارف نابعة من عبديته وعبوديته وعبودته لله رب العالمين ومن خلال مدد رسول الله في وراثة الإمام لحضرته والتي لاحت معها من فيه أنوار الهدايات[1] في مبايعة من حضرة النبي ﷺ قال عنها الإمام:-

وبايعني واختـــار ذاتي لذاتـــه

فذقت جمال العبد حين أبايع

وعلمني الأسماء في الجمع كلها

وأيدني بالحق والنور ساطـع

وحملني تلك الأمانة بعد أن

تجلت على مرآة قلبي الودائع

ولقد كان أبو العزائم هائماً في حب النبي وغارقا في إتباع سننه وموصولاً دائما بحضرته مبينا لمبناه في سيرته وبشريته، ومبينا لمعناه في حقيقته النورانية وسراجيته المنيرة فأفاض فيما فتح الله عليه من الصلوات على حضرة رسول الله مبينا مقاماته ومعانيه التي يقول فيها:

جمعتنا على حبيب القلوب

سابقات الحسنى بسر الغيوب

جمعتنا بعد انكشاف المعاني

([1]) كان الإمام أبو العزائم يقول عن طلب العبد لله:
واطلبه من وارث صحت وراثته تلوح من فيه أنوار الهدايات

جامعات القرآن راح المنيب

وعن محمد رسول الله وحقيقته في سراجيته المنيرة يقول الإمام أبو العزائم في (الطهور المدار على قلوب الأبرار) "أبسط لك بساط المؤانسة لتلحظ بعيون روحك وميضا من سر منازلاته ، وتقتبس بسرك قبسا من مشكاته المحمدية، تكون به متجملاً باليقين الحق في مقام العبودية المطلقة:-

إن مقتضى كمال الأسماء والصفات إبراز المرائي التي تظهر فيها تلك المعاني، ولما كان العالم أجمع إنما خلقه الله تعالى ليظهر سبحانه بدائع إبداع صنعه، وغرائب حكمته وعجائب قدرته، وظهوره أما لنفسه فاعلا مختاراً، أو لخلقه ربا معبودا قادراً قهارا، اقتضت إرادته الأزلية تعيين حقيقة كاملة قابلة لكمال تجليه وظهور معانيه، فكانت الحقيقة المختارة لحضرته هي حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ، وأقتضت تلك الحقيقة في حضرة العلم مقتضياتها التي بها تكون سدرة منتهى علوم الخلائق المغشية بكمال ظهور المعاني – معاني الأسماء الربانية – ومظهراً أكمل لكمال المعاني المناسبة لحضرة الألوهة من العبودة والعبودية والعبادة، روحاً وعقلاً وجسماً وحسا، ومقتضيات تلك الحقيقة ظهور:

- عالم يطيع فلا يعص وهو ثلاثة أنواع:
  - أعلى عليين (الألهون المهيمون بجلال الله فوق عُمار سماواته).
  - وعالون (الحافون بعرش الرحمن وهم الكروبيون).
  - وعُمار السماوات وملكوت الأرض (الملائكة المقربون).
- نوع يعص ولا يطيع (وهم المردة وشياطين الجن).
- وأقتضي الكمال الرباني تكون حقيقة أخرى قابلة للطاعة والمعصية ليتم ظهور معاني الصفات، فخلق سبحانه آدم ورفعه على الملائكة بل علم الملائكة بعض الأسماء وكان هو محيطاً بكل الأسماء والملائكة في حاجة إلى تعلم بعض الأسماء من آدم لذلك قال الله تعالى ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [البقرة/ ٣٣]. ظهر مقتض إرادة الله في تلك الحقيقة فأطاع آدم وعصى إبرازا لسر الإرادة وإظهارا

لتجلي الاسم التواب، الغفور العفو، وتنبيها لأولاده من بعده أن يسرعوا بالتوبة إذا أخطأوا، فانبلجت حقيقة إرادة الله تعالى في إظهار آدم.. لقد أرسل الله محمدا رحمة للعالمين .. رحم الحس ورحم الجسم ورحم العقل ورحم الروح ورحم الملائكة وعالين وأعلى عالين ورحم العالم الحيواني والنباتي.. وصدق الله العظيم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] وجمل الله حبيبه بأسمائه الحسنى ولم يجمل أحداً بهذا الجمال أبداً، فقال تعالى ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم ﴾[التوبة: ١٢٨] وأكمل له الجمال بأن منحه كل أخلاقه الإلهية قال سبحانه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[القلم/ ٤] بإضافة خلق إلى عظيم يعني لعلى خلق الله تعالى، كذلك أثبت له الشفاعة العظمى إثباتا جلياً بقوله ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [التحريم/ ٨] وأقامه مقاما من الرفعة هو المقام المحمود ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء/ ٧٩].

وكان رضي الله عنه يقول في (الطهور المدار على قلوب الأبرار) "لا يخلو زمان من الأزمنة، بل ولا يمضي قرن ويتجدد آخر إلا ويجدد الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وهم ورثة رسول الله ، ولولا ذلك لخفيت معالم دين الله واندثرت آثار أئمة الهدى. وإنما الورثة أشبه بالمرائي، فإن المرآة الأولى التي واجهت الحقيقة المحمدية ورسمت فيها صورته ، لا فرق بينها وبين آخر مرآة رسمت فيها تلك الصورة ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف، وبين الإناء والإناء لا ما فيهما. والصورة لم تتغير فهي هي، وتكون المرآة بحسب زمانها فخير مرآة تكون في خير زمان وكلها خير. إن المجدد المرآة لا النور والإناء لا ما فيه، فإن الإنسان – من حيث هو إنسان – مؤهل أن ينال من الله الخير والفضل العظيم الذي ناله الأطهار من أوليائه والأخيار من الصديقين. وما من زمان إلا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف، وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران.... ولذلك كان لابد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله لنفسه فيفقههم في دينه ويلهمهم الصواب في القول والعمل، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم فتنطوي النبوة في صدورهم إلا أنه لا يوحي إليهم...

وهم ورثة رسول الله سر قوله (العلماء ورثة الأنبياء) رواه أبن النجار عن أنس وجاء في كتاب "إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد" ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا نوراً وهدى، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" انتهى.

لقد كان أبو العزائم* خاتم الوراث * ويقول:-

مني يباع الحب لا يشربه	إلا مراد قد صفا ذاتيه
الحب عال لا يباع برخصة	إلا لأهل الشوق والتنبيه
ألا فاشتروه بالنفوس وما لكم	فعسى تنالوا الفتح من أهليه
الحب نار في الفؤاد ونوره	يجلي الفؤاد لطالب باريه
الحب بعد البيع يكشف سره	لأولي الصداقة ظاهر لذويه
بيعوا النفوس لربكم وتقربوا	بنفيسكم من غير ما تمويه
ألا فافهموا قولي فإني ناصح	وأخ لكم في روضة التنزيه
أنا مقعد الصدق الجلي بكنزه	أنا روضة الجنات في التشبيه
أنا آية الآيات في سر الورى	أنا خاتم الوارث من باريه
من نال مني قطرة يحيا بها	ويكون نورا ظاهرا لأخيه
حب الجسوم فلا يفيد نواله	والقلب بيت عامر أنا فيه
صل على المختار نور قلوبنا	طه الذي في حضرة التنزيه

ويتحدث عن * الموارد * فيقول:-

موردي بعد انبلاج حقيقتي	فوق عالين وحجبي وصلتي
مورد فيه الحادي غيبتي	والحضور به الفنا عن غيبتي
بغيتي فيها أنا قبل الفنا	والفنا يمحو أنا بالوحدة
جمع تكسير وجمع سلامة	رتبتي حال انجلا عنديتي
مثنوية ظاهري في الإجتبا	واحدية باطني في وجهتي

عندها الأحد العلي يحيط بي | صرت لوح الآي غشيت سدرتي
لوحه المحفوظ فيه ضياؤه | فيه قرآن بنور هوية
نزهن أخي إن أداروا راحها | رتبة التنزيه تبدي حكمتي
واشهدن بعد النزاهة ظاهرا | لاح في محفوظه لا رتبتي
غيبه منه به يبدي الضيا | تظهر الأخفى لأهل القدرة
حكمة القادر ظل حاجب | سر ستار تجلى وجهتي
حكمة قد أظهرت أقداره | قدرة القادر تمحو حيرتي
بين حكمته وقدرته بدت | آية الآيات تجذب بالتي
أظهر الظل ليخفي قدسه | بالظلال بدت بأجمل صورة
في مقام الإصطلام فلا أنا | بي ولكني به في حيطتي
في مقام الإتحاد يحيط بي | حيطة تدلي كمال عبودتي
بين تقريبي وقربي رتبة | أثبتت مبنى بدا من طينة
بين فصلي والوصال حقيقة | نورها الطلسم من أحدية
كيف أخفى في ظهوري بعدما | أثبتت حكمته لي بيعتي؟!
كيف أجلى في حقائق بعدما | ستر القادر معنى سدرتي؟!
قدرة تجلى بها أنواره | حكمة تجلي معالم حجبتي
بين مقتدر حكيم حيرتي | والفناء هو البقا في سكرتي
كيف جمعي والحقائق تقتضي | أنني في مثنوية رتبتي؟!
كيف فرقي والضيا من شمسه | يحجب الأنجم ظل الكثرة؟!
سيرتي في السير يخفى بدؤها | كيف سيري في مقام الغيبة؟!
هل أنا ثان له؟! حاشا أنا | مقتضى التشبيه زادت حيرتي
بل أنا الظل المشير به له | مظهر يجلى به لسريرتي
سدرة تغشى بنور جماله | كي تراه الروح حال الحظوة

يتتهي العلم إليها ظاهرا ... بدؤها فيض الهدى والنعمة
تنبع الأنهار من مبدئها ... بالعوارف وهي أكمل كعبة
كعبة الأرواح ميزاب العطا ... قاسم الأرزاق حبي بغيتي
شمس قدس أشرقت لهداية ... نور كشف للهداة أئمة
سيدي وصلي اتصالي دائما ... من مقام الإتحاد بحكمة
سيدي ود الرءوف برحمة ... عطفه، الإحسان، فضل أبوة

وعن * الخلوة *

لي خلوة فيها أغيب عن الوجود ... أفنى بها عني فيحلو لي الشهود
تجلى لروحي شمس أنوار العلي ... من بعد تحقيقي وفائي للعهود
لي جلوة من بعد خلوتي التي ... أومي إليها في مقامات الورود
من بالمعاني جمل الرسم الدني ... حتى رأى الغيب المصون لدى الظهور؟!
من أهل المشكاة أعلى قدره ... بالإتباع لفرده في ذي العصور؟!
صلى علي فأخرج الرسم الدني ... للنور أدخله بفضل في سرور
أنت الولي ومن ظلام عناصري ... أخرجتني للنور من بعد الفجور
كنت الظلوم ظلمت نفسي سيدي ... كنت الجهول يميل بي داعي الغرور
أنقذتني من ظلمتني وجهالتي ... صرت الولي لمنعم رب غفور
سر العناية إن وهبت لي الهدى ... أقبلت بي وشرحت يارب الصدور
جذب الولاية باتباع محمد ... أسرى به مولاه من قدس لنور
أجلى له الآيات في القدس العلي ... منه ألاح النور في كل الدهور
من قبل (كن) كان الحبيب محمد ... نورا يضيء بلا مراء أو ظهور
مولاي بالسر المصون وقدره ... أشهد معنى نور وجهك في الظهور
بالحظوة الكبرى أنلني نظرة ... أحظى بها في طيبة قبل القبور
مولاي بالإشراق (أو أدنى) فهب ... للمستهام القرب في يوم النشور

في طيبة أحيا وفي الأخرى أرى ... في مقعد الصدق الجميل بلا ستور

يا سيدي بـ(دنا) (تدلى) أشهدن ... عيني في رأسي جمالك في حبور

كن لي وللأولاد والإخوان يا ... مولاي عونا للمجيب وللشكور

وعن * الحق والخلق *

الخلق في الخلق والخلاق في الذات ... إذا رأيت بنور العقل آياتي

هو العلي عن الإدراك إن ظهرت ... لك المعاني بأمثلة وحيطات

والظاهر الكون والآيات خافية ... إذا بحثت بقيد العقل عن ذاتي

والآي ظاهرة للنفس إن طهرت ... والإسم والوصف في كنز الكمالات

والخلق بالحق بل منه إليه لدى ... نوال حظوة تقريبي وجلواتي

والخلق مثل بها الأسماء ظاهرة ... أفق لنور التجلي عين مشكاتي

وحكمة البدء رمز عن ظهور سنا ... حقيقة العود مجلوا لمرآتي

والبدء تفصيل إجمال لمن سبقت ... له وفي العود إجمال لمسبحات

وإعادة بعد بدء منه فيه له ... هو المعيد هو المبدي إشاراتي

أنا المعاد أنا المبدوء لي نسب ... إذا تحققت يجلي لي كمالاتي

نور به وأنا بي ظلمة و (كما) ... قد شاء عن (كن) برا ذاتي وهيئاتي

وفيه إن صح محوي وهو في بدا ... يكون في وفيه سلب إثباتي

مشاهد دونها سجد الخيال على ... هذا الرغام بعجز عن حقيقاتي

والنفس تجلى بمعناها وصورتها ... تجلي لي الوصف في مثل خفيات

أرى لدى رؤيتي نفسي جمال عل ... منزها عن حدود أو إشارات

وهي المثال هي المشكاة مشرقة ... بها أرى الوجه لا بقيود حيطات

يا نفس أنت جمال أو منازلة ... قالت: مواجهتي منها إضاءاتي

أنا جمال جميل عن منازلة ... أما التنزل حظر عن عباراتي

من كان يعرفني في أفق مرتبتي ... يفز بجلوة تقريب وحظوات

يرى ويسمع عن مولاه حكمته | من بعد أن يتحلى بالجمالات
فاحفظ مراتب تقريب بها ظهرت | مشاهد القرب بالمطلوب للذات
عليك يا رحمة الرحمن من أحد | صلاته وسلام بالتحيات

* وعن العين والغين *

نقطة الغين يامريد حجاب | وهي عين إن زال هذا الحجاب
وهي عرض تزول عمن أضاءت | شمسه عندما يذوب السحاب
إن تراه بغير فهم وذوق | كنت غيراً وغاب عنك الصواب
فتدبر ما فيك من حسن وصفي | وجمالي فإنني الوهاب
وتدبر فالكل نور جمالي | وتناول فقد تجلى الرضاب
وتحقق باسمي ووصفي وذاتي | باتباع النبي فهو الباب
فتناول شراب سنة طه | واتبع تحظ إن تحلى الشراب
وتمايل في حالة السكر واطرب | وانثر الدر إن علاك الغياب
واسق من رام راح حق مصفى | من رياض بها تجلى الكتاب
واكشف الحجب عنهمو لا تبالي | بجهول يبعده عنك ارتياب
جنن القوم بالجمال وشوق | من تراه قد لاح منه اقتراب
وتغني بالحسن عني وهيم | أهل ودي فقد أضاء الرضاب
وادخل الحان واسق من شئت منهم | بجمالي فإنني تواب
كل هذا من فضل طه يقينا | وبإحسانه أتاني الجواب
فعليه الصلاة من ذات ربي | وعلى من لذاته نواب

طريق أبو العزائم الصوفي

أقام أبو العزائم طريقه الصوفي على أساس مقام (الإحسان) كبداية لازمة لكل مريد طالب لله الحق يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.. لأن الحق

غاية والحقيقة مطلب والله مقصد والرسول قائد وقدوة والمحبة سبيل والقرآن نور وروح وفرقان وهدى وهداية وذكر وتذكير وحق وحقيقة.

ويحدثنا الإمام أبو العزائم عن المحسن فيقول:

المحسن:

لما كان المحسن هو من أحسن العمل والحال والقول، وكانت الأعمال إما قلبية أو بدنية، ولا يتحقق الإحسان إلا إذا تحقق الإنسان بإحسان عمل القلوب. ولما كانت أعمال القلوب لا تكون إلا عن العلم والمعرفة، لأنها عبارة عن اليقين والخشية والرهبة والخوف والحب والوله والتأله والرضا والصبر والتوكل والتفويض والإنابة والتسليم والإسلام لله، والإخلاص والصدق، والتوجه والمراقبة والمشاهدة، والحضور والقرب والوصول، والتحقق بالمعية والعندية، وغير ذلك من المقامات التي يترقى إليها الإنسان في سيره وسلوكه، والدرجات التي يرفعه الله إليها في وصوله وقربه كما قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وكما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[آل عمران: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥]، وكما قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

إذا تقرر هذا يظهر لنا أن محبة الله تعالى ثابتة للمحسن، وأن إحسان الله تعالى والمزيد عليه من الله تعالى ثابت للمحسن، وأن المحسن يعبد الله حاضر القلب بيقين حق حتى كأنه يرى الله تعالى، وهو مقام كمل المحسنين، وأقل منه أن يعبد الله متيقناً أن الله سبحانه وتعالى يراه فيحسن عمله لتحققه أن الحق ناظر إليه، وهو بداية المحسنين، وتلك المشاهد العلية والمقامات الموهوبة بفضل الله تعالى، قد سبق الإلماح إلى ما يمكن كشفه بالعبارة في كتاب: "شراب الأرواح". ولكن في هذا المختصر أذكر ما ينبغي أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان.

([1]) هذا الحديث أخرجه مسلم عن ابن عمر، وابن حنبل والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة وهو حديث صحيح، الجامع الصغير، ج١ ، ص٤١٤ ، رقم ٤٢-٣.

ما ينبغي أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان:

•أن يعمل الأعمال الموافقة للأحكام الشرعية:

يجب عليه أن يعمل جميع الأعمال الواجبة عليه، متحريا موافقتها للأحكام الشرعية، بحيث لا يعمل عملاً إلا بعد علم شروطه وفرائضه وسننه ومبطلاته، سواء كان هذا العمل عبادات أو معاملات، وهذا هو الإحسان في العمل، فإذا قصر بطل عمله أو نقص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠].

•أن يحسن نيته في العمل:

يتحرى أن يحسن نيته في العمل، وأن يلاحظ النية من بداية العمل إلى نهايته حتى لا تحصل له غفلة.

•أن يجتهد في إخلاص العمل لوجه الله:

يجتهد في إخلاص العمل لوجه الله حتى لا يشوبه رياء مفسد، أو غرض آخر مبطل للعمل بأن يعمل كمن يعبد الله على حرف.

•أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه:

أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه عظمة وغنى وعزة، ويستحضر نفسه عالماً بقدرها من الذلة والمهانة والاضطرار لتحصل المواجهة والأنس.

•أن يعتقد أن العمل بتوفيق الله ومعونته:

يستحضر أن العمل بتوفيق الله ومعونته وبأمر الله ولله، فيشتغل بالموفق الآمر المعين على العمل حال العمل وبعده، لينسى عمله بذكر ربه.

•أن يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودة:

يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودة لسيده الآمر له، رغبة في نوال رضوانه وفضله.

وكل هذه خصال المحسن، ومراتب رقيه، ومبادئ عروجه، وهناك أسرار عزت عن أن تفي بها العبارة ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. "انتهى.

ثم أتحدث عن مشاهد مقام الإحسان على قدري المتواضع وأنا لازلت أتعلم من مرشدنا الإمام أبو العزائم الرفيع القدر وهو لا يزال يعلم علماً ينتفع به.

مقام الإحسان هو المقام الثالث في سلم الارتقاء في مقامات الدين الإسلامي. وقد أوضح لنا سيدنا رسول الله حقيقة مقام الإحسان وجبريل بين يديه وسط جمع من الصحابة – يسأل النبي عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ثم عن موعد الساعة. وتروي لنا كتب الحديث أن النبي وصف مقام الإحسان بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنك يراك"[٥]. وفي قراءة هذا الحديث الوصفي اتجاهان:

- أن تعبد الله كأنك تراه / فإن لم تكن / تراه / فإنه يراك.
- أن تعبد الله كأنك تراه / فإن لم تكن تراه / فإنه يراك.

الاتجاه الأول: عبارة عن مشهد إحساني ويقيني ذوقي من مشاهد التوحيد العالي فيه تحيط أسماء الله الحسنى بالإنسان الذي لا يرى لنفسه بنفسه وجودا وإنما يرى وجوده الحقيقي بالله سبحانه وتعالى من خلال الإحاطة الأسمائية التي يجمعها الاسم الأعظم "الله" ... يستغرق الإنسان في مشهد تجليات الإحاطة الأسمائية تعلقاً وتخلقاً وتحققاً بها فيرى وجوده الحقيقي أثرا من آثار تجليات الأسماء الحسنى التي يجمعها اسم الجلالة المتجلي في الهيكل الإنساني بخصائصه الفسيولوجية وطاقاته العقلية والروحية وهو المشهد الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم "اللهم أرزقني قربا يمحق ما بيني وبينك من البين حتى تقع العين على العين". أي عين القلب العاقل على عين الاسم المتجلي في الشيء مع التنزيه، أو كما يقول أبو العزائم أيضاً، يغيب الإنسان عن شهود وجوده ويتحقق بوجود شهوده فالأسماء تحيط به ويحاط بها مستغرقا أو غارقا في بحر إحاطتها كما كان يقول رضي الله عنه:

وغرقت في بحر الإحاطة فارقا　　　طورا أخوص وتارة أنا زاخر

ويقول: سلب أنيتك يوجب حسن هيئتك وشهود وجودك هو عين شهودك.

والاتجاه الثاني: مشهده الإحساني هو تحقق باليقين بأن الله سبحانه وتعالى مع الإنسان في كل أحواله وأموره وشئونه. وأن الإنسان الذي كمل إسلامه وكمل إيمانه يمكن أن يرتقي في قوة ومتانة الصلة بالله سبحانه وتعالى إلى الدرجة التي لا يكون فيها بينه وبين الله حجاب أو حاجز. فهو يعبد الله كأنه يراه بمعنى أن يستشعر في أعماله وسلوكياته في الدنيا وأيضاً في عقيدته في ظاهر أمره وباطنه "سره" أنه يرى ربه سبحانه وتعالى ينظر إليه ويراقبه بما يعكسه ذلك من إيجابيات على سلوك الإنسان فرداً وفي الأسرة أو في المجتمع. وقمة اليقين أن يعبد الإنسان ربه وكأنه يراه، حينئذ يكون الحياء من الله والخشية من مقام الله والمراقبة لقيومية وحضور الله. ولكن الحقيقة الثابتة هي أن الإنسان لا يرى الله. ومن هنا يسترسل بنا حديث رسول الله إلى مرتبة في الإحسان هي قمته وحقيقة فحواه التي مؤداها أنه إذا كان الإنسان لا يرى الله فإن الله يرى الإنسان، كل إنسان أين كان وكيف كان، ويعلم سره ونجواه "الظاهر والباطن"، ونيته ومدى صدقه وإخلاصه، ويراقب الإنسان في حضور دائم عن شهود. وهذا الأمر يجد أثره في أعمال وسلوكيات الإنسان الذي سبق أن كمل إسلامه وكمل إيمانه، ثم كمل بالإحسان قلبه المطمئن. هنا يكون ضمير الإنسان هو الرقيب على أعماله متحققاً باليقين بأن الله في حضور دائم معه – كما ذكرنا من قبل – يسمع ويرى ويعلم وأنه هو الموجه لحسن أعماله، في طاعة لله يحوطها الإيمان، وفي عمل متقن نافع بدافع يحوطه الإخلاص، وفي رابطة مع الله سبحانه هي حافظ الإنسان في السعي في الحياة. ويترتب على قمة اليقين في مقام الإحسان، تثبيت شخصية المسلم المؤمن في هذا المقام وتقوية رباطه الأخوي بكل الناس في المجتمع، والاتقان في العمل المنتج المفيد لنفسه وللمجتمع "العمل الصالح" ويسير في حياته الاجتماعية سير الإنسان الإيجابي، عنصراً بناءا في وطنه يتصف بالوعي عن معرفة ويتصف بالطهارة عن إدراك ويتصف بالإخلاص عن حب الله. فيكون عاملاً ذو خلق متميز ناتج عن تمسك بقيم الدين وحب الوطن مساهما في بناء نهضته وتدعيم كل مجالات قوته. ويكون في ذلك كله متحققاً بمشاهد الإحسان التي ذكرها أبو العزائم وأوردناها هنا وهي ستة مشاهد.

يقول الله تعالى في سورة الواقعة ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الواقعة / ٧٧-٨٠ ويقول سبحانه وتعالى في سورة البروج ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ البروج/ ٢١-٢٢.

القرآن الكريم

ويقول الإمام أبو العزائم عن القرآن الكريم، فيما قاله عنه رضي الله عنه:-

- "القرآن هو الكلام الذاتي الذي تلقاه الجناب المحمدي من الله بلا واسطة ولا مظهر، سر قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل/ ٦.
- القرآن: كلام الله تعالى، ووصفه، وأخلاقه، وكمالاته، وجمالاته، وجلاله.
- القرآن: هو المعاني التي هي صفة من صفات الله تعالى، وهي صفة الكلام، فالله متكلم، ومعاني القرآن التي أنزلها الله تعالى باللغة العربية الفصحى قديمة أزلية، وأنزلها عربية على حبيبه سيدنا ومولانا محمد.
- القرآن: كلام قديم قائم بذات الله تعالى، لا يقبل الانفصال والافتراق، بالانتقال إلى القلوب والأوراق.
- القرآن: ذات، وأحكام، وأوصاف، وأسماء، وعبرة، وتنزل، ورموز، وأسرار، ومحكم، ومتشابه.
- القرآن: ذات، وأسماء، وصفات، وجمال، وجلال، وكمال، وبهاء، ونور.
- القرآن: هو ما دل على كمال الأحدية، وجمالها، وجلالها، وبهائها، ونورها، وضيائها.
- القرآن: عموم، وخصوص، ومحكم، ومتشابه، وظاهر، وباطن، فعمومه لعموم الخلق، وخصوصه لخصوصهم، وباطنه لأهل الباطن، والله واسع عليم.

- القرآن: ميزان الفصيح من الكلام.
- القرآن: بستان العارفين، أينما حلوا منه حلوا في نزاهة.
- القرآن: إشارة إلى الكمال الذاتي.
- القرآن: علم الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال.
- القرآن الكريم: بهرت العقول بلاغته، وظهرت على كل قول فصاحته، أحكمت آياته، وفصلت كلماته.
- القرآن المجيد: معجز من حيث نظمه، صادق من حيث أخباره عن الأمم السابقة، جذاب للأرواح من حيث الأدب الذي أدب الله به أنبياءه وأولياءه.
- القرآن المجيد: مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجني، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، وميزان أحوالهم، ومرجع مقاماتهم يسألونه قبل العمل، فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا.
- القرآن الشريف: النجاة من الهول في الدنيا والآخرة، والحظوة بالحسنى في الدنيا والآخرة، والقرب من الله ومن رسوله ، في الدنيا والآخرة: بأن تحل حلال القرآن قولاً وعملاً، وأن تحرم حرامه قولاً وعملاً، فهو الإمام الحق، والنور الذي لا تشوبه ظلمة، وحبل الله تعالى الذي هو ممسوك بيمينه، من تمسك به وصلة الله، وبين رسول الله بقوله، وعمله، وحاله، أسرار القرآن، وكشف أنواره، ووضح مناهجه.

القرآن والفرقان والنور والتنزيل والكتاب والذكر:

القرآن: كلام الله.

الفرقان: أحكام الشريعة.

النور: تزكية النفوس.

التنزيل: الأخلاق.

الكتاب: جامع التاريخ.

الذكر: العبر والتذكرة.

أحرف القرآن: في كل حرف من القرآن أربعة معان لكل حرف: المعنى الأولى: هو الظاهر. والثانية: الباطن. والثالثة: الحد. والرابعة: المطلع... كما قال سيدنا على : (لكل حرف من القرآن ظهر وبطن ولكل حد ومطلع).

تلقي القرآن: يتلقاه رسول الله من الله مباشرة، لأنه يتعلق بالعلم الإلهي، بخلاف بقية أنواع الكتاب العزيز، فإنه يتلقاه بواسطة سيدنا جبريل قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[النمل: ٦].

أهل القرآن: ليسوا حفاظ القرآن فقط، ولكن هم أهل التلقي بالقلب عن الرب سبحانه.

القرآن والسنة:

١- **القرآن المجيد:** صراط الله المستقيم الذي من تجاوزه، هلك.

٢- **سنة رسول الله :** المقام الأكمل الذي من تجاوزها، سقط في النار.

قراءة القرآن: هي رمز لكل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي، وكل ما يدعه في الجانب السلبي، أمراً ونهياً. "انتهى.

إن القرآن قديم، وهو نور أو روح أو طاقة، متصل بالعلم الإلهي الذاتي وهو في هذا المقام محفوظ في لوح الأسماء والصفات أو مكنون في كتاب القدر والقضاء، لا يمسه إلا المطهرون. إنه كلام الله كاملاً شاملاً في وعيه الذاتي وعلمه وإدراكي الذاتي لأن كلام الله صفته، وصفته متعلقة بأسمه، وأسمه متعلق بذاته .. القرآن الذاتي. وقد أنزله الله من هذا المقام والمستوى في ليلة القدر إلى أهل الأرض والسماء بواسطة الروح القدس، على قلب النبي الخاتم محمد ، بلسان عربي مبين ميسراً للذكر، وأصبح محفوظا في هذا القلب العاقل للنبي صلوات الله عليه وسلامه. يقول الإمام أبو العزائم عن القرآن الذاتي:-

قـرأت قـرآن الـذات بالـذات في ذاتي ... فحجـــب عنـــي هـــيكلي الإثبـــاتي

وأشرقـت الأوصـاف نـوراً يلـيح لي ... خفـــي المعــــاني لاصـــفا الأيـــات

قــرأت وقــد رتلتــه قبــل خاشــعاً ... فـــلاح لروحـــي الغيـــب في مـــرآتي

سمعت لدى الترتيل من كـل وجهـة ... بـــلا قيـــد في حـــد ولا كلـــمات

وفي مطلـع استجلا الـصفات تمثلـت ... حقيقـــة روحـــي فلاحـــت إشـــاراتي

مُنحــت مثــولا بعــد طــول تمنـلي ... لعــين تعالــت بعــد غيــب هـــاءات

فلـم أرى هـاء الكُنـه في ص صورها ... ولا كـــاف تمكـــين بعـــين بـــدايات

وفي منـــزل التلـــوين كـــان ولا أنـــا ... ومـــن بعـــد إثبـــاتي علمـــت بـــداياتي

إن القرآن، كما يقول الإمام أبو العزائم: "أنزله الله على سيدنا ومولانا محمد ﷺ نوراً للأرواح ونوراً للعقول وجمالاً للأفكار، وحياة للخيال، فاقتبس العقل المؤمن من وميض أنواره ما به سجد خائفا، وتناولت الأرواح من طهور شرابه ما به قوى حنينها إلى عالمها وأشتد ولعها إلى وطنها الأصلي، فتكـاد لـشدة شـوقها إلى عوالمهـا العاليـة أن تهدم هذا الهيكل فراراً إلى مجانسها من مفارقها وتغترف منه ما بـه فتـق رتـق الكائنـات حتى يشرف على عوالم الملكوت الأعلى، ويصفو الخيال حتى تتمثل فيه حقيقة الآيـات الدالـة عـلى خـالص التوحيـد فينتـشل مـن أوحـال الأوهـام وشـكوك الأهـواء وريـب الحظـوظ فكـان القـرآن خمـراً لـلأرواح ونـوراً للعقـول وروضـاً للأفكـار وجمـالاً جليـاً للخيال، تأهلت الأرواح بطهوره الصافي، واطمأنت القلوب ببيانه الوافي، وانشرحت الصدور ببشائره اليقينية، أقبلت العقول خافتة لأنواره وسجد الخيال إكبارا لجماله)[1].

ويقول تحت عنوان "إجمال الواجب بالنسبة للقرآن"[2]:

(إن نجعل القرآن إماما منيعاً وقاضياً نافـذ الأمـر والنهـي، نعمـل بـه نحـل حلالـه ونحرم حرامـه ونرتلـه حـق تلاوتـه، نـشاهد فيـه أسرار المتكلم سبحانه ونتنـاول منـه

(1) الإمام أبو العزائم في كتابه : "أصول الوصول لمعية الرسول".
(2) المرجع السابق.

شراب القدس الطهور، وتأنس أرواحنا عند تلاوته بمشاهدة الجمال والجلال والكمال الإلهي أنسا بمعنى المعية الحقيقية مع التنزيه حتى كأن التالي للقرآن يسمعه من ربه سبحانه، فالمسلم الحقيقي يحب القرآن، ويحب أن يكون عاملاً بالقرآن، ويحب أن يكون العمل بالقرآن أكثر من محبته لنفسه، لأنه بترك القرآن يخسر نفسه ويتمنى أن يكون تراباً أو لم يكن شيئاً مذكوراً وبالقرآن يفوز بالسعادة الأبدية في جوار رب العالمين، والمسلم الذي لا يغار للقرآن أو يتساهل بأحكام القرآن أو لا يسعى في إعلاء حكمة القرآن ليس بمسلم عند العلماء وإن كان مسلماً عند نفسه، والمؤمن هو من كان عمله بالقرآن وحاله بالقرآن وماله بالقرآن وخلقه بالقرآن، يحب ما حببه فيه القرآن ومن حببه فيه، ويعادي من أمره القرآن بمعاداته ولو كان أقرب قريب وأحب حبيب، ويغضب للقرآن ويرضى للقرآن.. هذا إجمال الواجب بالنسبة للقرآن والمسلم البسيط يعلم تفصيل هذا الإجمال والله الموفق) انتهى.

ويبين لنا أبو العزائم قبساً من المضنون في القرآن بقوله[1]: "رتل القرآن في الاتحاد، واتل كتاب ربك في الاصطناع، وأصغ بأذن روحك لقراءة القرآن من مُنزله، ثم أتبع قرآنه ترتيلاً ولا تعجل، فإنك في مقام بقاء بعد الفناء، فالترتيل للقرآن شهود معاني صفات المتكلم في كلامه، وانبلاج أنوار حقائق الغيب المصون من الأسماء والصفات، والغيب المصون من مجلى الذات. وإنما يرتل القرآن ويتلو الكتاب ويقرأ القرآن السامع له من المتكلم سبحانه.

فالقرآن: إشارة إلى الكمال الذاتي، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، وآية الكرسي ربع القرآن، لبيانها للغيب المصون. والكتاب المرتل أحكام وحكم. والذكر أخبار وعبر. والنور تبيان للوصول. والفرقان بيان للحجة واتضاح للمحجة. وإنما يرتل القرآن من منح البيان بعد البيان". انتهى.

*** ويقول رضي الله عنه عن قرآن الحقائق ***

أرتــل قــرآن الحقــائق في وصــلي	وأتلـو البيــان الحـق في النُـزل الفـصلي

---

[1] في كتابه "الطهور المدار على قلوب الأبرار".

فتسمع روحي في (لدن) غيب غيبه ... ويسمع قلبي الآي تتلى بلا نقل
ففي حال ترتيلي أغيب فتجتلي ... برسمي غيوب الآي بالكشف والظل
تظللني منه بأخلاقه التي ... هي النور قرآن الحقائق في الأصل
فأتلو من الفرقان آيا جلية ... بها عصمة الناسوت من باعث الميل
واقرأ بعد الإتحاد قرآنه ... يفك لديها الرمز بالحب والطول
فأشهد في رقي جمال تنزل ... فيثبت منشور الغيوب لذي عقل
يسترني عن نسبة القرب مثنوي ... بوحدة حب للمرادين من قبل
يستر لاهوت التجلي حقيقتي ... يلوح ضيا الأسماء يستر ما حولي
فيشرق لي الوجه الجميل بنوره ... لدى حيثها وليت يخفى به سفلي
يعيد إلى بدء الظهور حقيقتي ... إلى نور أسماء تعالت عن المثل
يظللني فضلاً بمعنى صفاته ... ويظهرني المشكاة أجمل بالظل

وعن القرآن وهو * حبل الله *

حبل ربي القرآن فيه شهودي ... فيه قدر العبيد سر وجودي
فيه خمر التوحيد صاف طهور ... يحتسيه أهل الصفا في العهود
حبل ربي القرآن يجذب روحي ... للمقام العلي والتفريد
فيه جذب الهدى ونور بيان ... فيه سر الشفا وخير العبيد
في (يد الله) من تمسك يرق ... للمقام العلي لا بالجهود
خمرة الحب خمرة القرب راح ... يجذب السفل في الصفا للشهود
كل خير فيه وفيه نجاة ... من دواعي الردى وداعي الصدود
نور ربي وفيه للعبد يتلى ... وهو حصن من حر نار الوقود
حبل ربي القرآن غيب ظهور ... محكم الآي فيه جذب الورود
رتلته الأرواح في البدء حتى ... شاهدت فيه نور غيب الودود
في (الست) إليها أصغت وحنت ... في الكيان المحدود سور الجديد

حنت الروح للسماع ابتداء ... لا يلبس من كونها التجديد
تسمع الروح آيه في صفاها ... وهي في ظلمة بكون الحدود
حبل ربي القرآن لو سمعته ... روح صب يطير للمعبود
فاقرأنه في كل شأن تشاهد ... قدرة تمنح العطا في مزيد
أشهدنا القرآن يحيي رميمي ... فقهنا فيه بفك القيود
أسمعنا القرآن منك إلهي ... كي نهنى بالقرب والتوحيد

* وكتاب الوجود وقرآن العين *

قرأت قرآن العين رتلت فرقانا ... تلوت كتاب النشأتين بيانا
قرآنا به علمي هو العجز رتبتي ... عبودة تمكين تلوح عيانا
وفرقان ألهانيتي بعد نشأتي ... يليح ظلالي في الحقيقة برهانا
كتاب وجودي في مقام عبودتي ... به هيكلي المرآة تشرق أحيانا
قرأت وفي حال اتحادي قراءتي ... وروحي تصغى للقرآن إيقانا
ورتلت في فرقي فأسرعت جامعا ... رشفت طهور الراح فارقت أكوانا
أحج ضيا المجلى بجاذبة الصفا ... وقبلا حججت البيت والأركانا
أطوف حوالي كعبة القدس وجهتي ... لدى الإصطلام الحق جذابا وتحنانا
فراري مني حجة في تفردي ... جذبت شهدت الحق برا وحنانا
أعدت بحجي للوجود الذي به ... أنا صورة الرحمن أوليت إحسانا
إلى البدء حيث الذات كعبة نفختي ... أطوف حواليها فصرت معانا
أراني به سمعي وجودي تعيني ... وسدرتها تغشى جمالا وإيمانا
أيا هيكلي طف حول بيت خليله ... فنور فراري ستر الإمكانا
إذا كنت مني قد فررت هل أرى ... سواي وجودا قد يليح مكانا؟!
محا نقطة الغين الفرار فأشرقت ... هي العين جلت فاشهدن منانا

ومن مشاهداته ومكاشفاته يقول الإمام أبو العزائم في أحد مواجيده:-

تلـــوت بلـــوح محفـــوظ قـــرآني ... ورتلـــت الـــضحى بعـــد المثـــاني
ولاح النـــور مـــن نـــور مبـــين ... بـــ)حـــاميم(أضـــاءت للعيـــان
تحـــلى اللـــوح إذ فيـــه أضـــاءت ... ســـطور الـــشمس بالـــسر المـــصان
وبـــالقلم العـــلي بـــدت ســـطور ... بهـــذا اللـــوح تنبـــي بالتـــداني
بقـــرب تنـــزل مجـــلى قريـــب ... ووهـــاب بـــود مـــن حنـــان
قـــرأت الآي لمـــا أن تـــراءت ... لعـــين الحـــق في أفـــق البيـــان
تلـــوت مكـــررا ســـورا بـــذاتي ... بألـــسنة الـــتجلي لا لـــساني
ســـمعت بـــسمعه مـــا رتلـــوه ... بـــأفق نزاهـــة لمـــا دعـــاني
ولم تـــك للـــسطور بلـــوح ذاتي ... نقـــوش أو حـــروف أو مبـــان
ولكـــن أنجـــم لاحـــت بـــأفقي ... مـــشيرات لأوصـــاف المعـــاني
بهـــا شـــاهدتها مـــن غـــير غـــير ... ولم أك عنـــد مهـــدها بـــشان
وشـــمس أشرقـــت حجبـــت نجـــوم ... وعـــم النـــور في أفـــق التـــداني
وكنـــت النـــور أنبـــئ كـــل نـــور ... وفي ذاتي لكـــم طويـــت مبـــان
وكـــم رتلـــت مـــن صـــور وذاتي ... نعـــم هـــي صـــورة الغيـــب المـــصان
عجبـــت وهـــيكلي أفـــق عـــلي ... لمجـــلى الـــشمس لم أحجـــب يـــراني
بـــذاتي العـــالمين لقـــد أمـــدت ... مـــن الملكـــوت أو مـــن كـــل دان
ولم يـــك مـــا شـــهدت لـــدى اقـــترابي ... بـــشيء قـــد تحـــدد بـــاقتراني
ولكـــن عـــين رأسي في حـــضيض ... تـــشاهد ســـفها مـــن ذا الكيـــان
إلى أن يفـــتح الفتـــاح قلبـــي ... بنـــور القـــرب مـــن محـــض الحنـــان
فأشـــهده بعـــين منـــه وهبـــت ... ومـــن ذاتي أرتـــل للقـــرآن
إليهـــا الغيـــب يبـــدو لي جهـــارا ... فأشـــهده بـــأفق مـــن أمـــان
ويفـــتح كنـــز ذاتي عـــن صـــفاتي ... بـــسر تنـــزل وعلـــو شـــان
ويظهـــر غيـــب غيـــب بعـــد غيـــب ... عـــن الملكـــوت بـــل وعـــن الـــدنان

أغنـــي بالحقـــائق إن تجلـــت ... بمعنـــى القـــرب أو فتحـــوا دنـــاني

أنـاول مـن صـفوا للقـرب راحـا ... بهـا الفـتح القريـب بـلا هـوان

عـسى تفـتح كنوزهمـو بمجـلى ... تعالـت عـزة عـن عـين جـان

وصـل دائـماً أبـدا عـلى مـن ... بـه الأحبـاب في حـصن الأمـان

إن تراث أبي العزائم النثري في الدين، شامل وجامع ومعتدل في وسطيته، ومجدد وفي رؤيته كذلك في حق الشريعة وفي حق الحقيقة الروحية.. يحلق في آفاقهما العليا بمكاشفات في مواجيد وفتوحات في معارف، وإليك أيها القارئ أمثلة فقط انتقيتها مما تحدث عنه أبو العزائم، في تراثه وهو كثير.

من تراث أبي العزائم

لقد تحدث عن القدر والقضاء والعطاء والسابقة والخاتمة.

ثم تحدث في أمور "الحقيقة" عن الكتاب وأم الكتاب والقرآن والفرقان والنور والتنزيل والذكر والكتاب ثم كعبة الأرواح وكعبة الأشباح. ثم تحدث عن اللوح المحفوظ والبيت المعمور (لوح محفوظ الأسرار الذاتية ولوح مسطور مجالي الذات) اللون الذاتي ﷺلى الله عليه وسلم ثم لون الذات قبل تلونها، ثم اللون والعين والكون، واللون الأول.. ختماً ﷺلى الله عليه وسلم أي لون التجلي الأولى، وهو المجلي الذاتي الأقدس وروض التجليات. ثم تحدث رضي الله عنه عن المحبة وأقسامها، ومحبة الله للعبد ومحبة العبد لله، ومحبة الخلق ومحبة الحق ثم أهل المحبة ومنازلهم وأهل الإنعام. ثم تحدث أبو العزائم عن المحق والمحو والإثبات ثم المراقبة ومنازلها ثم تحدث عن المرشد الكامل والمريد والمريد الكامل والمريد المخلص والمراد المخلص ثم المشاهد والمشاهدة ثم مشكاة الجمال الإلهي ﷺ وهيكله هو (الدّن) للأفراد ومصباح التجليات ومصباح العناية الأزلية بمحبته وعنايته ومصباح الولاية برأفته ورحمته. ثم تحدث عن المعاملة (معاملة الله تعالى معاملة خلقه) ثم معرفة الله وتوحيده ثم المعية، معية الله للعبد ومعية العبد لله ثم العندية واللدنية، ثم معية الهوية

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد/ ٤] ومعية الربوبية ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء/ ٦٢] (وموسى خص نفسه بالمعية دون غيره) ومعية الألوهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة/ ٤٠] وهو قول سيدنا محمد ﷺ وقد قدم ذات الله على المعية لأن معيته تشمل الكل وتجمع الكل كما كانت رحمته ﷺ للعالمين.

ثم يتحدث رضي الله عنه عن الروح والعقل والجسم والحس والنفس وغذاء كل منهم، والروح القدسية والروح الكلي والهيكل الحقي. ثم يتحدث عن الزهد ومنازله. ثم السبع المثاني وسدرة المنتهى والسدرة المفشاه وسدرة الكمالات والسر الساري في هياكل الموجودات والسراج المنير ثم الشاهد والشهود والمشاهدة، والشهود والعلم ومراتب الشهود، وشهود الوجود ووجود الشهود. ثم يتحدث رضي الله عنه عن الشريعة وبين في كتابه "أصول الوصول لمعية الرسول" مختصر الفقه المالكي بأسلوب ميسر خالي من التعقيد فأكد أحكام الدين الإسلامي في المعاملات والأحوال الشخصية وعن البيع والشراء والزواج والعقود والتأمينات وغيرها كفقه العقيدة والعبادات والمعاملات.. إلخ وفي كتابه "النور المبين" تناول الأمام عن الشورى والإمامة من الناحية الفقهية وعن علاقة الحاكم بالمحكوم وما يتعلق بالعلاقات الدولية في الفقه الإسلامي (في كتابه "الجهاد وكتابه "نبل المجد الإسلامي") ولازالت هناك للإمام آثار مخطوطة تتناول مسائل كثيرة في الفقه كأحكام الجنايات والعقوبات والمرافعات ونظم الإجراءات القضائية والشهادة والاقتصاد والعدالة الاجتماعية والكثير غير ذلك من لم يكتمل جمعها وهو جاري الآن والحقيقة والخلوة والاجتماع بالناس ثم الشوق والأنس ومراتبهما. ثم صاحب الجاه العظيم ﷺ ومقاماته في مقام المواجهة ثم من المكنون في جاهه العظيم ﷺ. ثم الصفاء والوفاء والاجتلاء والاجتباء والاصطفاء ثم عبادة الصلاة وصلاة الحقائق الإنسانية ثم الصولة وصولة الحق ثم الطريق وأهله وطبيب الأرواح وأساس الطريق وأساس طريق آل العزائم وهو المحبة والعلم بأصول ثلاثة هي العلم بصفات المحبوب والعلم بأخلاقه والعلم بما يحبه. ثم الظل، ظل الله تعالى وظل القدس الأعلى وظل الغيب وظل القلب، والظل الأول ﷺ

ثم الظهور والظاهر والمظهر وظهور عجائب القدرة وغرائب الحكمة. ثم يتحدث عن العقل والعلم والعلماء وأنواعهم وأنواع العلم، ثم العبادة والعبودية والعبودة وأنواع العبادة والعابدون ومراتبهم ثم مرتبة العبد (الذي سبقت له الحسنى – الصادق – الحق – الكامل) فتحدث عن الإخلاص في العبادة وأهدافها، وتناول في كتابه أصول الوصول لمعية الرسول الأحكام الفقهية للصلاة والزكاة وفي كتبه الأخرى أحكام الصيام ومعانيه وحقائقه ثم بين أحكام الحج ومعانيه، ومعاني العبادات بصفة عامة في كتابيه "الإسلام دين الله" و "معارج المقربين" وغيرها مبينا حقائق الصلاة وروحها وجوهرها من الطهارة الظاهرة والباطنة.. الخ والزكاة والصدقة والصيام ومراتبه ثم الحج وآدابه وأسراره.. ثم العرش وحيطته وسوره ثم يتحدث عن العندية والمعية واللدنية، ثم العين والغين، ثم الغيب وأنواعه ثم الفقه والفقيه، وفقه شهادة لا إله إلا الله وفقه شهادة أن محمداً رسول الله ثم يتحدث عن الفناء والبقاء والفهم والفؤاد ثم يتحدث أبو العزائم عن التحلي والتخلي، والترتيل والتلاوة القرآنية ومراتب التلاوة، وتزكية النفس، والتسليم، والإيمان والإحسان واليقين والتصوف ظاهره وباطنه وطبقات أهل التصوف الثلاثة وهي (المريد الطالب والمتوسط السالك والمنتهى الواصل)، ثم يتحدث عن التفريد والتفكير والفكر، والتقرب والتقريب والقرب ثم التقوى ومنازلها، والتمكين، والتنزيه والتشبيه، ثم التوبة والتائبون ثم الثقة وهي روح التوكل (الثقة بالله)، ثم الجمال والجلال، والجمع والفرق، والجهاد والجهاد الأكبر والمجاهدة والمجتهدون ثم الحب ومراتبه والمحب ومخاوفه السبعة ومعرفة المحبين والمحبوب ودرجات الحب ثم حضرة الخلق وحضرة الأمر والحضرة الكائنة والحضرة الواجبة ثم يتحدث عن الحقيقة المحمدية ثم عن الحكيم والحكمة والفرقان ثم يتحدث عن الخلوة والجلوة ثم الخوف والرجاء والخيال والوهم والحس ثم الدنو والتدلي ثم الذكر بالقلب ومراتبه وذكر اللسان وذكر الجوارح وأنواع الذكر، والذكر الكثير والذكر الأكبر والذكر والفكر. ثم يتحدث رضي الله عنه عن الراح والشراب ونفخة القدس والمدام والساقي وأنواع الراح.. ثم الرب والربوبية ومعنى الرب ومقتضى حضرة الرب ثم الرجاء والخوف ثم الرجال وأنواعهم ومراتبهم ومنازلهم

ومقاماتهم ودرجاتهم وتراقيهم ومراتبهم ورتبهم وأقسامهم وأداب الرجال مع الرجال والرجل الحي الممنوح وقدر مواهبه وخصوصياته (وهو يخفي ذلك ليجمع القلوب) ثم رفرف العظمة السبوحية والرق المنشور ورق منشور معاني الصفات ثم رمز الذات ﷺ وهو حيطة هوية الوحدانية. ثم رموز القرآن في أوائل السور.

ثم يتحدث عن المقام والحال وأهل المقامات وجهات المقامات وهي ثلاث والفرق بين المقام والحال ثم أنواع المقامات (البيان والعيان والإتيان) ثم المقام المحمود ثم المناجاة والمنازلة والمواجهة والمقابلة. ثم يتحدث عن النسب الإلهي والنسب العبدي، النسب الإلهي الذي يقبل به عليك والنسب الروحاني والنسب الجسماني. ثم يتحدث عن الصور والنفخ في الصور والنفخة المقدسية (وهي السر الذي به قيام الأشباح وجوداً) ثم النفس وأنواعها ثم النفوس السماوية وهي إما مطلقة وإما مقيدة ثم يتحدث عن النور (نور بيان الحقائق ونور تبيان للآيات ونور عيان للغيب المصون والنور الأول (ﷺ) ثم يتحدث أبو العزائم عن الهداية وأنواعها والهدي ثم الهوية والواحدية والوحدانية ووجوه الأفعال ثم الوصول والواصل ثم الوجد والواجد والوجد والمعرفة ثم الوجود وواجب الوجود ثم التوحيد ووحلة التوحيد ثم الورع ومنازله ثم الوسط وأنواعه ثم الوسعة الإلهية والوقت وواجب الوقت وإبن الوقت ثم يتحدث عن ولي الله تعالى وصفاته ووظيفته (الظاهرة والباطنة) ثم اليقين ومقامات اليقين،[1] وهي عند الإمام أبي العزائم: التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة، وبعد المحبة مقامات محبوب ومنازلات علام الغيوب ثم الرهبة والرغبة ثم البقاء بالله والفناء عما سواه[2].

([1]) المرجع فيما تحدث عنه الإمام، كتاب (اصطلاحات الصوفية) نشر دار الكتاب الصوفي التابعة للطريقة العزمية الصوفية..

([2]) وقد تحدث أبو العزائم عن هذه المقامات في كتابيه "أصول الوصول لمعية الرسول" و"كم جوامع الكلم: وأوردناها في كتابنا "الأخلاق في الإسلام".

في اليقين

وفي بيان لأبي العزائم عن اليقين والموقنين يقول:-

اليقين:

- **اليقين محو الشك والإيقان بالآخرة:** اليقين هو محو الشك والريب بما ينتج الإيقان بالآخرة، والإقرار بأن القيامة لا محالة كائنة، وهي النشأة الآخرة، وأن الخلق كلهم يبعثون، ويحشرون، ويحاسبون بما عملوا من خير ومعروف، ويجازون بما عملوا من شر ومنكر، أو يغفر الله لهم، وهو الغفور الرحيم.
- **اليقين شهود أسرار الآيات:** اليقين هو شهود أسرار الآيات، وسر القدرة الساري في الكائنات، ونور الحكمة المنبلج للبصائر في كل الموجودات.
- **اليقين العلم:** اليقين هو العلم الذي بواسطة: الحس الصحيح، أو الخبر الصادق، أو العقل الكامل.
- **اليقين نور من أسرار المشاهدة:** اليقين هو نور من أسرار المشاهدة، وسر من أنوار المعرفة، ومقام من مقامات الزلفى، به يحصل التحقيق، ويدوم الحضور مع الحق.
- **اليقين حال من الشهود:** اليقين هو حال من الشهود، والرضا: فضل من الودود.

أصول مقامات اليقين: التي تنتج عنها أحوال الموقنين، وترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة مقامات هي: ١- التوبة. ٢- الصبر. ٣- الشكر. ٤- الرجاء. ٥- الخوف. ٦- الزهد. ٧- التوكل. ٨- الرضا. ٩- المحبة. وبعد المحبة، مقامات محبوب، ومنازلات علام الغيوب، ثم الرهبة، والرغبة، ثم اللقاء بالله تعالى، والفناء عما سواه.

اليقين والرضا:

- **اليقين:** هو حال من الشهود.
- **الرضا:** فضل من الودود.

الموقن والموقن في الصلاة:

●الموقن: هو من كوشف بأسرار الغيوب والآيات، وغريب تصريف القدرة، وبديع أسرار الحكمة، مما جعل قلبه مطمئناً، لا تحوم حوله الشكوك ولا تهجس فيه الريب، لأنه تجمل بسراج بزهر، وهو النور الذي يجعله الله تعالى في القلب، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠].

●الموقن في الصلاة: الموقن في الصلاة لا يمل المناجاة لوجود المصافاة، ولا يثقل عليه القيام للذاذة والإفهام، ويسهل عليه الوقوف لدنو العطوف، ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب.

أهل اليقين: هم كون في كون بهيالكم، والمشهود المكون بلطائفهم.

● يوم (ألست):

يوم تجلي الرب ، وأخذه العهود على الإنسان، بعد الاعتراف بالتوحيد، والإقرار لله سبحانه بالربوبية، وتلك الحضرة لا يشهدها العقل، وإنما تشهد بعيون الإيمان، وبنور التسليم، الذي يجعله الله في قلب العبد.

العارف

وقد تحدث الإمام أبو العزائم عن (العارف) وعن علاماته وعن رتبه، أي عارف بالأثر وعارف بالإلهام وهو عند الإمام بدل من أبدال الرسالة، ليس له مطلب إلا الله، فهو إليه آله أواه، وقد استغرق جهره ونجواه، فهو معه أو عنده أو لديه، وفراره منه وإليه. ثم يتحدث أبو العزائم عن حال العارف وعن صحبة العارف وعن الفارق بين العارف والذاكر وبين العارف والزاهد وبين العارف والغافل. وعنده أن الإمام العارف بالله تعالى هو الذي عرف الله بعد أن تعرف الله إليه، ووحده بعد أن توحد الله له، أي أراه أنه واحد وآمن به بعد أن لطف له ووصفه بعد أن تجلى الله لسره، وأخلص له بعد أن جذبه إليه، وصلح له بعد أن أصطنعه لنفسه. وتدل الآيات كلها على أن الله تعالى عرفنا نفسه بنفسه. أما السبيل الموصلة لمعرفة الله فهي معرفة صفاته وأفعاله، وإن معرفة الله الحقة مؤدية

إلى أن تعرف أن (الله أكبر) وهذه المعرفة تصل بك إلى أن يكون رجاؤك في الله وحده وخوفك منه وحده وعملك له وحده، وهذا يصل بك إلى أعظم مرتبة من مراتب التوحيد، وتصل بك هذه المرتبة العظيمة إلى ما هو أعظم منها، بأن يكشف لك ألا فاعل إلا الله تعالى، وإن كل شيء في الوجود من الله، وبالله، ولله[1] أما العالم الرباني عند أبي العزائم فهو من يأخذ علمه من ربه في أي وقت شاء، بلا حفظ أو درس فهو من منحه الله علم المعرفة به، وكاشفه بأسرار حكمته وبدائع قدرته حتى أصبح دالا به عليه، وأقتدر على بيان الحقائق بلسان الحكمة المؤثرة على النفوس.

العالم الرباني

(١) العالم الرباني:

عزيز على الباطل، ذليل للحق، كاظم للغيظ عمن آذاه، شديد البغض لمن عصى مولاه، يجيب السفيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مداهن، لا مشاحن، ولا طعان، ولا لعان، ولا مغتاب، ولا سفيه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا سباب، يخالط من الإخوان المعوان على طاعة الله، ومن ينهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاء على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين فيما أمكنه فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد، يداوي جهل من عامله برفق، إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف من غائلة، الناس منه في راحة، ونفسه منه في جهد ومن كانت هذه صفاته وأخلاقه وسيرته، جعله الله وارث علم الأولياء، وقرة عين الأتقياء، وطبيباً لقلوب أهل الحياء.

(٢) العالم الرباني:

من يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع السوء عن غيره، ولا يسيء الظن بمن حوله، ولا يقطع بالإشاعات والمفتريات، يعفو

(١) الإمام أبو العزائم في "اصطلاحات الصوفية" ـ الناشر دار الكتاب الصوفي، وفي الكتاب رؤى أخرى لأبي العزائم عن العارف.

ويصفح عما عاداه، فلا يفشي سره، ولا ينتصر منه ولا ينتقم.

(٣) العالم الرباني:

من يكون لله شاكراً، وله ذاكراً، دائم الذكر لحلاوة حب المذكور، منعم القلب بمناجاة الرحمن، يُعد نفسه مع شدة اجتهاده مخطئا مذنباً، ومع الدءوب على أحسن الأعمال مقصرا.. لجأ إلى الله فقوى ظهره، ووثق بالله فلم يخف غيره، أستغنى بالله عن كل شيء، وافتقر إليه سبحانه في كل شيء.. أنسه بالله وحده، ووحشته ممن يشغله عن ربه.. إن ازداد علماً خاف توكيد الحجة، وأشفق على ما مضى من صالح عمله ألا يقبل منه، همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه، وفي سنن رسول الله الفقه لئلا يضيع ما أمر به.. متأدب بالقرآن والسنة.. لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجوع من ذلها.. يمشي على الأرض هوناً بالسكينة والوقار، وقلبه مشتغل بالفهم والعبرة، لا يفرغ قلبه عن ذكر الله أبداً، وإن فرغ فمصيبته عظيمة، وإن أطاع الله بغير حضور قلب فهو عنده الخسران المبين.. يذكر الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين.. عالم بداء نفسه، ومتهم لها في كل حال، اتسع في العلوم فتراكمت عليه الفهوم، واستحيى من الحي القيوم، شغله بالله في جميع أحواله متصل، وعن غيره منفصل.

ومن أوتى من العلم ما لا يبكيه فخليق ألا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ (الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩) وهكذا وصف الله العلماء بالبكاء والخشية والطاعة والتذلل فيما بينهم وبينه.

(٤) العالم الرباني:

نجاة العالم، فإذا نزع الله الرحمة من قلبه نزع معها النفع بالعلم، وصار العلم من النقم بعد أن كان أعظم النعم، وقد كان إبليس من كبار العلماء فأهلكه علمه، قال سيدنا عمر بن الخطاب : (تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم

علمكم جهلكم). قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم: ٧)، فمن أدعى العلم ولم يتواضع فهو عالم بعلوم إبليس، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الجاثية: ٢٣) أعوذ بالله من علم هو عين الجهل بل يكون الجهل أقرب إلى الخير منه لأن الجاهل يسعى ليتعلم ولكن الآخر قد ملكه الغرور فباعد بينه وبين التواضع.

وإلى جانب (العارف) و (العالم الرباني) تحدث الإمام أبو العزائم وبين مقامات ومشاهدات وعلوم وأحوال الأئمة المجددين والإمام الوارث لسيدنا رسول الله وهو الفرد الجامع مشكاة المكانة المحمدية، وهو الإمام المرشد والفرد الكامل والمجدد والإمام القائم وأخلاق الأئمة وصفاتهم وأفضلهم وعن الإمام المهدي والإمام الهادي والإمام المجدد وهو الإمام الممنوح المجتهد الملهم فقه الكتاب والسنة في كل زمان بحسبه، وهو المرشد الكامل الذي يقيمه الله تعالى في كل زمان احتاج المسلمون فيه إلى البيان، وهو الفرد الكامل الذي لا تخلو الأرض منه ليقوم لله بالحجة، وقد تحدث أبو العزائم عنه بإفاضة في كتاب "اصطلاحات الصوفية"[1] فبين مقاماته ومشاهداته وآداب صحبته وآداب الاقتداء به وفيما يجوز التشبه به فيه وما لايجوز، وختم حديثه عن الإمام القائم مقام الإمام المجدد (وهو شيخ الطريق) وبين صفاته والشروط التي يجب أن تستوفي حتى يمثل الإمام من كل أنحاء كمالاته.

في التوحيد

أفاض الإمام أبو العزائم في بيان حقائق (التوحيد) كاشفاً أسراره ومقاماته ومشاهده وعلومه وفقهه وكان رضي الله عنه سباقا لغيره من العلماء في ذلك مضيفا في التوحيد رؤى ومفاهيم وتأويلات ومعاني ومشاهدات وحقائق جديدة في مضمونه ومعناه الديني الذي جاء به خاتم رسل الله أو علمه من اختارهم من أصحابه أو

[1] وهو كتاب لابد من الاطلاع عليه كاملا لمعرفة مقامات وعلوم ومشاهدات ومعارف الإمام أبو العزائم ورواه في التوجيد والعبادة والذكر والشريعة والحقيقة المحمدية والإنسان والمعرفة والعلم والحياة ومقام الصبر ثم العودة والعبودية والربوبية والرسالة والصوفية ومقاماتهم في التصوف ومجالاته وأحواله ومقاماته ومعانيه والقرآن والكتاب.. إلخ.

إخوانه أو ورثته أو تعلمه من بعده التابعين له بإحسان إلى يوم الدين. لقد أظهر الإمام أبو العزائم من أسرار التوحيد وأسرار الهيمنة الإلهية على الوجود ما أظهر وأبان وأخفى ما أخفى مما لم يبح به إلا لفرد فإن في الله وباق بالله وفي معية الله الدائمة، وكان يقول:-

إن كـــان مـــا قلـــت نـــورا	فالـــسر أغـــلى وأعـــلى
يعطـــي لعبـــد مـــراد	عـــن كـــل غـــير تـــسلى
بـــاع النفـــوس ومـــالا	حتـــى بـــه كنـــت أولى

في التوحيد

وأورد فيما يلي مختارات منتقاة هي أمثلة فقط مما حدث به أبو العزائم في التوحيد وفي فقه شهادة التوحيد.

توحيد الله جل جلاله والموحدون[1]:

التوحيد: هو تمييز الحادث من القديم، وتجرد القلب من نظره إلى الجديد حتى يذوق حلاوة التوحيد بإشراق أنوار الآيات، وظهور غرائب وعجائب الحكمة.

التوحيد: هو إفراد المقصود بالقصد، وهو الشراب الطهور الذي سقاه الله بيد عنايته من سلسبيل محبته، إحساناً منه سبحانه بسابقة الحسنى أزلاً، وهو رابطة الإسلام، ورابطة النبوة، ورابطة الله.

أول التوحيد ووسطه وآخره: التوحيد هو أن يعرف العبد صفات الله الجميلة والجليلة والكاملة، وهو الإقرار بالوحدانية.

- أوله: تسليم.
- وسطه: اتحاد بالعليم، مسارعاً إلى ما يحبه الواحد، وإن حرم الثاني ما يحبه.
- آخره: قيام بالقيومية على النهج القويم.

([1]) من كلام الإمام محمد ماضي أبو العزائم، المختار من كتابه "اصطلاحات الصوفية"..

أنواع التوحيد:

أنواع التوحيد خمسة:

- توحيد الإقرار: مآخذه قوله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله). [رواه الإمامان البخاري ومسلم].
- توحيد العلم: ومآخذه قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤].
- توحيد الشهود: مآخذه قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].
- توحيد وجود التوحيد: مآخذه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].
- محو التفريد بالتوحيد: سر قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الزمر: ٦٧].

التوحيد: هو أن تعلم أن قدرة الله على الأشياء بـ(كن)، وصنعه للأشياء بلا علاج، ولا علة في كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله، وكل ما يتصور في فهمك فإنه بخلاف ذلك.

والتوحيد ثلاثة:

- توحيد الله الله.
- توحيد الناس الله بالله.
- توحيد الناس الله بأنفسهم، وهو الشرك الخفي.

حلاوة التوحيد: التوحيد هو تمييز الحادث من القديم، حتى يذوق حلاوة التوحيد، ولم يكن في لبس من خلق جديد، ومن حكم عليه خياله ووهمه، نظر إلى المادة وأعراضها، فنسى الله تعالى، فأنساه الله نفسه، قال عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ

أَنفُسَهُمْ ﴾[الحشر: ١٩] ومن نسى نفسه بدءاً ونهاية، تمنى يوم القيامة أن يكون تراباً.

توحيد الإقرار: الإقرار بالتوحيد نجاة في الدنيا من كل شدة، وفوز بالجنة يوم القيامة إن غفر الله له ذنوبه، أو رجوعه إلى الجنة إن حاسبه الله عليها.

توحيد الشهود: هذا التوحيد الشهودي ثمرة الاستقامة وصاحبه يتمكن في مقام الإحسان.

قال عز وجل﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت: ٣٠] وهو الواصل المتصل بل هو نجم لآله وخلانه يسقى الماء واللبن، ويمنح الفضل والمنن.

توحيد العلم : هذا التوحيد ينتج بعد وضوح الدلائل المشرقة في الكائنات وشهود الآيات البينات، وصاحب هذا التوحيد مؤهل للفقه في دين الله وذوق أسرار القرآن المجيد وصحبة أبدال رسل الله، بل وصحبة الوارث الفرد الجامع، وإذا عمل هذا الموحد العالم بعلمه، ذاق حلاوة الوحدة في الكثرة.

توحيد الله نفسه بنفسه: هو التوحيد الذي لا يطيقه مخلوق مقهور، وفي الأثر: (كلكم حمقى في ذات الله) قال الصديق الأكبر: (العجز عن الإدراك إدراك)[1].

توحيد من اصطفاهم: توحيد الله الذي يتفضل الله به على من اصطفاهم من أولى العزم وعلى من اجتباهم من رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ومن اختطفتهم يد العناية، من ورثة رسول الله، وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ممن أظهر أرواحهم على بديع جماله العلي، وذكرهم في الكون بألسنة الرسل والورثة، بما أظهرهم عليه بدءاً وأعانهم فقبلوا وأقبلوا، قال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٢٣].

التوحيد الإرادي: يكون بالقصد والإرادة، وهو النور الذي يجعله الله في قلب

[1] تاريخ ابن خلدون: ٥٨٣/١، ط دار الفكر – بيروت، ٢٠٠١م – ١٤٢١هـ.

المؤمن، ينجذب به إلى طلب الله تعالى، والبحث عن العارف الذي يتلقى عنه العلم بالله وبأحكامه وبأيامه مع التسليم بعد التبصرة.

التوحيد العلمي: لا يكون إلا بالأخبار والمعرفة وهو إثبات صفات الكمال والجلال والجمال، ونفي الشبيه والضد والند، وتنزيه الجناب المقدس عن النقائص والعيوب.

كمال التوحيد: أن يتحقق العبد بكمال التجريد، وهو التجرد من الحول والقوة إلا بالله والتبرئة من الثقة بغير الله.

الوحدانية[1].:

هي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة ونفي الشريك في الأفعال عموما، أو بعبارة أخرى هي عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال، فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، قال الله تعالى مشيرا إلى تفرده سبحانه في الذات وعدم الشريك والمعين له سبحانه ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾. [الأنبياء: ٢٢].

وقال تعالى في بيان وحدانيته وتفرده سبحانه بالإيجاد مستدلا على ذلك بمصنوعاته ومخلوقاته: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾. [النمل: ٦٠-٦٤].

---

(1) الإمام محمد ماضي أبو العزائم في كتابه "الإسلام دين الله: المبحث الثاني (تقديس الله تعالى)- الناشر دار الكتاب الصوفي، وبه مكاشفات في التوحيد للإمام أبو العزائم غير ما ذكرناه هنا.

وقال تعالى في بيان وحدانيته تعالى في الذات والصفات والأفعال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ١-٣].

وقال جل ثناؤه في بيان وحدانيته وصمدانيته تعالى ونفي كونه والداً أو مولودا وتنزيهه عن المكافيء والمماثل: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤]، وقال جل وعلا في نفي اتخاذه الولد والشريك وإقامة الدليل على ذلك: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال جل شأنه ردا على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٤٢-٤٣]، وقال تعالى في عدم فلاح من أشرك مع الله تعالى غيره في العبادة: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

هذه الدلائل نور مشرق، يمحق ظلمات الأوهام، وظلال الخيال الحاجبة عن مشاهد غيب الوحدانية عن القلوب المطمئنة بذكر الله تعالى، والنفوس الساكنة إلى الله تعالى، ونار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فتحرق رجس الشرك الخفي ورجز الشكوك والريب، حتى تستعد النفوس للفلاح والفوز بمشاهدة أنوار وحدة واجب الوجود سبحانه، ومشاهدة أسرار حقيقة في الذات والصفات والأفعال، حتى يتجمل العبد بحق يقين أهل لا حول ولا قوة إلا بالله، ويكون من أهل عين يقين من شهدوا ملكوت ربهم في السموات والأرض، بقدر ما تفضل الله به على المسلمين من سر قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[الحج: ٧٨]، ونور قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: ٧٥]، وليست الحيرة في دلائل الوحدانية لأنها جلية ناصعة بينة، وإنما حيرة المؤمن ودهشته في غرائب كمالات القدرة، وعجائب جمالات الحكمة، وصفات الربوبية.

تقديس الجناب المقدس عما لا يليق به سبحانه[1].:

لله جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته وأسماؤه، واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، متوحد لا ند له، وأنه قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآماد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، وأنه تعالى ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا يعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودا، ولا يماثله موجود، وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء، وأنه تعالى لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السموات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه الأجسام وأنه تعالى لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان وأنه تعالى بائن بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواه ولا في سواه شيء من ذاته. وأنه تعالى مقدس عن التغيير والانتقال لا تحله

(1) المرجع السابق.

الحوادث. ولا تعتريه العوارض. بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال. وأنه تعالى في ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئي بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار، وإتماما للنعيم بالنظر إلى الوجه الكريم.

هذا ما يمكن أن يسطر على صفحات الأوراق مما يقرب للعقول فهمه، وتطمئن به القلوب، وترتاح له النفوس، وما وراء ذلك من شهود عين اليقين ومكاشفات حق اليقين لاتفي به عبارات أهل التعبير، ولا إشارات أولياء الله المقربين، لأنه من غوامض أسرار عجائب القدرة وغرائب الحكمة، وغيب كمالات الذات الأحدية، وجمالات صفاتها العلية، وجلال أسمائها المقدسة الصمدية.

في مواجيد التوحيد يقول:

أغني عن مواجيدي وقدري	أترجم عن مشاهدتي وسري
وبالتوحيد عن ذاتي ووصفي	محقت وبالمجالي صار خمري
ولكني أغني بالمبادي	أبين للأحبة سر سيري
وأكتشف بالإشارة سر غيب	إذا ما صح محقي بعد قهري
بلا كون أكون لأن ذاتي	لقد محقت بسري بعد جهري
أكون على الحقيقة نور قدس	ومن ذاق الشراب لذاك يدري
بلا ذات وأوصاف وكون	ولا عرش وكرسي ودهري
معان عن مقامات اتحاد	بضيق إذا تجلت كل صدري
معاني بعد توحيدي وقربي	وخلص له من كل غير
وصار هو المشاهُد بعد محوي	بعين أشرقت منه بسرِّي
فمن أنا أن أبحث بعض علمي	سوى نور العلي بغير فخر

وعن أسرار التوحيد يقول رضي الله عنه:

بعد عرفاني وحبي والشهود	نور توحيد به صح الوجود
مشهد التوحيد راح لي طهور	منه قد جاوزت بادية الجحود

بـــدؤه رؤيـــة مـــشهد أوَّلي ... في (ألـــست) لـــدى منازلـــة الـــودود
ثـــم إثبـــاتي بمحـــوي بعـــد أن ... أمـــنح الوصـــل اقترابـــا لا صـــدود
ثـــم تعيينـــي أنـــا رمـــز بـــه ... يظهـــر النـــور الخفـــي بـــلا حـــدود
وحـــدة الأفعـــال سـيري في الـــصفا ... وحـــدة الأوصـــاف وصـــلي قـــد أعـــود
ثـــم طمـــس معـــالمي إخفاؤهـــا ... في الـــضيا الأحـــدي مـــن قبـــل العهـــود
في العـــما حيـــث الإرادة نزهـــت ... والحقيقـــة أبهمـــت، نـــار الوقـــود
محـــو توحيـــدي بتوحيـــد بـــه ... أشرقـــت مجـــلاه في محـــو الـــشهود
ثـــم توحيـــد بـــه هـــو واحـــد ... نـــوره يـــولي بفـــضل لا جهـــود
واحـــد أحـــد نعـــم مـــن قبـــل (كـــن) ... بـــل وقبـــل صـــفاته قبـــل الـــورود
لم يوحـــده أمـــرؤ بـــدلائل ... والموحـــد بالـــدلائل في لحـــود
ظـــاهر التوحيـــد نـــور مـــشرق ... للمـــراد لغـــير كـــداح كنـــود
ظـــاهر التوحيـــد أعجـــز كادحـــا ... مـــن ينلـــه نـــال مرتبـــة الـــسعود
جـــنن الأروح ظـــاهره الجـــلي ... حـــير الأرواح في بـــدء العهـــود
بـــاطن التوحيـــد غيـــب غـــامض ... فـــوق عـــالين بـــه ربي يجـــود

*** وعن أنوار مشاهد التوحيد***

مـشهد التوحيـد معـراج الوصـال ... بـــدؤه الإشراق والخـــتم اتـــصال
والفـــرار مـــن المقامـــات التـــي ... ســـترتني عـــن كبـــير متعـــال
مـــشهد التوحيـــد في حـــال الـــصفا ... قـــد محـــا الحجـــب وأفيـــاء الظـــلال
وحـــدة الأفعـــال بـــدء ســـلوكه ... نيـــل حـــسن الحـــال بـــل حـــسن المـــآل
ثـــم تفريـــدي لـــه في قـــصده ... والـــتجلي لي بـــه حـــال فحـــال
بعـــد هـــذا مـــشهد لمـــشاهد ... فيـــه توحيـــدي بقـــاء لا زوال
بعـــد هـــذا أخبـــت القلـــب فـــلا ... يـــشهد الرســـم بعـــين أو مثـــال
تمحـــي آثـــاره بـــضيائه ... دكـــت الطـــور وأصـــعقت الرجـــال

والـتجلي سـتر الآيـات عـن ... كـل قلـب مطمـئن بـالجمال
بعـدها مجـلى الكـمال ولا أنـا ... شـمس قـدس قـد يلـوح بـلا زوال
وجهـه يجـلي لروحـي جهـرة ... بـاليقين الحـق لا رمـز الخيـال
بـالتنزل في مقـام الإجـتلا ... وي أنـا في الرسـم أم رسـمي محـال؟!
إن أكـن في الرسـم كيـف أرى بـه؟! ... ذا عجيـب حـالتي فـوق المقـال
في محـيط الكـون يظهـر بي الـضيا ... أيـن كـوني في التحـادي والوصـال؟!
كـوني المـرآة فيهـا صـورة ... سـترتها بـالجمال المتـوال
بـالجمال اسـتغرقت حتـى بـدا ... ظـاهرا للعـين مـن غـير انفـصال
مـن أنـا والوجـه حـولي نـوره ... سـتر الآثـار مـن قبـل انتقـال؟!
يـا ضـياء مـشرقا في وجهتـي ... فيـك أحرامـي لـدى أرض الحـلال
والفـرار إليـك منـي بغيتـي ... والحجـاب البعـد فاتحـة الجـدال
سـلمي يـا نفـس تلقـي رفعـة ... تـدخلين القـدس في حلـل الوصـال

فقه شهادة أن لا إله إلا الله

قبل التعمق في فحوى فقه الشهادة أوجه نظر إخوتي المؤمنين إلى ضرورة الالتزام بفقه شهادة أن لا إله إلا الله، وما يليق في حق الله، وما لا يليق، وهو ما ننقله عن الإمام أبي العزائم حتى لا تزيغ أبصار، ولا تضل أفكار، وهذا الفقه للشهادة هو كهف الشريعة تأوي إليه النفوس الطاهرة، والقلوب المبصرة، والعقول الحائرة، يقول الإمام: "هي ما أجمع عليها أئمة الهدي من السلف الصالح من أهل العلم بالله تعالي، والخشية من جنابه سبحانه وتعالى، وهي أول فرض فُرِضَ على المؤمنين، لأن أول واجب أجمع عليه السلف الصالح هو شهادة التوحيد، ووصف فضائلها، وهي شهادة المقربين، وشهادة الرسول .

قال تعالى لرسوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[محمد: ١٩]، وقال لعباده المؤمنين يأمرهم بمثل ذلك ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[هود:

١٤]، ففرض التوحيد هو اعتقادِ القلب أن الله تعالى واحد، لا من عدد، وأول لا ثاني له، موجود بلا شك فيه، وحاضر لا يغيب، وعالم لا يجهل، قادر لا يعجز، حي لا يموت، قيوم لا يغفل، حليم لا يسفه، سميع بصير، ملك لا يزول ملكه، قديم بغير وقت، آخر بغير حد، كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته، لم يحدثها لنفسه، دائم أبد الأبد، لا نهاية لدوامه، والديمومة وصفه غير محدثها لنفسه، لا بداية لكينونته، ولا أولية لقدمه، ولا غاية لأبديته، آخر في أوليته، أول في آخريته، وأن أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه، وإنه أمام كل شيء، ووراء كل شيء وفوق كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من ذات الشيء، وأنه مع ذلك ليس محلاً للأشياء، وأن الأشياء ليست محلاً له، وأنه على العرش استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه، وأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، الجو وجه، والفضاء من ورائه، والهواء وجه، والمكان من ورائه، والحول وجه، والبعد من ورائه، وهذه كلها حجب مخلوقات من وراء الأرضين والسموات متصلات بالأجرام اللطاف ومنفصلات عن الأجسام الكثاف – من الكثافة – وهي أماكن لما شاء، داخله في قوله (ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد)، والله جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه، متوحد بأوصافه، لا يمتزج، ولا يزدوج إلى شيء، بائن من جميع خلقه، لا يحل الأجسام ولا تحله الأعراض، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه من ذاته شيء، ليس في الخلق إلا الخلق، وليس في الذات إلا الخالق.

وأنه تعالى ذو أسماء، وصفات، وقدرة، وكلام، ومشيئة وأنوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة، بل لم يزل قائماً موجوداً بجميع أسمائه وصفاته وكلامه، وأنواره، وإرادته، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له الخلق، والأمر، والسلطان، يحكم بأمره في خلقه وملكه ما شاء كيف شاء، لا معقبَ لحكمه، ولا مشيئة لعبد دون مشيئته، إن شاء شيئاً كان، ولا يكون إلا ما شاء، لا حول لعبد عن معصية إلا برحمته، ولا قوة لعبد على طاعته إلا بمحبته، وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك، ولا يلزمه إثبات الوعيد، بل المشيئة إليه في العفو، ولا يجري عليه في الأحكام ما أجرى علينا، ولا

يختبر بأفعال ولا يشار بالمقال، حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه، لا تشبه حكمته بحكمة خلقه، ولا يقاس عدله بعدل عباده، ولا يلزمه من الأحكام ما ألزمهم، ولا يعود عليهم من الأسماء المذمومة كما يعود عليهم، قد جاوز العقول، وفات الأفهام، والأوهام، والعقول.

هو كما وصف نفسه، وفوق ما وصفه خلقه، نصفه بما يثبت به الرواية وصحت عن رسول الله ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء بإثبات الأسماء والصفات، ونفي التمثيل والأدوات، وأنه سبحانه وتعالى لم يزل موجوداً بصفاته كلها ولم تزل له، وأن صفاته قائمة به لم تزل كذلك، ولا يزال بلا نهاية، ولا غاية، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تثنية، بل بتوحيد هو متوحد به، وتفريد هو منفرد به، لا يجري عليه القياس، ولا يمثل بالناس، ولا ينعت بجنس، ولا يلمس بحس، ولا يتحد بشيء، ولا يزدوج إلى شيء، وأن ما سوى أسمائه، وأنواره، وكلامه من الملك والملكوت، محدث كله، ومظهر حدث بعد أن لم يكن، ولم يكن قديماً، ولا أول، بل كان بأوقات محدثة، وأزمان مؤقتة.

والله تعالى هو الأزلي الذي لم يزل، الأبدي لم يحل، القيوم بقيومية هي صفته، الدائم بديمومة هي نعته، أول بلا أول، ولا عن أول، آخر لا إلى أخر بكينونة هي حقيقته، أحد صمد لم يلد، وبمعناها لم يولد، ومعنى ذلك لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء، ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم يخلق ذاته من شيء، سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علواً كبيراً.

هذا ما انطوى عليه القلب من علم كلمة "أشهد أن لا إله إلا الله" الذي فرضه الله على المؤمنين، بنص كتابه كما تقدم في الآية، ومتى تحقق القلب باليقين بها باشره حق اليقين، فشهد من مشاهد التوحيد، وبدائع حكمة الحكيم، وعجائب تصريف قدرة القادر، وأنوار غيب الواحد الأحد، ما يعجز عنه البيان، ويقصر عن إدراكه العقل، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، ومتى وهب شرح الصدر، وصفى "الخيال". انتهى.

ولله تعالى صفات سنية وأسماء علية غير هذه الأسماء الحسنى قد دل عليها الكتاب أو السنة أو الإجماع، منها[1].:

(1) قال بها فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله.

الرب – الإله – القديم – الأزلي – واجب الوجود لذاته – الدائم – المحيط – القريب – المدبر – المريد – المشيئة – المختار – المحب – الرضا – السخط – الغضب – الموالاة والمعاداة.

وعن * كنز الواحدية* يقول:

هي وحدة قد تجلت عن سنا أحد … عند المجالي بأنوار مقدسة

بها تزين كنز الواحدية من … كنز الحقيقة بالذات المنزهة

ولاح من رتبة الألوان نور ضيا … ما قد تجلى بأسرار مجملة

بها انمحي البين وانجابت هياكله … وأشرق النور عن عين مكملة

ومن هوية هذا الكنز قد لمعت … كواكب النور تنبيني بهيمنة

غرقت عند تجليها بباطنها … فصرت عين البها لا عين باصرتي

ومزقت حجب الأغيار وانكشف … طلاسم ورموز عنه مبعدتي

وأشرقت شمس ذات القدس ظاهرة … بوصفها واسمها بالحق مرشدتي

تلوت سورة إخلاص وكنت إذن … حقا يقينا وفوق العرش منزلتي

وصفي تجلى وأسمائي لقد ظهرت … وذاتي الكنز مرمود بطلسمة

في واحدية أوصافي وعند ضيا … أسماء ذاتي أرى في كل مرتبتي

وفي انجلا أحد في كنز طلسمه … حقيقتي جهلت عن كل ذي مقة

يلوح من خلف أستار الجلال سنا … ضيائها في رموز بل وفي صفتي

يذوقها الفارق الفاني الذي ظهرت … أنواره وتحلى بالمتابعة

رآه هو عندما لاحت حقيقته … عن باطن الغيب في مشكاة تمثلة

في بحر حق غريق لا شهود له … وكيف يشهد من في غيب تعمية؟!

من بيننا كل بين زال فاتصلت … للأصل أوصافه في فك طلمسة

العين تشهدها عينا منزهة … لا غيرها وهي هي في الكنز مجملتي

لدى انجلت بالصفا أوصافها … فلاح منها لآلي كالمفصلة

فمن رآها بها هو هي وليس له ... بغيرها مظهر من بعد تلبية
ومن رآها به ناء وقد حجبت ... به حقيقته في كل منزلة
هذا شراب صفا عن باطن صمد ... يذاق فضلاً لأرواح مسلمة
وإن تجلى بإسم الظاهر انبلجت ... آثاره وهي غير فادر مسألتي
بها تحجب أهل البعد وانسدلت ... عليهمو حجب بالجهل مسبلتي
نسبوا لهم ما له بالجهل فاحتجبوا ... وعاينوها سوى من غير تبصرة
وكيف والنور ينبينا بوحدته ... والروح قد شهدت أسرار مرتبة؟!
أميل أشهدني غيرا بلا سند ... بعد الشهود وإقراري بتلبية
حاشا ونور جمال منه في بدا ... تكون روحي لغير الحسن مرشدتي
وفضل طه مفيض دائماً أبداً ... وعين أفئدة لا شك ناظرتي
شربت من كوثر التحقيق خمرته ... وذاته أبداً لا شك مؤنستي
بالفضل عاينتني حتى لقد ثبتت ... محبتي ورحيق القرب مسكرتي

وعن * مجالي الذات* يقول:

نعم أشرقت شمس الصفا من مجاليها ... ولاحت لنا البشري بنور معانيها
ووافي لنا من حضرة القرب أنسه ... فصافي أهيل الحان في سر باريها
ولاحت لنا لما تجلت صفاتها ... تشير لمعنى الحسن عند مباديها
شهدنا بها وجه الحبيب منزها ... ينادي لنا هيا لنيل مراضيها
فبعنا له الأموال والنفس جهرة ... فأشهدنا بالفضل نور تجليها
ولما شهدنا حسنه وجماله ... له الروح هامت سادتي من يلبيها
فلبت له روح المراد وهرولت ... ومالت به الأشواق نحو معانيها
إلى أن بدت جهراً ولا قيد عندها ... تلوح بلا حجب لمن كان يدريها
فقم وتلقي سرها من مرادها ... تكن عندها فردا لها بل وتدريها
هي الغيب غيب في كنوز تطلسمت ... هي النور سر في قلوب محبيها

وكم لي حقا في حماها منازل ... تشير بأني عبدها عن مجاليها
أدر يانديمي ذكرها ثم رتلن ... لقلبي آيات المثاني لأتلوها
وإن شرب الأحباب راح شهودها ... وغابوا عن الآثار عند تدليها
إذن فاخلع النعلين علماً ومظهراً ... تجرد عن الآثار يا من هوى فيها
وشاهد بعين القلب نوراً مقدساً ... تجلى لنا منها بكشف خوافيها
ولاحظ إذا عاينت نور محمد ... مقام التدلي فهو باب مراضيها
تأدب لديه راعبا فيه راهبا ... فحضرته المشكاة يبدي مجاليها

ويقول * وهو القاهر فوق عباده* :

كيف يخفى وهو ظاهر ... أو يغيب وهو حاضر؟!
أو يشار إليه؟! حاشا ... أن تحيزه البصائر
نهو قبل القبل فرد ... وهو بعد البعد قاهر
وهو فوق الفوق مجدا ... لا يراه كل قاصر
كل هذا الكون نورا ... عن معاني الحسن زاهر
بصفات قد تجلت ... في مظاهرها البوادر
وبأسما قد تجلت ... من معانيها الضمائر

ولإلقاء بصيص من الضوء على ما كان يقوله الإمام أبو العزائم من رؤاه ومشاهده ومكاشفاته الروحية في الكون والوجود وتجليات الأسماء الحسنى والصفات العلى فيه، أقول إننا نعرف أو نتبين أو نشاهد تجليات الأسماء الحسنى والصفات العُلى من خلال تأثيراتها في الوجود الكوني وهو الوسيط الذي تنجلي أو تظهر عبره بمعنى تجليات الأسماء الحسنى في الآثار الكونية أي المظاهر والشئون. ونحن لن نفهم عن تجليات الأسماء والصفات وطاقاتها شيئاً إذا لم تظهر أو تتجلى في الوسيط أو الجسم ولكن هذا يعني في نفس الوقت أن الأسماء الحسنى بدون ظهور أو تجلي آثارها الطافية في الوجود الطبيعي أو الروحي، فإنها تكون (موجودة) لأنها لا تأتي

من العدم فهي باقية ودائمة ببقاء ودوام الوجود الواجب لله ذاته. ولكن الوجود الإلهي الذاتي غير معروف للغير أي مجهول ولابد أن تظهر أو تتجلى طاقاته وقدراته التأثيرية عبر وسيط هو الوجود الكوني وما فيه من قوى وطاقات في الطبيعة والأجسام والكتل وهي التي عبر عنها الإمام أبو العزائم بالمظاهر والشئون التي تعتبر مرائي للأسماء الحسنى ومن خلال المعنى الذي يقول فيه القرآن الكريم (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت/ ٥٣] وأيضا المعنى الذي يعبر عنه الحديث (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني). ويقول الإمام أبو العزائم عن "مجالي الذات الأحدية":-

• الذات الأحدية – العماء:	الذات الأحدية: في عماء العماء وظلمة الظلمة وهو البطون الذاتي
• الأحد – الأحدية:	تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى النور المحال، قال):كان الله ولا شيء معه)
• الله – الألوهية:	الله : باطن بذاته الأحدية، وظاهر بأسمائه العلية، وأسماؤه سبحانه مظاهر حقية وهي باطن الخلق والأشياء. والخلق واحد وإن كثرت أفراده، والحق واحد وإن كثرت أسماؤه وصفاته. الله : الدال على الإله الحق دلاله جامعة لجميع الأسماء.
• هو – الهوية:	غيب لم يدرها غير ذاته العلية، وليس لذاته مكان.
• أنا – الإنية:	حضور لم يدره إلا ذاته.
• الواحد – الواحدية:	ظهور الأسماء والصفات المتقابلة لكن بحكم الذات فالمعز عين المذل قال) :وهو على ما عليه كان).

• الواحد الأحد – الوحدانية:	الذات المجملة بالصفات وهو أحدية الذات، وواحدية الأسماء والصفات، ووحدة الأفعال.
• الرحمن – الرحمانية:	صفة الظهور للخلق وهو الأسماء التي ينفرد بها الحق.
• الرب – الربوبية:	عرش الرحمن وحيطة مكوناته، وما فيه محل الظهور، لا محل له تنزهت ذاته. التجلي الصوري: ظهوره في الخلق على ما اقتضاه التشبيه وهو على ما عليه من التنزيه. التجلي المعنوي: ظهوره في أسمائه وصفاته وهو على ما عليه من التنزيه.
• الملك – الملكية:	الله له ملك السموات والأرض.

ويقول رضي الله عنه عن مكانة الأحدية:

نسيم كنوز الذات هبت بنسمة ... فلاحت لي المجلى بعين البصيرة

وشمس المجالي من كنوز غيوبها ... تبدت لدى محوي معالم نسبتي

محت عندها الأسماء والوصف ظاهر ... ولم يبق غلا ذات غيب علية

نسيم به محيت صفات شموسها ... ولاحت لها منها بغير إشارة

هي الغيب عن غيب عن الغيب قد خفا ... هي السر في سر الكنوز الخفية

فلا الإسم يبدو عند مجلى كمالها ... ولا الوصف ملحوظ بغير الهوية

مقام به محق الصفات محقق ... وحال به صفو النعيم وجنتي

ولا حضرة الإسم المحيطة تبدو لي ... ولا سبحات الوجه في حال غيبتي

مكانة ذات نزهت وتقدست ... عن العقل والمعقول أو عن شهادة

إذا كشفت من حضرة العز رفرفا ... به يمحق الأسماء من غير وجهة

وهـا هـي لا كفـوا لهـا في كتابهـا | تحقـق أهـل المحـق منهـا بغيـة
وقـد قـال (قـل) في سـورة صـمدية | ولم يقـل أشـهد ذق أخـي مـدامتي
فـسلم وقـل مـا قالـه لحبيبـه | وشـاهد تجليـه بعـين البـصيرة

فقه شهادة أن محمداً رسول الله[1]

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[آل عمران: ٨١]. وقال عز وجل: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[الفتح: ١٠]، ففرضها علينا أن نشهد أن محمداً رسول الله ، خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده، وهو مهيمن على كل كتاب، ومصدق لما سلف من الكتب قبله، وأن شريعته ناسخه للشرائع، قاضية عليها، إلا ما أقره كتابه ووافقه، وكتابه شاهد على الكتب، وحاكم عليها، وأنه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام أمته، وهو الذي أخبره به موسى عليه السلام أمته، وهو المذكور في التوراة، والإنجيل، وسائر كتب الله عز وجل المنزلة، وهو الذي أخذ ميثاق النبيين أن يؤمنوا به، وينصروه لو أدركوه، فأقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم، وهو الذي أخذت الأنبياء شهادة الأمم على الإيمان به، وأمرتهم بتصديقه، وأخبرتهم بظهوره، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لو أدركاه لزمهما الدخول في شريعته، وأن بقية بني إسرائيل من اليهود والنصارى كفرة بالله، لجحودهم رسالته، وأن إيمانهم بكتابه مفترض عليهم مأمور به في كتبهم، وعلى ألسنة رسلهم، وأن طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة، كطاعة الله تعالى، وأتباع أمره، واجتناب نهيه، مفترضان على الأمة إيجاباً الله تعالى له، وفرضاً افترضه على خلقه متصلاً بفرائضه.

---

[1] من كلام الإمام محمد ماضي أبو العزائم.

فضائل النطق واليقين بها: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال الرسول : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)(١)، وقال : (لو أدركني موسى بن عمران ما وسعه إلا إتباعي)(٢).

وقال الله تعالى في تحقيق المحبة: (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) [الحشر: ٩]، ثم قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، فمن محبة الرسول إيثار سننه على الرأي والمعقول، ونصرته بالمال والنفس والقول، وعلامة محبته إتباعه ظاهراً وباطناً، فمن إتباعه ظاهراً أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بشمائله وآدابه، والاقتفاء لآثاره، والتحسس عن أخباره، والزهد في الدنيا والإعراض عن أبنائها، ومجانبة أهل الغفلة والهوى، والترك للتكاثر والتفاخر في الدنيا، والإقبال على أعمال الآخرة، والتقرب من أهلها، والحب للفقراء، والتحبب إليهم، وتقريبهم وكثرة مجالستهم، واعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا، ثم الحب في الله للقريب المحب، وهم العلماء والعباد والزهاد، والبغض في الله للبعيد المبغض، وهم الظلمة المبتدعة والفسقة المجاهرون، ومن إتباع حاله في الباطن مقامات اليقين، ومشاهدات علوم الإيمان مثل: الخوف والرضا والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة وإفراغ القلب لله، وإفراد الهم بالله، ووجود الطمأنينة بذكر الله، فهذه علامات الخصوص وبعض معني باطن الرسول ، وهو من إتباعه ظاهراً وباطناً، فمن تحقق بذلك فله من الآية نصيب موفور، أعني قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد كان سهل يقول: علامة المحبة لله إتباع الرسول، وعلامة إتباع الرسول الزهد في الدنيا. وقال أيضاً في تفسير قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) صحيح البخاري : ١٢/١، ج١٥.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤٩/٢٢ج ١٥١٥٦، بلفظ: (والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني.

عَلَيْهِم ﴾[النساء: ٦٩].

قال: يطع الله في فرائضه والرسول في الدخول في سننه، فإذا اجتنب العبد البدع، وتخلق بأخلاق الرسول ، فقد أتبعه وقد أحب الله تعالى، وكان معه غداً مرافقاً في منزلته". انتهي

وقد سماه ربه (السدرة) التي أنتهت إليها علوم كل الخلائق أي منتهى ما علم الأنبياء والرسل والأولياء وغيرهم من العلماء، وما فوقها فلم يعلمه إلا هو وما وصل إليه غيره . يقول أبو العزائم عن "السدرة المغشاه":

"هو الإنسانَ الكامل، ذو القلب المعمور الذي تصبح منه أسرار البطون إلى السقف المرفوع، وهو رأس الهيكل الكامل، وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور، وهو ظاهر الهيكل، متفجرة ينابعها من البحر المسجور وهو سويداء القلب، فتسفر العوالم علوا وسفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلي، وتسارع أروح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه.

"سدرة الكمالات":

سدرة الكمالات المغشية بمعاني الصفات، التي عجز عن إدراكها الروح الأمين، ووقف عند قدمها الأول أهل التأله من الكروبيين وعالين.

"السدرة":

إشارة إلى نهاية المراتب الأسمائية التي لا تعلوها رتبة، وهي سدر ثان: سدرة ربانية: السدرة المضيئة بالضياء، في مقامات الظهور في رمز السطور.

سدرة محمدية: السدرة المشرقة بالنور، بين الجمال والكمال قبل الشئون والأمور.

وهي سدرة الحقيقة التي انتهت إليها علوم الخلائق قبل غشيانها بعلي أسرار الحقائق. " انتهى.

والمقصود من (سدرة المنتهى) هو الذات المحمدية التي كانت متجملة ومتحلية بأنوار المعرفة والعلم في منتهاهما لا يمكن تجاوزها. والمقصود من (عند) هو اتحاد

الزمان والمكان فيما يُعرف بمقام الزمكانية أو الفضا زمن الذي أخبرنا به عالم الفيزياء والرياضيات الشهير ألبرت أينشتاين لأن (عند) في اللغة العربية تفيد (الزمان) وتفيد (المكان) أي إنها تفيد الإثنين و (سدرة المنتهى) ليس المقصود منها (مكان) وإنما (حالة) أو (وضع) أو (مستوى) أو (مقام) لذات رسول الله يتجاوز عنده الرؤية النسبية للأشياء كما يراها العقل المتصل بالحواس في الأوضاع العادية والحالات الطبيعية العادية التي يصورها المخ والجهاز العصبي المركزي، يتجاوز فيه الدنو والتدلي ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم/ ٨-٩] هذه الرؤية النسبية إلى رؤية مطلقة صادقة في تعبيرها عن الحقائق ولكن في أبعاد لا نعرفها هي غير الأبعاد المعروفة لنا وللعلماء في كوننا الطبيعي حيث ينتهي الزمان وينتهي المكان[1] وحيث تكون ذات رسول الله قد بلغت مستويات من الإحاطة والمعرفة والعلم والمحتوى المعلوماتي بفضل الله العظيم ما جعلها وهي في مستوى ومقام سدرة المنتهى، تعي حقيقة الوجود في وحدة قواه وطاقاته ومتخطية حواجز الزمان والمكان وغيرهما من الحواجز والحجب والأبعاد التي تعوق الرؤية المطلقة والصحيحة للحقائق الوجودية في موجاتها وتموجاتها النورية[2] وبما يقول فيه القرآن الكريم عن رسول الله في رؤياه ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[النجم/ ١٧]. و ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[النجم/ ١١].

وعند السدرة تكون جنة المأوى كما يخبرنا القرآن الكريم، أي أنه في مستوى سدرة المنتهى وهي ذات النبي النورانية يكون واقع الجنة التي تأوي إليها الأرواح العالية الطاهرة في جواره ﷺ تحيا في مستوى نعيمها المحمدي المشهود لا تتعداه لأنها حضرة النبي المانعة كما كان يقول الشيخ الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (فلا يصل واصل إلا إلى حضرته المانعة ولا يهتدي حائر إلا بأنواره اللامعة..) فالله سبحانه وتعالى الذي دنا منه النبي فكان قاب قوسين أو أدنى، منزه عن التحرك أو التغير أو الجهة والمكان والحد والزمان والجسمية ومشابهة المخلوقات أو المحدثات لا تحده أو

(1) كما في مجالات داخل الثقوب السوداء التي اكتشفها العلماء مؤخرا.
(2) كما أثبت إينشتاين.

تقيده القيود والأبعاد ولا يدرك بالحواس أو العقول أو القلوب أو الأفئدة أو الأرواح أو بغير ذلك من وسائل أو وسائط المعرفة والإدراك. وفي قرب النبي ﷺ من ربه في مستوى ومقام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[النجم/ ٩] أوحى الله إلى النبي ما أوحى مما هو سر من الأسرار التي لم يكشفها الله ولا يعلمها إلا هو سبحانه والرسول الذي أوحى الله إليه ما أوحى. وفي هذا المقام جاوز رسول الله بذاته النورانية طاقة نور الروح القدس جبريل (الذي روي عنه أنه كان سادا بين الأفق) عند السدرة بينما أرتقى النبي وحده إلى المقام الأعلى بالدنو والتدلي ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[النجم/ ٩].

وهو ما يقول فيه أبو العزائم:

فذاتك النور نالت من لطافتها	ما دونه وقفت ذات الملائكة

وعن أسرار هذا المقام من الدنو والتدلي الذي يقول فيه القرآن الكريم ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم/ ٨-١٠] يقول الإمام أبو العزائم في أحد مواجيده:-

دنا فتدلى قبضة النور وأنجلت	له وشموس الحق بالحق أشرقت
ومن وجه الحسن العلية قد سرى	إلى روضة بالوصف والإسم أزهرت
وفي ليل محو الغير والنور ساطع	بآيات تقديس عن الكيف قد سمت
فشاهد عند القرب أسرار وصفه	وآياته العليا له عنه أنبأت
إلى حضرة فيها انتهى العلم ظاهرا	وأوصافها العليا بها قد تنزهت
ومنها إلى حضرات سبحات وجهه	وأوصافه العليا بها قد تلألأت
دنا بانتساب ثم لاحت شموسه	بأنوار قدس قد تعالت ونزهت
إلى رتبة عنها العبارة لا تفي	بها انمحق التعديد والذات جملت
ولاحت شموس الذات منها لها بها	وعين الجميل الحق للحق قد رأت
بغير انتساب لاح حسني ظاهرا	فشاهد حسني حسنه عندما انجلت

وظـاهر أسـمائي تجـلى ببـاطني ... وذاتي بمجلاها الحقيقـي قـد بـدت
وبـاطن أوصـافي تـراءى لظاهري ... ووصفي لوصفي لاح والذات نزهت
وفي (أو أدنى) السر لاح وأشرقت ... شموس المجالي عن معان بها خفت
وعند التجلي حضرة الوصف تنجلي ... وذاتي لهذا السر بالعلم دبرت
كمالات وصفي بالتجلي تلوح لي ... معان بها أزلا صفاتي قد قضت
دنو به محو التجلي بباطن ... تدل به روض المظاهر أقمرت
ليظهر سر خصصته إرادتي ... ويبدو غيب للقلوب التي صفت
ويظهر للأرواح سر (ألست) في ... معان خفيات لذي العقل حيرت
بيان وتبيان لمن سبقت له ... عنايته بالفضل من حضرة سمت
وبعد لأهل الغي إذ بعقولهم ... أرادوا وصالا للمقام الذي ثبت
تنبه فهذا العقل يحكم دونه ... بحكمي ووصفي بالنزاهة قدست
وسر خفي لا يشاهد جهرة ... سوى لمراد روحه بالصفا صفت
وذو الحس محجوب عن الحق مبعد ... وأرواحهم في هيكل الحس حجبت
وأهل مقام القرب قوم دعوا له ... به فأجابوا والصفات لهم بدت
ولاح لهم ملكوت حضرة قدسه ... فلبوا بأرواح إلى الحق هرولت
رقوا من حضيض السفل والشمس ... إلى حضرة عن مشهد الغير نزهت
وطه هو الشمس المنيرة للهدى ... إمام جميع الرسل سر بفصلت
وسنته المعراج للتابعين وقد ... أضاءت بها الأرواح والذات طهرت
فإن شئت أن ترقى لتبصر آية ... وتسمع أسرارا عن الحق نزهت
فتابع رسول الله واخضع لشرعه ... بصدق وإيقان ترى آية سمت
تحلى بأوصاف المعية عندها ... وتمنح منهم ما به الذات أنعمت
إليك إمام المرسلين جميعهم ... وشمس بنور الحق للخلق أشرقت
توجهت أرجو منك فيض هباتكم ... تفضل فعيني للشهود تشوفت

وأنـت ضـياء الحـق بـل وأمينـه ... وذاتـك نـور الله للحـق قـد بـدت
وأنـت رءوف بـل رحـيم وحـافظ ... فهبنـي منـك الفـضل فـالعين عاينـت
عليـك صـلاة الله يـا سر غيبـه ... ويـا آيـة للحـق بـالحق أنزلـت
ومنـه سـلام دائـم يـتلى سـيدي ... عليـك بـه روحـي بفـضلك سـلمت

وكل ما كان الإمام يصف ويمتدح به حضرة رسول الله فكان بأدب جم يقول فيه الإمام:

علي قدري أصوغ لك المديح ... ومدحك صاغه ربي صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوفي قدرك السامي شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي ... فأسعد بالوصال فتي جريحا
وداوى بالوصال فتي مُعني ... يروم القرب منك ليستريح
فموسى رد بعد سؤال ربي ... وأنت رأيته كشفا صريحا[1]
ألم نشرح وربي أشرح بيان ... لقدرك سيدي أضحى مُبيحا

ويقول فيه * خشوع القلب أمام إمام الرسل * يقول:

أمام إمام الرسل قف خاشع القلب ... فروضته قدس بها الفوز بالقرب
وروحي على التراب المقدس فأشهدي ... جمال التجلي بالتنزل من ربي
أمام الحبيب المرتجي فأسأل الرضا ... تأدب بإخلاص تفز منه بالحب
مقام به عالون في هيمانهم ... إلى مشهد الأسرار من حضرة الغيب
تطوف حوالي روضة النور والهدى ... عوامل أعلى في خضوع على التراب
يرون ضياه أسكر الروح والنهى ... ونورا عليا لا بشرق ولا غرب

---

[1] والرواية عند أبي العزائم كانت في معراج النبي صلوات الله وسلامه عليه، وقد تحدث أبو العزائم عن ذلك في كتابه (السراج الوهاج في الإسراء والمعراج) وفيه مشاهد روحية ومقامات للنبي عبر عنها أبو العزائم في مواجيده في الكتاب وكان رضي الله عنه يرى أن الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى هو رب العزة تبارك وتعالى الذي أوحى عندها إلى عبده ورسوله ما أوحى.

على تربه روحي قفي وتأدبي ... فهذا جمال المصطفى ظاهر صوبي
سليه وصالا واتصالا وقربة ... وراحا طهوراً لا بمزج ولا شوب
ويا قلب واجه نور أكمل مرسل ... وحي الأئمة خلصا صحة التوب
وما بين روض القدس والمنبر العلي ... تنعم بجنات الرضا حضرة القرب
وفي طيبة الفيحاء أحرم تجرداً ... وأفرده فهو الفرد للمنعم الرب
أيا نوره القدسي بدءا وخاتما ... ويا سره الغيبي عن الروح والقلب
ويا قبضة من نوره سر أمره ... سرت رحمة في خلقه مقتضى حب
جمالك منه الأمر والخلق سيدي ... وأنت مراد الله حقا بلا ريب
أضاءت بطمس الطمس في الغيب والخفا ... وأشرقت من نور التجلي بلا حجب
فكنت له بدءا لأجلك سيدي ... عوالم ملكوت وملك بلا سلب
لك الكل من أمنائه وملائك ... جلوسك فوق العرش بالقدر قد ينبي
أنا سيدي الولهان أرجو بطيبة ... جوارك ملحوظاً بقربك والحب
رءوف رحيم أنت أولي بنا أغث ... مشوقا معنى في اصطلام وفي صعب
بنفسي أولي من أبي بل ومن أنا ... وأنت الوسيلة والرضا سيدي حسبي
هيامي لطيبة صرت لست أطيقه ... فخذني مني حققن سيدي قربي
لأشهد يا خير النبيين مشهداً ... به سعد الأفراد من خيرة الصحب
وأحيا جوار المصطفى في معية ... أنال بها الرضوان من حضرة الرب
ولي مقصد أسمى وحقك أرتجي ... كمال اتحاد دائماً لي بالحب
بلا فصل في الدنيا يدوم ببرزخي ... وفي مقعد الصدق امتنانا بلا كسب
تفضل رسول الله بالوصل والرضا ... عليك صلاة الله والآل والصحب

ويقول فيه أيضاً وبنفس الأدب:-

إذا ما جئت طيبة يا خليلي ... فبح باسمي عسى أن يرحموني
ونادي سادتي ماضي مشوق ... لعلهمو بفضل يسعفوني

ومرغ فوق هذا الترب قلبي ... ونب عني وبلغهم شجوني

فشوقي قد نما وقوى زفيري ... وزاد تأوهي وعلا حنيني

ومالي يا رسول الله إلا ... حماك من الهواجس قد يقيني

ترفق يا رسول الله وارحم ... فعشقي كيف يخفى أو جنوني؟!

فجد لي منك يا طه بوصلي ... به أحيا وأشهد بالعيون

فجسمي قد ضني والصبر ولى ... وحسنك ظاهر لي عن يميني

وحاشا يا كرام الحي أني ... أهيم بكم وأنتم تتركوني

وهأنا قد رفعت اليوم أمري ... فكن لي منجدا في كل حين

وسهل لي الوصول إلى حماكم ... ومن هول القيامة كن ضميني

ومد (محمدا ماضي) بغيث ... من الإحسان يا نعم الأمين

ومد الأهل والإخوان طرا ... وكل المسلمين وكن معيني

وصلى الله مولانا وسلم ... على المبعوث بالدين المتين

سرى الطيب من روض المدينة معلنا ... قبول متابي حال كشف المعانيا

أيا طيب طيبة كل روح مشوقة ... إلى شم طيب قد يراه عيانيا

هو الطيب طيب الروح يحيي مواتها ... وطيب بقلبي صار مني مدانيا

فمن طيبة طيب النسيم يمر بي ... يحملني منه أنال حنانيا

يذكرني خير النبيين من أتى ... يدير لنا راحا أرى العلم حانيا

يعلمني ربي تعالى غوامضا ... أصير بها فردا وقد كنت جانيا

نعم طيب خير المرسلين طهارة ... يطمئن قلبي بعد أن كان عانيا

لقد كنت شطاحا وقد كنت تائها ... وبالعلم صح الكشف قد صرت فانيا

أشاهد بعد العلم معلومي الذي ... به صرت محبوبا لربي مدانيا

دنوت وكان القرب ستر عناصري ... فشاهد غيب الغيب مني جنانيا

أيا روح بعد الإتحاد تذكري ... أبعد اقترابي هل أرى ثم ثانيا

محا القرب بيني صرت لا بين حاجبا ... وربي معبـــودي أنــــال الأمانيـــا

ومــن عجـب أن اشـتياقي ولهفتـي ... ســعير غرامــي قــد أراني المغانيــا

معــاني الـتجلي صرت لهفــان حـيرتي ... لأنـــوار مجـــلاه تلـــيح المعانيـــا

معــاني نعمــوت تلتهـــا جـــواذب ... لقــد جــذبت روحــي وأخفــت مكانيــا

فــصرت بـــلا كـــون كـــأني لم أكـــن ... أعــدت إلى بــدني وقــد صرت فانيــا

أعــدت إلى لا شيء في الـضعف أولاً ... كــأني لم أثبــت بكـــوني ثوانيـــا

وفي الرســم في روض العبــودة لاح لي ... جمـــال جميـــل طمـــأن القلـــب ثانيـــا

أنـــا العبـــد في نـــور العبـــودة ســـائح ... وراحـــي مـــن القـــرآن والكـــون حانيـــا

صـلاة عـلى مـن أظهـر النـور والهـدى ... فتابعتــــه صرت الحبيـــــب مـــــدانيا

وإلى طيبة وساكنها يقول:-

إلى طيبـــة أشـــتاق في كـــل أنفـــاسي ... وأرجـو لهـا الـسعي عـلى العـين والـراس

ومـن قبـل (كـن) ينمـو غرامـي ولهفتـي ... وبالمـصطفى الهـادي ابتهـاجي وإينـاسي

أحـن إلى روض بــه الـشمس أشرقــت ... فعـــم ضـــياها الأفـــق مـــن غـــير إلبـــاس

أحـــن وأنـــوار الحبيـــب محمـــد ... أضـاءت ورشـف الـراح كـان بـلا كـاس

هـو الـشمس في أزل أضـاءت بباطني ... وصرت لتلـك الـشمس مظهـر شـماس

أحـــن ومحبـــوبي لروحـــي ظـــاهر ... ومـــا كــــان تحنــــاني لأني بالنـــــاس

ولكنـــه شـــمس وذاتي أفقـــه ... بهـــا أشرقـــت تهـــواه عينـــي في راسي

أنـــست بـــه أزلا وأنـــست لطـــائفي ... وشـــاهده منـــي فتـــى قلبـــه قـــاس

وكـم أسـكر الأرواح بـالراح والـصفا ... وكـم جمـل الأشـباح مـن طيـب أنفـاس

وكـم وهـب الأحـوال طـه بفـضله ... وواجـــه أهـــل القـــرب منـــه بإينــــاس

رفع الحاجات لسيد الكائنات

إليــك رســول الله أرفــع حــاجتي ... وأنــت رســول الله ذخــري ونجــدتي

وأشكو إليك اليوم يا سيد الورى ... ففــرج رســول الله ضــيقي وكربتــي

وأنجد رسول الله وارحم وإنني ... وحقك يا طه عليك حمايتي
وحاشا رسول الله أرجوك داعياً ... وأترك يا طه بغير إجابة
فأدرك رسول الله من أم بابكم ... ووافى ببذل وانكسار وغربة
وخلص من الأغيار (ماضيك) ... فكم يا رسول الله بيت دعوتي
توجهت يا طه إليك وإنني ... على ثقة من أن تخلص مهجتي
رماني أولو البهتان من أجل حبكم ... بما قد رموا قبلي جدودي وخلتي
وقاموا على قدم الغواية كلهم ... يرمونني بالسوء من كل وجهة
وإني رسول الله داع بكم لكم ... وأنتم غياثي بل ونصري وحجتي
فلب رسول الله دعوة من غدا ... بحبك مشغولا أتاك برغبة
فأيده يا خير الخلائق كلهم ... بتأييدك السامي ومحض العناية
وسلط على الأعداء منك بلية ... لتشغلهم عني بعظم المصيبة
وها هو أمري قد رفعت وإنني ... تحققت يا مولاي إنجاز دعوتي
بأبنائك الغر الكرام ومن لهم ... لقد أشرقت شمس الضحى بالإجابة
وأصحابك الراقين أعلى مكانة ... بحقك يا طه ومحض المبرة
وبدر وأحد سيدي وبيعة ... بها رفعوا أهل الهدى والشهادة
بيكة والطواف والكعبة التي ... هي الوجهة العظمى لأهل الإشارة
بآلك يا طه ومن بك قد رقوا ... لأعلى مقام بل وأرفع رتبة
وبالبضعة العظمى وبابني جنابها ... وبالسيد الكرار باب النبوة
بصديقك السامي الرفيع مقامه ... وفاروقك الفاني بحب الجلالة
وعثمان ذي النورين أسأل سيدي ... إغاثة ملهوف فجد لي بنجدة
وكن شافعاً لي سيدي ومساعدي ... فمن أمكم نال المنى بالسعادة
عليك صلاة الله في كل لحظة ... صلاة بها أحظى بنيل المسرة

حزب له رضي الله عنه:

اللهم فاض علينا من بحار إحسانك وكرمك فتحا محمدياً، ونوراً أحدياً، حتى يعمنا هاطل مدرار وابله، الصادر عن دائرة أحدية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ واسقنا شرابك صافيا يحفظنا بعوالمه الإنسانية عن الميل إلى فيئ لون الأسماء والصفات، حتى نستوى على عرش فناء هوية ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ وحلنى بتاج هيبة رهبانية حيطة الجمال اللاهوتي، المشرق من أوج الكمال الحقي، إلى رأس الصورة المثالية، المتجلية بجمال الصفات الذاتية، المرفوعة على هيكل الطور، المنسوخة من الكتاب المسطور، المتحلية بجوهر البحر المسجور، الظاهر في مجلى أحدية مثال الرق المنشور على الكمال الإنساني، حتى أشهد جمال حقيقتي ظاهرا عن واحدية ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ وصرفني بجميع ما ظهر بي من الأوصاف، حتى تنفعل عن علم ما أهلت له من حيث اتباع الكمال الإنساني، إنك الموفق.

وصلاة وسلاما على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

التوسل بالذات المحمدية

وقفت على الأعتاب والنور قبلتي	خضعت على الأبواب والخوف حليتي
توجهت في حال القيام مصويا	لكعبة آمال بعيني ووجهتي
لذاتك يا مجلى الكمالات والصفا	توجه هذا العبد في حال رهبة
له أمل في سيد الرسل أرتجي	بحقك يا طه بلوغي منيتي
أيا سيدي خدام أعتاب فضلكم	عليه تفضل بالعطايا الجميلة
أتيت بفضل منك للباب خادما	وإني ظلوم جاهل بمكانتي
وها أنا يا مولاي والخوف مزعجي	على ثقة من نيل إحسان نسبتي
أيا آية كبرى بها الحق ظاهر	ويا سدرة عليا بأفق النزاهة
ويا سري غيب في الحقيقة قد بدا	بطلسم أسرار لكشف الهداية
ويا شمس أفق للهدى غيبها انجلى	لأهل المقام الحق في كل صورة

ويــا روح كــل للحقــائق عنــدما تجـلى باســم الحــي وصــف الحنانــة
ويــا برزخــا بــين الهويــة ظــاهرا ومقتــضيات الوصــف سر المكانــة
وقفــت ولي إخــوان صــدق وخلــة بحبــك يــا مــولاي وافــوا بهمــة
وإني رســـول الله فـــيهم أحـــبكم وأرجــو لهــم بالفــضل عــين الحنانــة
ولي ســـيدي أهــــل وأولاد نـــسبة شــقيق لهــم فــانظر بــأعين رأفــة
ولي أيهـــا المـــولى وحقـــك مطلـــب رضــاك هــو المــأمول يــا نعــم كعبتــي
أتيـــت وإني خـــائف منـــك رهبـــة ولي رغبـــة تنبـــي بعطـــف ومنـــة
أتـت آيـة البشرى لثمت الثرى لـدى تبـــسم مـــسرورا ووافـــت بـــشارتي
إلهـــي وأشـــهدنا مقـــام دنـــوه وسر تدليـــــه بعـــــين البـــــصيرة
إلهـــي ومتعنـــا برؤيـــا جمالـــه لــدى جلــوة المجــلى بعــين النزاهــة
إلهـــي وأشـــهدنا تنـــزل كنـــزكم بليلـــــة إسراره بعلـــــم المكانـــــة
إلهـــي تجـــل بالـــصفات الجميلـــة وصــل عــلى المختــار في كــل لحظــة
صــلاة بهــا تــرأى عيــون بــصيرتي ويـــشهده كـــلي بـــروض المعيـــة
بـــأمرك صـــلينا عليـــه فـــأظهرن لنـــا نـــوره حتـــى تـــشاهد مقلتـــي
فعينـــاي يـــا مـــولاي تـــشتاق دائـــما لرؤيـــاك متعهـــا حبيبـــي بنظـــرة
وقلبـــي مـــسرور بمـــشهد حـــسنكم وعينـــاي في شـــوق شـــديد ولهفـــة
وروحـــي في أنـــس بـــذا الوجـــه دائـــما وجــسمي يرجــو منــك حــسن العنايــة
تفــضل لنــا وارفــع براقــع وجهكــم فأنـــت رســـول الله مظهـــر رفعـــة
لنــشهد بــالعين التــي قــد وهبتهــا جمالـــك في الآفـــاق في كـــل وجهـــة
إلهـــي وأكرمنـــا بفـــتح كنـــوزكم وفـــضل أيـــاديكم بـــأعظم وســـعة
إلهـــي ونعمنـــا برؤيـــا جمـــالكم بحلـــل العطايـــا الـــسابغات بنعمـــة
وســخر لنــا الملكــوت والملــك ربنــا وصرفنـــا يـــا ربنـــا بـــالإرادة
تنـــزل لنـــا بجـــمال وصـــفك ربنـــا وحـــصنا بالحـــصن حـــصن العنايـــة

وبالنور نور يا إلهي قلوبنا ... لنشهد أنوار التجلي برغبة

ومن بحر مسجور الجمال أفض لنا ... غيوثا بها نرقى لأعلى مكانة

ومن كنز مسطور المعاني ففقهن ... قلوبا صفت يا ربنا بالهداية

على الطور ثبتنا إذ الروح شاهدت ... جمال التجلي في رياض المعية

ومن نور فرد الذات عند اقترابنا ... إلهي فنورنا بسر الوراثة

وعند التدلي يا إلهي فحلنا ... بحلل قبول بعد نيل الولاية

وبالفرد أم بنا وبالنور فاهدنا ... إلهي وحصنا بحصن الشريعة

وصل على المحبوب رب مسلماً ... صلاة بها نحظى بأجمل حظوة

إلهي وبشرنا بنور ودادكم ... لتسرى به روحي بأفق الشهادة

وبالجلوة العظمى التي قد خصصتها ... لفردك نورنا بنور الحقيقة

وبالخلوة العليا التي قد منحتها ... لفردك جملنا بحلل الوراثة

وبالروح أسر يا حبيبي تلطفا ... إلى حضرة الزلفى وكنز المعية

وهيكل ذاتي يا حبيبي فعمرن ... بنورك حتى قد تراك بصيرتي

بحضرة إطلاق ونور تنزل ... وتولية الأفراد سر الحنانة

إلى الأفق الأعلى مقام تقرب ... إلهي تولنا بأعين رأفة

وعند التدلي حلنا بجمالكم ... لتشرق شمس الحق في كل وجهة

وتأتي إلى الناسوت روحي تجملت ... بأسرار لاهوت لها بالمودة

إلى أن أرى الفرد المراد لذاتكم ... يجمل ناسوتي بأسرار حكمة

وصل على المخصوص بالجوة التي ... لقد وقفت من دونها كل رتبة

وصل على الأصحاب والآل كلهم ... صلاة بها أحظى بنور الشهادة

بنورك قابلنا لنفهم سرها ... تفضل علينا يا حبيبي بنظرة

إلا يا رسول الله جئناك نرتجي ... نوال الرضا والفضل يا نور بغيتي

فتلك الليالي يا حبيبي أشرقت ... بسر التدلي أسعدني بنظرة

فولهي وشوقي بل هيامي وصبوتي ... فأنت رحيم بل رءوف بحالتي
بوجهك متعني وثبت بودكم ... فؤادي وأيدني بنور المكانة
فأنت حبيب القلب بل نور سره ... وأنت المراد الفرد حال المعية
سألتك بالنور الذي قد شهدته ... مواجهة تحيي بنور شريعة
ولم أك أهلا أن أقول وإنما ... بدا النور فاشتاقت عيون بصيرتي
ومن ذا الذي يقوى إذا لاح نوركم ... يستر أو يخفي جمال الحقيقة
تفضل وأشهدنا جمالك ظاهرا ... وبالوصل أسعدنا حبيبي برأفة
ومن ذات مولانا عليك صلاته ... وآل وأصحاب وكل أحبتي

ثم وهو يناجي النور بدءا والمرتجى ختما :

رَفعتَ أيا خير النبيين بالحب ... فتى مغرما يرجو رضا حضرة الرب
ألحت له بالحب وجها مقدسا ... به فاز بالإيقان جمل بالقرب
أدرت له راحا طهوراً فأسكرت ... نفوسا لقد كانت بسافلة الحجب
أيا شمس أهل الإختصاص وقائدا ... أولي القرب والأعلين والمشهد الغيبي
وسيلتنا لله أنت وإنني ... سألت إله العرش نورك في قلبي
بجاهك عند الله يا خير مرسل ... به نمنح الزلفى وقرآنه ينبي
وحسن اتباع المصطفى حب ربنا ... وحبك راح الإتحاد بلا شوب
وفي البدء كنت النور محبوب ربنا ... وفي الختم أنت المرتجى لانمحا الخطب
بجاهك عند الله يا خير مرسل ... تشفع أنال الخير من عالم الغيب
وحبك لي يا سيدي حيث إنني ... بحقك خطاء أخاف من الذنب
لقد أطمعتني آية الله في الضحى ... وهل سيدي ترضى ومثلي في الصعب؟!
وحاشا رسول الله وهو شفيعنا ... بيوم اللقا يخفى عن الواله الصب
وأنت بنص آلاي نور قلوبنا ... رءوف رحيم فأجذبني إلى ربي
بمقعد صدق في جوارك سيدي ... وعند مليك قادر في صفا القرب

تـــشفع لأولادي وأهـــلي أحبتـــي ينـالون فـضلا مـن وليـي ومـن حسبي

أنــال شـفا الـشافي وإحـسان محـسن ونعمـــة وهـــاب تعـــم ذوي الحـــب

نعـــم أنــا خطـــاء ذنـــوبي كثـــيرة تـــشفع لخطـــاء إلى قابـــل التـــوب

ويقول أبو العزائم عن * عبد الذات *

تجمـــل الكـــون مـــن آيـــات باريـــه فـــشاهد القلـــب منـــه سر مـــا فيـــه

وعاينـــت مقلتـــاي العـــالمين معـــا ألـــواح آيـــات تقـــديس وتنزيـــه

وعنـــدها الحـــق علمنـــي البيـــان وفي)اقـــرأ) أتـــت آيـــة ظهـــرت معانيـــه

ولاح نـــور ســـنا الـــرحمن علمنـــي قرآنـــه بانكـــشاف عـــن تجليـــه

ســـمعته بعيـــون القلـــب منـــه وفي محـــض التفـــضل اســـمعه لـــ (ماضـــيه)

وصرت عنـــد شـــهودي قـــد أرتلـــه بالكـــشف لا بعبـــاراتي وتمـــويهي

قـــرآن ذات تعالـــت قـــد يعلمـــه مـــن أنـــت في صـــورة الـــرحمن تدريـــه

عنـــه تلقـــاه إن خصـــصت منـــه بـــها هـــو أهلـــه مـــن مزيـــد الفـــضل يوليـــه

وبعـــدها تنمحـــي نـــار الكيـــان وفي الـــ ـــوادي المقـــدس تـــشهد نـــور مبديـــه

فـــتخلعن نـــسبا بالعقـــل تثبتهـــا وتـــسمع الـــذكر مـــن ذي الـــذكر وتعيـــه

وتنمحـــي ظلـــمات الـــوهم عنـــك ومـــن حـــضيض ســـفلك قـــد يخرجـــك مهديـــه

فتـــشهدن حـــسنه في آي مظهـــره جهـــراً وغيـــب خفـــي الـــسر تدريـــه

تهـــيم وجـــداً هيامـــاً صـــادقاً ولهـــا والقيـــد يطلـــق والمحبـــوب يحميـــه

حتـــى تلـــوح لـــه شـــمس المقـــام عـــلا وتنمحـــي نـــسب كـــشفت تدليـــه

ويـــنجلي نـــور رهبـــوت لعزتـــه وتـــشرقن شـــمس عظمـــوت بتنزيـــه

فيلبـــسن حلـــة والـــذي حليتهـــا نـــسجت لمـــن فهمـــوا عنـــه مجاليـــه

يخـــاف عنـــد تدانيـــه لحـــضرته مقامـــه فيواليـــه ويهديـــه

فيـــدخلن جنتـــي رضـــوان خالقـــه وروضـــة الخلـــد مـــن إحـــسان باريـــه

يكـــون عبـــدا لـــذات قدســـت وعلـــت وعالمـــا جـــاهلا تخفـــى مباديـــه

الذل عزته والخوف حليته ... والجهل علم لديه جل معطيه

ضدان قد جمعا فيه ولاح به ... نور اليقين وطه قد يواليه

لقلبه مشهد جليت حقيقته ... خفيت عن العقل أو رمز وتنويه

وظاهر العبد سير المصطفى علنا ... وسطا على الشرع محفوظ من التيه

لاحت له شمس شرع المصطفى وبدا ... له اليقين جليا في مباديه

يرى سراجا لأهل القرب يرشدهم ... بحاله ومقال في تحليه

العبد سري خفي لا يراه سوى ... مؤهل خص أن يرقى معاليه

العبد في مقعد الصدق العلي له ... نزل معية تقديس وتنزيه

العبد ما العبد هل تدري حقيقته ... إلا لمن هو بالحسنى يواليه

العبد نور لعليين تشهده ... عين الكروبي في أجلى معاليه

والعبد هذا هو العبد الذليل يرى ... من رهبة قد يكاد الخوف يخفيه

وكيف يخفى وعين الله ناظرة ... إليه والنور من سيد الكونين يأتيه؟!

يا سيدي أنت فرد الذات واحدها ... وأنت حقا مراد في تجليه

يا سيدي أنت شمس أشرقت بعلا ... أفق النزاهة لاحت بعد تشبيه

يا سيدي أنت سر غامض خفيت ... عنا معالمه والله معليه

يا سيدي أنت عبد الذات منزلة ... ونورها ظاهرا تبدي معانيه

يا سيدي نظرة يحيا الذليل بها ... ولمحة تشهدني سر ما فيه

يا غوث كل مغاث استغيث ولي ... أمل وحسن يقيني فيك تدريه

أرجوك يا سيدي نيل القبول فكن ... لما أؤمله بالفضل تعطيه

في)والضحى) لاح نور الفضل ينبئنا ... والوعد وعد الذي عمت أياديه

يا سيدي بمقام القرب منه به ... إليه أسأل فضلا منك توليه

يا سيدي وبسر السر في حجب ... من الجلال وغيب لست أدريه

أنت الوسيلة لي بل والشفيع ولي ... أمل رضاك فحققني بوافيه

وحققنـــي بــــما أوليـــت مـــن نعـــم	عنــد البـــشائر كـــي بالـــصدق أعليـــه
يـــا ســـيدي أنـــا مـــشتاق ولا جلـــد	بـــاللطف مـــولاي أســـعدني بـــصافيه
عليـك يـا نـور ملكـوت العـلا أبـدا	صــــلاته وســــلام مــــن مجاليــــه

وإذا كان الرسول رحمة للعالمين كما يقرر القرآن، فإن معاني هـذه الرحمـة لها تركيـز خاص لدى أولئك الذين آمنوا به وبرسالته، وأختلطت أنـوار معانيـه بوجـودهم ذاتـه في الفكر والشعور والحب والفهم والسلوك كما عند الإمام أبي العزائم وكما عند النخبة المتميزة من ذلك الجيل الأول من الصحابة الذين عاشوا معه وعاش معهم، أثـر فـيهم فتأثروا به، هاجروا إلى الله وإليه، أحبهم وأحبوه، التفوا حوله بما في شخصه من الرحمة واللين والسماحة والطيبة.

لقـد تميـز الرسـول بخـصائص فريـدة وطاقـات غـير عاديـة مـن القـوة الروحيـة والأخلاقية جعلتـه أهـلاً لأن يتلقـى كـلام الله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [الـنجم: ٥-٩] أي أدنـى شهوداً لأحدية الله في مقام غشيته أنـوار ربانيـة اسـتطاع الـروح المحمـدي النـوراني أن يتحملها دون أن يزيغ البصر أو أن يطغى.

لقد غفل عن هذا النور الروحي المحمدي كثير من الناس، وفطن إليـه بعـض مـن الناس، رأوا أنوار الرسول وقـد امتزجـت بـأنوار القـرآن، وتخطـوا حـواجز المكـان في أرض شبه الجزيرة العربية كما تخطوا حواجز الزمان لثلاثة وعشرين عاماً تقريباً كانـت هي فقط حياة الرسول في الدعوة التي قضاها أساساً بين مكـة والمدينـة في تلـك الحقبـة من التاريخ الإنساني في الأرض، وقد أصبح القرآن في صدروهم آيات بينـات، ويعلـم الراسخون في العلـم مـنهم تأويلـه، ويـدركون في كـل عـصر مـن عـصور البـشرية في الأرض عبر تطورها الفكـري ونمـو معارفهـا وعلومهـا وتطبيقاتهـا، وعـبر حـضارات الإنـسان في الأرض، يـدركون عنـاصر الإعجـاز والعظمـة في هـذا القـرآن، وعنـاصر الهداية والحق في هذا القرآن، وعناصر التقدم والخير في هـذا القـرآن، وعنـاصر الطاقـة والبناء في هذا القرآن، وعناصر الحرية والكرامة الإخاء والسلام في هذا القرآن.

إن الذين ينظرون إلى رسول الله فلا يرون إلا ذلك الهيكل البشري الذي كان يعيش في الصحراء ويركب الإبل ويسكن الخيام وينزل المنازل البدائية ويأكل الطعام العادي ويمشي في الأسواق للتجارة متدثراً بدثار الأمية، هم محجوبون عن رؤية النور المحمدي الحقيقي، نور الرسول في حقيقته الروحية، ونوره في أخلاقه، ونوره في رجاحة عقله وفكره، ونوره من حيث حمله لكلام الله، ونوره من حيث تخلقه بأخلاق كلام الله وتدبره لمعاني كلام الله مشهودة لديه وحده الحق في الكون وفي النفس في ظل تطابقها مع آيات كلام الله ممتزجاً بذلك النور القرآني مع النور المحمدي، والروح القرآني مع الروح المحمدي، ليسطع في هذه الليلة العلية القدر في الزمان، ويسطع في هذا البيت المعمور من قلب الرسول في المكان، نور الحق القرآني موصولاً بنور الاسم الجامع، الله نور السماوات والأرض، أي الكون كله.

ويقدر عظمة هذا القرآن كانت عظمة الفرد المختار من النوع البشري لإبلاغ هذا القرآن وقراءته على الناس على مكث، ذلك أننا إذا أخذنا في الاعتبار المصدر الرباني لهذا القرآن استطعنا أن ندرك سر العظمة الكامن في شخص هذا الرسول الذي كرمه القرآن في كثير من تقريراته، وبين قدره العظيم، وأدب مخاطبته والتعامل معه، وليس أصدق من القرآن قيلاً في الإحاطة بعظمة هذا الرسول، وحقيقة دوره الذي كلف بأدائه إزاء النوع البشري، وغير هذا النوع من أنواع المخلوقات العاقلة الواعية الأخرى التي لا تعيش في نفس ذبذبتنا الضوئية التي نرى من خلالها الحقائق المحيطة بنا في الكون كله.

لقد كان النبي محمد (سراجاً منيراً) كما وصفه ربه في القرآن الكريم مشبهاً له بالشمس في مجموعتنا التابعة لها وقد وصفها خالقها بأنها (سراج) في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦] وهي عبارة عن مصدر ومخزن ومولد للطاقة يمد الكائنات في كوكب الأرض بأسباب الحياة واستمرارها فهي سراج وهاج يمد غيره أو يسرج غيره من طاقة ناره ونوره.. وكذلك حضرة النبي سراج منير يمد الكائنات الحية في الأرض وفي الملأ الأعلى بالنور الذي يضفي عليها الحياة الطيبة الحقيقية

الروحية ويمدنا بالإيمان والتوحيد وبمكارم الأخلاق وبأنوار منهاجه وشريعته القرآنية ليكون فينا بالقدوة لنا والأسوة الحسنة نتبعه إن كنا حقيقة وفعلاً نحب الله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران/ ١٦٤] فهو ﷺ قدوتنا وأسوتنا في الأخلاق الكريمة والسلوك، وفي العلم والعمل، وفي القيادة والرشد وفي التنظيم والإدارة وفي التعامل وحسن المعاملة وفي التشاور والمشاورة وفي العبادة والذكر وفي العدل والمساواة بين الناس وفي حفظ الحقوق وكفالتها وحمايتها وفي التعاون والتكامل وفي التعقل والعقلانية وفي الحكمة وبعد النظر وفي الصبر والمجاهدة وفي تحمل الأعباء والمسئوليات وفي المعايشة للواقع والاختلاط بالناس وفي التواضع مع حفظ المقامات وفي الرحمة والرأفة بالمؤمنين وفي العطف على المساكين وفي وصاياه لكفالة اليتيم وفي معاملة الزوجات ورعاية البنات وتقديم الخير للنساء.. وغير ذلك من نماذج القدوة والأسوة حتى لقد وصفته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأنه كان "خلقه القرآن" أو أنه "قرآن حي". فقد كان ﷺ يمشي في الناس بنور من الله قد جعله الله له وبنور من القرآن قد علمه الله له وبنور من الروح قد هداه الله فيه وبنور من القلب قد طمأنه الله به وبنور من العقل قد ميزه الله فيه وبنور من الفؤاد قد حباه الله به فكان كله نور في بشريته وسراج منير بالنبوة في رسوليته.

لقد ترك الرسول ﷺ فينا – نحن المسلمين – القرآن حياً ينبض بكل أسباب الحياة الحقيقية من حيث هو روح يمد الأرواح، ونور يهدي القلوب، وآيات يستنير بها الفكر والعقل. لقد أفاض القرآن على هذه الشخصية أسمى معاني الحياة الحقيقية المستمرة حين جعل من هذا الرسول أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وهما حقيقتان خالدتان، لأن الله تبارك وتعالى حي باق، واليوم الآخر باق في الزمان بقاء الدوام والخلود. وكل إنسان عاقل يتطلع إلى الله على الدوام والاستمرار، ويخشى

ذلك اليوم الذي تشيب من أهواله الولدان، لابد أن يتطلع إلى الرسول ليتخذه أسوة حسنة في كل شئون حياته، وإلى القرآن ليتدبر آياته آية آية، ليرى الآيات تتحدث عن هذا الرسول، وعن علاقة أحداث الدعوة بشخصه، وبأحداث الأرض في تلك الحقبة من الزمان التي عاشها الرسول بشخصه البشري، من هنا فإن الحياة في معية الرسول هي في الحقيقة حياة في معية القرآن الكريم بالفهم والتدبر، والشعور والإحساس، والمحبة والإتباع، والتقدير لله ولشخص رسوله الذي اختاره خاتماً للرسل، وأهله بخصائص تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها وتمثيلها في أخلاقياته وسلوكه الشخصي في الحياة الدنيا.

ولقد كان من الطبيعي أن تختلط شخصية الرسول بمضمون الرسالة، وأن يكون الكلام الرباني مقترناً بهذه الشخصية أشد الاقتران، حتى لنكاد نلمس ذلك في أكثر القضايا أهمية، وهي قضية الإيمان بصدق وكمال الكتاب القرآني ومصدره الرباني، إلى جانب سائر كلمات الإله التي أبلغها للأنبياء السابقين بالمعنى، وهو ما يظهر في سورة البقرة ظهوراً جلياً: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) [البقرة/ ٤]، وأيضاً: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٣]، وكان هذا الخطاب موجهاً إلى الكفار.

وقد ظهر الترابط بين الرسول والرسالة أيضاً في حقيقة "الذكر"، فالقرآن ذكر وتذكير ومذكر.. والرسول أرسل بالذكر تذكيراً ومذكراً: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق/ ١٠-١١]، فبذكر القرآن يتم ذكر الله وتذكر رسول الله، ومن رأى أو اقتدى برسول الله والذكر القرآني.

ومن أبرز الخصائص القرآنية للرسول خاصية إقرانه بالله — تبارك وتعالى — في كثير من الأمور، وخاصة فيما يتعلق بالإيمان بالله وطاعة الله، فلا يعتبر مسلماً عند الله إلا من يشهد بوحدة الألوهية واصطفاء محمد خاتماً للرسل. فالشهادة

في الإسلام أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ولم تتقرر هذه الحقيقة للناس فجأة، بل كانت واضحة بصفة خاصة في وحي الرسالتين اللتين سبقتا الرسالة القرآنية، التوراة والإنجيل، بشر موسى عليه السلام بمحمد، وبشر عيسى عليه السلام بمحمد، ونزل ذلك في وضوح في كتاب موسى "التوراة" وكتاب عيسى "الإنجيل" وذكر لنا القرآن ذلك صراحة في عدة تقريرات نذكر منها:

- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[الفتح: ٢٩].
- ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].
- ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾) [الأعراف/ ١٥٧].
- ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[الصف: ٦].

إن القرآن نور وكتاب وشرعة ومنهاج وشريعة وحقيقة وروح وطاقة وحق وفرقان وأخلاق وسلوك وآيات وعلوم وحقائق ومعلومات وأمثال وحكم وترغيب وترهيب وهدى وضياء وحلال وحرام وتذكر وتدبير وهدى للمتقين وهداية للعقلاء واطمئنان للقلوب ومعارف وعبادات ومرشد وموجه ودستور للنهوض ودعوة

وحجة وعقيدة ومعاملة ودين ودولة. والإنسان الذي يبحث دائماً عن معرفة الحقيقة سيجدها كاملة متكاملة في القرآن وسيجد الحقائق في القرآن من خلال الكون والطبيعة وظواهرهما ومن خلال النفس الإنسانية ومواطنها وظواهرها، ومن خلال الهيكل الإنساني وكل مكوناته العضوية والعقلية والروحية وأسرارها، حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم مع الكون والطبيعة وآيات الله فيهما ومع أسرار فسيولوجيا الإنسان وطاقاته العقلية والروحية. وهو ما أفاض بمكاشفاته والهاماته الروحية والبصرية الإيمانية ومشاهداته الإحسانية والإيقانية الإمام أبو العزائم. وبذلك يكون النتاج الفكري للإنسان تابع للحق الكامل المكتمل في القرآن الكريم الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. والقرآن جامع للكلمات التامات وليس فيه إفراط أو تفريط في أي شيء. ولما كان النتاج الفكري للإنسان دائم التغيير، حتى ولو كان في زيادة وترقي، فإن المجهول يبدو أكثر إتساعاً كلما أزداد الفكر الإنساني في معلومه لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها أيضاً إتساعا في المجال غير المعلوم أو الذي لا يتناوله العلماء في علومهم.

وقد كان الإمام أبو العزائم يعتبر القرآن الكريم نور طريق التربية والسلوك وباب مدخله ومورد مسالكه لأنه لا نجاة للإنسان إلا بالتمسك بأحكم القرآن اتباعا لما أحله القرآن وانتهاءا عما نهى عنه القرآن، يقرأه الإنسان بانتظام أو يستمع إليه وينصت باهتمام لأنه مورد الشريعة ومورد الحقيقة معا.

وإننا سنجد القرآن عظيماً فيما احتواه من موضوعات العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والعلم بمعناه الواسع الشامل والعمل والنظرة إلى الإنسان وكل ما يتصل به في حياته الاجتماعية بالتشريعات والأحكام والأوامر والنواهي والتعليمات والتوجيهات.. الخ. وبيان الجوانب الدقيقة المتصلة بالنفس الإنسانية في طبيعتها وخصائصها وصحتها ومرضها وكيفي معاملة النفس ورعايتها الإنسان الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة، وفي الأمة ومع سائر الشعوب.

وفي الدنيا.. موضوعات السلم والحرب، والعلاقات الدولية، والعلاقات الإنسانية، وحقوق الإنسان وحرياته، وكرامة الإنسان، والإخاء والمساواة في الإنسانية، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والبيئية، والعسكرية والتشريعية المتصلة بها، ونظم القضاء، وقواعد الفقه القانوني، وعلاقات السلطات في الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية، ومسئولية أولي الأمر، وموضوعات التاريخ، وعلم المستقبل، وموضوعات العوالم الغيبية والروحية، وخصائص هذه العوالم والاستخدمات العلمية التطبيقية.. إلى غير ذلك مما يتسع له القرآن العظيم من موضوعات ممكن أن تظهر عظمتها الإعجازية في المستقبل أي في العصر أو العصور التي تلي عصرنا ببداية القرن الواحد والعشرين من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

إن القرآن العظيم كتاب جامع للمعرفة والحقيقة في آياته المتطابقة تماماً مع الآيات في النفس والكون، فهو الكلمة الآخرة التي يتطابق فيها الحق المخلوق في النفس والكون مع الحق المكتوب في آيات القرآن.. والعلم الإنساني لا يعرف الكلمة الأخيرة إذ هو دائم التطور والترقي يكشف الجديد ويكتشف في نفس الوقت أن ما خفى عنه وما هو مجهول له لا يزال كبيراً بحيث يظل العليم الخبير سبحانه وتعالى فوق كل ذي علم عليم، ويظل كلامه القرآني محلاً قابلاً للفهم الجديد نتيجة المعرفة المتجددة، ولعل العلم ينحو منحى الترقي من المادي إلى اللامادي حيث أن الحقيقة تبدأ بصورتها المادية ثم الطاقية وحقق بذلك التفسير تقدماً حضارياً هائلاً يستند إلى العلوم التجريبية والرياضيات وتطبيقاتها، فإننا ما زلنا فقراء في العلوم التي تتصل بالنفس الإنسانية والعوالم الروحية وما يتصل بهم من ظواهر ويبقى علينا أن نتأمل ونتفكر في آيات القرآن العظيم لنهتدي إلى ما يساعدنا من حقائق في تفسير هاتين الظاهرتين مع التعمق في مشاهدات ومكاشفات والهامات أصحاب الروحانيات العالية من العباد.

وأخيراً أقول أن القرآن الكريم كتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب، التوراة والإنجيل وغيرهما، ومهيمنا عليه، فهو:-

- إلهي المصدر.

- يحتوي على الحق والحقيقة كاملين وعلى يقين العلم في قوانينه.
- ذو مرجعية مطلقة بينما الكتب السابقة نسبية في مرجعيتها.
- الدستور والمنهاج الواجب تطبيقه في واقع المسلمين ودولهم.
- يوضح أن الاختلاف بين الناس في الأفكار والمذاهب والنظم سنة من سنن الله في خلقه.
- يبين أن عطاء الله للإنسان المسئول مقترن بالاختيار الحر لهذا الإنسان فيما يتعلق بمعتقداته وسلوكياته ودوافعه الموجهة لها أي نياته.
- قد تحدى الله سبحانه أن يأتي أحد بمثله فلم يستطع وسيستمر إعجازه باقيا في كل زمان وإلى أن تقوم الساعة ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء/ ٨٨].
- فيه من الوعد ومن الوعيد والإنذار ما يحذر الإنسان من اليوم الآخر.. الزلزلة والقيامة والحساب والعذاب في النار وأيضا النعيم في الجنة، ويقدر أن حساب الناس قد أقترب وهم عنه معرضون.
- لا يستوي عنده الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم الذين يؤمنون به كل من عند ربهم، ولا يجحد بآيات الله إلا الظالمون.
- به كمل الدين واكتملت النعمة على الإنسانية ورضي الله رب الناس الإسلام القرآني دينا لكل الناس وهو كلمة الله الآخرة ليس بعده كتاب منزل من عند الله.

من أهتدى بالقرآن الكريم فإنما يهتدي لنفسه ومن يضل عنه فإنما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد وهو سبحانه وتعالى يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٣].

وفي رسالة من الإمام أبي العزائم[1] إلى تلميذه وخاصته محمد الصبيحي رحمه الله يقول الإمام:-

يا صبيحي، أعلم أن القرآن جنة المعارف الشهودية، وقد أنبع الله فيه أربعة أنهار:

النهر الأول: الماء، وهو أحكام الشريعة الظاهرية، بها طهارة النفوس وصيانة الأجسام من الأوزار.

النهر الثاني: اللبن، وهو التدبر في آيات الله وما فيها من الحكم المطوية، فهو غذاء القلوب التي فازت برضاء الغفار.

النهر الثالث: الخمر، وهو شهود التجليات الإلهية، وهو غذاء الأرواح التي فازت برفع الستار.

النهر الرابع: العسل، وهو مقام أهل التمكين الذين تخصصوا بالنفخة القدسية، فكانوا أقطاباً عليها المدار.

فأعط لكل إنسان ما يناسبه بالحكمة الإلهية، فالقرآن رحمة للمقصر والبار.

مُدام أبي العزائم

مدام أبي العزائم قلبي روحاني عن علم لدني مغاير تماماً لما يقدر عليه العقل المحدود المتصل بالماديات في الوجود الطبيعي وفي المخلوق الإنساني نفسه ومقدراته الفسيولوجية في المحسوس المشاهد والمراقب والمجرب منه الذي يطلع فيه الإنسان على عالم الشهادة دون عالم الغيب المكنون الذي لا يراه ولا يزال لا يعترف به العلماء الماديون الملحدون بسبب عدم إمكانهم وضعه تحت الميكروسكوب وبالتالي إخضاعه للتجربة الحسية المعملية. هم كما يقول لنا القرآن الكريم ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] وكما يقول أيضاً: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

[1] من نصوص للإمام أبي العزائم مازالت تحت الطبع، ذكرها الشيخ قنديل عبد الهادي في كتابه عن سيرة الإمام أبي العزائم.

ولعل من أول ثمرات المعرفة بالله تعالى التمكن من التعبير العالي والصافي، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله السكندري: "تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، بحيث صار التنوير وصل التعبير، كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز، من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عباراته وحليت لهم إشاراته وربما برزت الحقائق وكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار..." انتهي.

ويقول الإمام أبو العزائم:

كيف الإباحة بالأسرار في ملأ | وهي الحقيقة تصريحاً وتيقينا
روحي قبيل بياني قد أجودُ بها | سمحاً بها وأرى الأغيار تكوينا
أخشى على الدر أن يلقى بمزبلة | فيزدري وأخون العهد والدينا

* مُدام الإمام أبي العزائم *

إذا ذكرت بدا لي | وجه الجميل حلا لي
دعوا فحالي غيب | وغيب غيب مقالي
ذوقوا مُدامي بذوق | دعوا ملامي مقالي
لولا اصطلامي بنار | ما بحت يوما بحالي
ويظهر الوجه جهرا | يبدو لكل موال

* نور الإمام أبي العزائم *

توالى على قلبي شهود جماليا | فعاينت فيه بدء سر كماليا
وأنبأني وصفي ونوري ومظهري | بسر خفي بالفتوح بدا ليا
وعند انكشاف الغين عن عين ناظري | تحجبت بالأنوار عني وعن حاليا
توالى علي النور من كل جانب | فأدهشني حتى شهدت جلاليا
ولما انمحى أيني بنور جلاله | سمعت الندا مني بنيل وصاليا
وكان الندا بي والندا لي تحققا | وعاينت نوري جوهرا ولآليا

* صورة الكنز المطلسم *

أنـا لـو أغنـي عـن حقيقـة حـالي ... وأكـشف عـن سري وعـن أقـوالي
لتقطعـت أحـشاؤكم يـارفقتي ... وتركتمـو الأولاد بـالأموال
لكـن أغنـي والمقـام مطلـسم ... في كنـز أخفـى لا بكنـز خيـالي
بالحـب تفهـم حـالتي ومكـانتي ... والـشوق يكـشف للمحـب جمـالي
أنـا صـورة قـد طلـسمت في كنزهـا ... لا تـنجلي إلا بمحـو ظـلالي

* محمد خير المرسلين *

ألا يـا حبيبـي فـيض فـضلك هاطـل ... علينـا ومنـك الجـود يـاخير مرسـل
نعـم أمـة رفـع الإلـه مقامهـا ... فأولهـا طـه وخاتمهـا الـولي
وقـد صـح ياطـه بمحكـم ذكـره ... بأنـا نعـم خـير عـلى كـل أول
وكيـف وأنـوار الحبيـب محمـد ... لقـد جليـت حقـا بحالـة أولي؟!
ولاحـت لنـا أنـواره مـن كنـوزه ... بـصورته العليـا كمثـال مرسـل
ولا غـرو إنـا بعـد أن شـهدوا بنـا ... مقاماتـه العليـا عـلى حـال أكمـل
نعـم نحـن شرفنـا بفـضل محمـد ... ونـشهد يـوم الـدين مـع كـل مرسـل
ويـسألنا في حـضرة القـرب ربنـا ... سـؤال مجيـب مـنعم متفـضل

* محمد قصد ومطلب الإمام أبي العزائم *

وقفنا على الأعتاب فافتح لنا الحمي ... فقـال لنـا بـشرى أنـا المحبـوب
وصـلنا بـه حتـى بلغنـا مرادنـا ... وقـال لنـا هـذا هـو المرغـوب
تتوجنـا مـن يـد أحمـد عنـدما ... تجـلى البهـا بجمالـه مـصحوب
سـكرنا ولا عـار علينـا وإنـما ... وصـالك يـا طـه هـو المطلـوب
ومـا ثـم إلا أنـت قـصد ومطلـب ... وحاشـا وأيـم الحـق عنـك أغيـب
أنلنـا بحـق الحـق منـك مرادنـا ... عـسى بـك وصـلي ياملـيك يطيـب

وروحـي ترقـى للعـوالم كلهـا ... وفي حضرة العلـم المهيـب تجـوب
فأنـت رسـول الله كنـز مـن التجـا ... فرفقـا فـ(مـاضي) مغـرم وغريـب
وحبـك ياطـه أذاب فـؤاده ... وفي القلـب مـن نـار الغـرام لهيـب
إذا لم تكـن عونـا لـ(مـاضي) ومنجـدا ... فمـن ذا الـذي قـد يرتجي ويجيـب؟!
ونـورك يـا هـادي لكـل مـن انتمـى ... وهأنـا لمـا أن دعـوت مجيـب
تـصدق عـلى الـصب القتيـل بلحظـة ... ليحيـا بهـا يـا سـيدي ويتـوب
منحنـاك يـا (مـاضي) القبـول تكرمـا ... فمـل لحمانـا مـا عليـك رقيـب
تمتـع بنـا في كـل مجـلى ومظهـر ... ونـادي بنـا وادعـو فأنـت نقيـب

* تاج الإمام *

توجـوني بتـاجهم ورضـوني ... خادمـا بـاب حـانهم وسـقوني
نـاولوني رحيـق راح التـداني ... وتملـت بالحـسن عـين عيـوني
وانمحـى الأيـن في المـشاهد حتـى ... صـح عنـدي التوحيـد وهـو يقينـي
وجمعـت مـن بعـد فرقـي صرفـا ... وإلى حـضرة الرضـا قربـوني

ويقول هو المنظور بالعين المحمدية :

هـم أشـهدوني نـورهم بعيـوني ... وبفـضلهم إحـسانهم منحـوني
نظـروا إلى بعـين ود فأنجلـت ... أسرارهـم وبوصـلهم رحمـوني
وبـدا جمـالهمو ونـور صـفاتهم ... لمـا تـراءى منـه صـح جنـوني
وسـمعت ذكرهمـو فهمـت صبابة ... وذكـرت مـشتاقا بنـور يقـين
لمـا ذكرتهمـو ذكـرت بهـم لهـم ... وإلى مقـام شـهودهم رفعـوني
مـا عـزم (مـاض) عنـدما شـهد الخفـا ... والطـور دك وغـاض بحـر معينـي
عـذرا إذا أنـا بحـت حـال شـهودهم ... فهمـو بإحـسان الـصفا نظـروني
لـولا الوراثـة والحـصون منيعـة ... وجمـال طـه ظـاهر بيمينـي

لأدرت خمراً صافيا لم يشربن ... إلا لفرد من أولي التمكين
فدع الملامة يا بعيد وخلني ... فجمال ربي ظاهر لعيوني
في محكم القرآن نص كتابه ... تلك الوجوه الناضرات يروني
(إلى ربها) قد قال رب صادق ... ترني وجوه أسفرت بيقين
في (أينما) نطقت بسر غامض ... وجه العلي بدا بلا تعيين

وفي الفرد الوارث يقول:

العين أنوارها تجلى بلا لون ... حال الصفا عند محو الآي والبين
والوجه يشرق للفاني مواجهة ... إن جلوه بنور الحسن والزين
والآي يشهدها المجذوب في صور ... ألواحها أفق الآثار والكون
والفرد وارث أنوار مقدسة ... في حظوة القرب لا يرجو سوى العين
أخفته عنه لها وهو القريب بها ... إذ نوره ماحق للآي في الكون
مشكاة نور لأهل الحد ظاهرة ... نور مضيئ لأهل المطلع العيني
لا بعرفنه على التحقيقي ناظرة ... لأنه المثل الأعلى لدى اللون
تخفى حقيقته تجلى معالمه ... في الأرض لكن به عالون في صون
لا يعرف الفرد إلا من له سبقت ... حسنى المهيمن بالإسعاد والأمن
هذا غريب وطوبى للغريب وكم ... طافت حواليه أملاك لدى الدين
كم أسكر الروح من معنى إشارته ... كم قد أزال حجاب العبد والرين
كم جلت أنفس بصفا عبارته ... كم ألهت وسرت لمكون الكون
صل على الفرد من بالوجه واجهنا ... من قد تراءى لنا من غير ما بين
يا سيدي هيكلي المشكاة واجهة ... سر الحقيقة بالمجلى وبالعين

وعن صولة حال الوارث يقول:

بعض حالي يدك شم الجبال ... ويقولي يلوح نور الجمال
يا سروري لما تمكنت أخفي ... عن أولي الوجد سر قولي وحالي

رحمة بالقلوب لا باحتجاب بل لحرص عليهمو من جلال
غاب عن أعين الرءوس تعالى وبدا النور مشرقا للرجال
عشقوه لما تجلى ولاحت شمسه دك كل جبل وعال
صعقوا من شهوده ثم غابوا ثم صاحوا وترجموا بالكمال
هكذا حال من تناول راحي فهيام عن لهفة للوصال

وقد عبر الإمام أبو العزائم عن مشاهد بينها بعبارات أو إشارات في حالات مختلفة منها ما هو بين الصحو والسكر، والبقاء والفناء، والإتحاد والإنفصال، والحضور والغيبة، والبعد والقرب والإباحة والإخفاء والجمع والفرق.. إلخ وهذه مشاهد لقلب صافاه الله فصفا وصوفي، لا تقيده أبعاد ولا تحيزه مادة في الطبيعة ولا تحتويه تجربة في المعمل ولا تحجبه المظاهر والشؤون، وإنما هي مشاهد الوسعة والإحاطة الإلهية بالوجود كله والموجودات فيه وما تتجلى به أسماء الله الحسنى يقول فيها الإمام أبو العزائم:-

سح في العوالم وأشهدن أسراري كيما ترى حال الصفا أنواري
وأشهد بدائع آي صنعي والحظن نور الصفات بمظهر الإسفار
في الهيكل الداني فسخ حيرة والحظ غيوب تنزل الأقدار
يجلي لك الوجه العلي منزها عن نسبة الأكوان والآثار
في تلكمو الآثار فاشهد حكمة عن قدرة لاحت لفرد سار
في البحر آي بديعه لمن اجتدى في البر فضل من علي بار
سح في السما ما فوقها في العرش بل ما فوقه من غيهب الأنوار
بعد السياحة فافن عنك بمن علا عن مشهد الأرواح والأفكار
واعجز عن الشكران واشكره تكن عبدا له في حظوة الأخيار
في الفرق فالزم ترب آداب الهدى روض العبودة مشهد المختار
خل الكيان وظله مستغرقا في وحدة الأفعال في استغفار

تـر عنـدها الوجـه العـلي مواجهـا — مــن طهــروا بعنايــة الغفـــار
في جمـع جمـع خـل أنـت مـسارعا — إذا أنــت ظـل الحجـب والإدبـار
في الإجتبـا كـن راضـيا عنـه تفـز — في الإجتبــا منــه بخـير جــوار
في الإصـطفا محـو الـصفات جميعهـا — فيهـا يلـذ لـدى الوصـول فـراري
في الإصــطفا أنـا عبـده ظـل لـه — قــد مــد منــه بخـيره المـدرار
مــن بعـد هـذا لا أنـا وهـو الـذي — لمـــا تجـلى قــد محـا إظهــاري
قــد دك ناســوتي بـصعق لطيفتــي — قـــد ســتر الأســماء بالـــستار
لم يبــق إلا هـــو وهـــو في ظلمــة — مجهولـــةٍ قـــد تــدري بالأخبــار
ســل نفخــة القــدس العليــة أنبئــي — ذا صـــبوةٍ في حــيرةٍ في نـــار
نــار الغــرام لكـشف هــاء هويــة — لم تبــدها بالـــذات في الأســـفار
غيــبٌ عَــلَا عـــن نَفْخَــةٍ قدســيةٍ — جهـــرٌ بَـــدَا بالوصـــفِ والآثـــارِ

وقبل أن تعرض أمثلة فقط من مشاهد الإمام أبو العزائم في مواجيده تاركين قشور مبني الكلام وآخذين بالعبرة من معناه والإشارة في فحواه، نقول في البداية ما كان يقوله الإمام عن هذه المواجيد:

لَيْسَ شـعراً مـا قلـت حـال شـهودي — بـل هــو الخمـر يحتسى في الوجـود
راح قــدس قــصائد مـــن قـــصود — وهـــي إشراق علمـــه التأييـــد
بينـــت قــــصد آلــــه ومـــشوق — تُــسكِرُ الــروح في خفــاءِ الجَدِيــدِ
يحتـسيهَا اُلمـــرادُ حـــال صـــفاءٍ — بعـدَ نَيْـلِ القبُـول حفـظ العُهُــودِ
أظهــرتَ غَــامِضَ العُلُــوم عِيَانًــا — تــشهدُ الــصبُّ غَــامِضَ التوحِيــدِ
مُقتــضى نــشوتي بحـــان (ألـــست) — حــين واجهــت وجهــه في سـعودي
تـــوقظ النـــائمين منهـــا بمعنـــى — تجــذب الــروح لا بكــد الجهــودِ
نُــورُ فــضلٍ يُجـلي الحقــائق كـشفاً — للمُـــرَادِ المحبـــوب سِرَّ المزيـــد
لـيس شِـعراً مـا صـيغَ بـل هُـو سِرٌّ — لَاحَ للعـــارفين بعـــد الـــشهود

بـل هـو الـذكرُ تَـسْبَحُ الـرُّوحُ فِيـهِ ... في عـلي الملكـوت حـال الـورود
وهـو ذكـرى للمـؤمنين حُـضُوراً ... يكـشف الحجـب للمحـب المريـد
خُـذْ مِثَـالاً بـدئي جمـالُ الـتجلي ... فيـه رسـمي مُظِـلٌ بِالْمُعِيـد
سـدْرَةٌ سُـترت بغيـب مَـصُونِ ... رمـزُ إشراقِـهِ بغيـر حُـدُود
ظلـل الرسـم نُـورُ أوْصَـاف غيـب ... سـتر النـور سـدرتي في شـهودي
أظهرتنـي لهـا ضـياء جليـا ... نـور برهـان مـشهد التوحيـد
جملتنـي الأوصـاف منهـا بـسر ... شـاهدته الأمـلاك حـال الـسجود
لم يكـن قبلـه ومعـه سـواه ... غـير أني ظلالـه في وجـودي
مقتـضى قـادر حكـيم تجـلى ... صرت كنـز الغيـوب في تجديـدي
رمـزي الكـون سـترته المعـاني ... عـن عيـون المـراد حـال صـعودي
بعـد ردي لأسـفل الـسفل حينـا ... أخرجتنـي للنـور معنـى الـودود
أسـفل الـسفل رتبتـي ثـم صـلى ... بـالتجلي عـلى سـلب صـدودي
كـل أرضي قـد بـدلت بـالتجلي ... واقـترابي بفـضله والجـود
والـسما بـدلت ولاح جميـل ... شـاهدته عيونـه في وجـودي
لم أكـن قبـل فـضله ثـم شـيئاً ... صرت شـيئاً مـرآة بـر حميـد

وكان الإمام أبو العزائم يخفي أحياناً من الأسرار ما لا يبوح به، وأحياناً يبدي من الأسرار ما خفي عن غيره، وها هو يقول:

لـولا ولـولا ولـولا ... عهـد وثيـق لمـولى
لكـشف عنـي سـقاري ... وبحـث بالـسر قـولا
لكـن ووجـه جميـل ... لعـين قلبـي تجلـى
إن كـان مـا قلـت نـوراً ... فالـسر أغـلى وأعـلى
يعطـي لعبـد مـراد ... عـن كـل غـير تـسلى
بـاع النفـوس ومـالا ... حتـى بـه كنـت أولى

أغيـب عنـي وأمـلي ... لمـن بـسري تحـلى

لـست المغنـي بقـولي ... إلا إذا الفـرد أمـلى

والفرد هو النبي ، وأبو العزائم له به صلة وراثة ومحبة وعشق وغرام وتمجيد يقول فيهم:

ويـايعني واختـار ذاتي لذاتـه ... فـذقت جمـالي العبـد حـين أبـايع

وعلمنـي الأسماء في الجمـع كلهـا ... وأيـدني بـالحق والنـور سـاطع

وحملنـي تلـك الأمانـة بعـد أن ... تجلـت عـلى مـرآة قلبـي الودائـع

ومن هذا المنطلق في الوراثة المحمدية في عصره، وعصرنا كان يقول:

بالفـصل حقـاً قـد عرفـت مقـامي ... فـرد الوجـود وإمـام كـل إمـام

الـسابقون الأولـون جمـيعهم ... خلعـوا العـذار ولم رقـوا المقـامي

ولـو أنهـم في عـصركم يـا أحبتـي ... لأتـوا بـذل طـالبين مـدامي

أكفـاك لومـا يـا عـزولي انني ... بـاب المدينـة والمقـام مقـامي

ن سيد المرسلين وخاتم النبيين يقول:

نعـم أنـت يـا نـور المجـالي العليـة ... ويـا شـجرة الزيتـون راحـي وخمـرتي

ومنـك حبيبـي قـد تناولـت صرفهـا ... وهأنـا أبـديها بقهـر ونـشوة

ولـولاك يـا طـه وعـين عنايـة ... لمـا فتحـت أبوابهـا للأحبـة

مـن الحـوض ناولـت الـشهية صرفهـا ... ووراثـك الأبـدال راح المعيـة

* المحبوب *:

أحبـك يـا حبيـب القلـب لكـن ... أخـاف عـلى وجـودي مـن شـهودي

أحبـك يـا حبيـب العقـل لكـن ... خـشيت عـلى مـن نقـض العهـود

أحبـك يـا حبيـب الـنفس لكـن ... رهبـت مخافـة فـك القيـود

أحبـك يـا حبيـب الـروح لكـن ... أخـاف اللـبس مـن خلـق جديـد

أحبـك يـا حبيـب السـر لكـن | أخـاف يفـك رمـزي في وجـودي
أحبـك يـا حبيبـي في فنـائي | لـدى تفريـد قـصدي في ورودي
أحبـك أنـت محبـوبي وحبـي | فكـن للبـدء في محـوي معيـدي
لأحظـى بالرضـا والفـضل ربي | مهنـى بـالعواطف والمزيـد

ثم إليك يا أخي القارئ أمثلة مما كان يشهده ويكاشف به ويُلهم الإمام أبو العزائم ويعبر عنه في مواجيده:

كشفوا الرموز عن الكنوز الخافية | فـتلألأت دُرر المعـاني الـصافية
ومحوا طلاسم وصف ذاتي فانجلت | أنـوار باطنهـا ولاحـت باديـة
رفعـوا البراقـع عـن بـديع جمـالهم | بجمالهـم فغـدت عيـوني رائبـه
ثـم انمحـى هـذا الـشهود بمظهـر | متـزين بعقـود غيـب غاليـه
فيـه بـدت أنـواره منـه لـه | بعـد انمحـا تلـك الرسـوم الباليـة
وبـدت جـواهر كنـز وحـدة وصـفه | بظهـور أسـماء الكـمال العاليـة
وتبـدلت صـور التقيـد وانجلـت | مـن بـاطن الأسرار شـمس باقيـة
وعـلا الـضياءُ فبحـتُ عنـد شـهوده | كيـف التـستر بعـد شرب مداميـه؟!
هـم أسـكروني مـن شراب صـفاتهم | فنظـرتهم ورسـوم كـوني خافيـه
وشـهدتهم بعيـونهم وبـسمعهم | وشرابهـم لم يبـق منـي باقيـه
غاب الـشهود وأشرقـت شـمس الخفا | لهمـو بهـم عـنهم تبـدت داعيـة
وهمـو الـذين دعـوا فلبـوا عنـدما | جليـت (ألـست) لمـن يلبـي هاديـه
وتـلألأت أنـوار أوصـاف سـمت | بجلالهـا وجمالهـا هـي قاضـيه
والكـل نـور جمالهـا لا غيرهـا | وعـلى الـذي كـان عليـه باقيـه
ولقـد جننـت وبحـت يـا قـومي ولا | لـوم عـلي فقـد شـهدت جماليـه
لـو قطـرة ممـا شربـت تـدفقت | فـوق الجبـال الـشم ذابـت خاليـه
هـذا هـو التحقيـق ذقـه مـسلما | واخـضع تنـل بالفـضل فهـم مقاليـه

فلنا مع المحبوب أسرار سمت ... بالفضل أولاها فعز مكانيه

وأفاض لي إحسانه وجماله ... صرفاً على روحي فأضحت (ماضية)

هذي مبادي حالنا فإذا انجلت ... شمس غرقت ببحر نور جماليه

أك طلسماً لا يدرني إلا أنا ... خاف وأوصافي لذاتي باديه

عني وبي مني ولي لي مشهد ... عند الظهور لدي انجلا أسمائيه

في غيبتي أو حضرتي أنا كامل ... نزه وشاهد نور مجلى ذاتيه

كل الذي أنا فيه فضل محمد ... منه بدا وإليه كان وصوليه

شمس الحقيقة بل وبدر صفاتها ... كنز لأسماء الجمال السامية

أصل الأصول به تجلى وصفه ... وأضاء زيت مثاله بفؤاديه

ويقول :

ستائر الغيب في حال الفنا كشفت ... وحجب نأي لدى الإحسان قد رفعت

ولاح نور الخفا من حضرة رفعت ... عن نسبة وانتساب عندما سمحت

وأشرقت شمس قدس الحق ظاهرة ... بوصفها وهي في كنز الخفا خفيت

فشاهدتها مع التنزيه واصغ إلى ... آيات حق بقرآن لها نطقت

وبالنزاهة فاطلب سر وحدتها ... وأشرب رحيق التداني إذ لنا سمحت

وإن علاك هيام الوجد وارتفعت ... عنك البراقع فاسمع ما به نطقت

هي الجمال بلا قيد ولا نسب ... لاحت منزهة وبوصفها ظهرت

هي الكمال ولا حس ولا عقل ... يدنو إليها ولا عين لها لمحت

جلالها ظاهر والكل نور سنا ... سر التجلي إذا ما شمسها طلعت

فدع شهودك للأكوان وافن إذن ... عن كل ما تشهدن نفس وما علمت

وأدخل رياض محاسنها وبهجتها ... إذا سلبت أنا فالحجب قد سلبت

والعقل قيد فدعه وارحلن إلى ... حظيرة القدس عن أرض وما حملت

واصعد إلى حضرة الملكوت مدكرا ... في أي حسن بها الآثار قد محيت

لا تعتقـــل بقيـــود العقـــل إن بـــه ... نـار الجحيم لأهـل البعـد قـد حميت

بـــالروح فـــاسر إلى العليـــاء إن بهـــا ... عـين اليقـين لهـذا الحسن قـد شـهدت

واسبح بجنـة رضـوان الـشهود ومـل ... إلى الحظـيرة في حلـل لهـا نـسجت

وفـــر منـــك إلى الحـــق اليقـــين عـــلى ... رفـاف القـدس إن أنـواره لمعـت

بـــه توجـــه إليـــه معلنـــاً أبـــداً ... لأنـه هـو هـو والـذات قـد جلت

جهل هـو العلـم من حـال الفنـاء لمن ... محقـوه عنـه بهـم إذ روحـه سـكرت

وتـــرجمن بلـــسان الـــسر معتـــصماً ... بحبـل ربـك واشرب خمـرة عتقـت

مـن حـضرة القـدس طـه قـد يناولها ... لمـن صـفا بالـصفا إذ روحـه لحقـت

يا سيدي يا طراز القـدس عـن أحـد ... في واحديـة أوصـاف بكـم ظهـرت

الشوق والوجـد يا مـولاي قـد حكـما ... خلـص حبيبـي فـؤادي نـاره التهبـت

فتـــارة أنـــا مخمـــوراً أراك أنـــا ... وتـــارة أنـــا عبـــد ذاتـــه محقـــت

لاحـت صـفاتك في ذاتي فـلاح لهـا ... سر الحقيقـة والأسرار قـد كتمـت

هيـــا لـــساني فـــترجم بالخفـــاء ودع ... فلـك الإشـارة إذ آياتـه تليـت

هـــو الجهـــال لـــه عنـــه بـــه أبـــداً ... تبـدو لي العـين إن شـمس الهـدى

وهـذه الـشمس شـمس الحق طالعة ... فاشهد بها حسنها فالعين قد نظرت

بهـا تـرى الحـسن في صـور منزهـة ... عـن الـشبيه بكنـز الغيـب قـد نظمـت

ويقول :

غــن لي يــا بــشير[1] إن أشــهدوني ... وبمـــرأى جمـــالهم هيمـــوني

وأدر لي مــن خمــرة القــدس راحــاً ... قــد صـفت بـاليقين لي واسـقيني

وتجــرد عــن نــسبة وانتــساب ... فهمــو مــن شرابهــم أسـكروني

كـشفوا لي حجـب التباعـد عـنهم ... ولحـان التقـديس قـد قربـوني

نـــاولوني المُـــدام صرفـــا فهمـــت ... وعـلاني ولهـي وصـح جنـوني

([1]) السيد بشير من عائلة الإمام أبو العزائم.

فخلعت العذار لما سكرت ... من رحيق مقدس ومعين

وإذا ما حُليتُ بالحال فاصغي ... فحديثي وذُق معاني شجوني

فعيوني رأت جمالاً تعالى ... فعندما لهو بها جذبوني

رفعوا لي عني الحجاب فلاحت ... شمسُ حق بوصفهم تنبيني

كشفوا لي ران احتجابي عنهم ... رفعوني إلى المقام الأمين

فبدا لي عند التداني جمال ... غبتُ فيه عن نسبتي وشئوني

وتلاشت معالمي عند قربي ... وبدا لي نور أمامي يميني

ناولوني كتابهم ففهمت ... أنني الرمز في ابتدا تعييني

ومحوا طلسمي ففكت رموزي ... وبدا حُسن وجههم لعيوني

ثم غيبي قد غاب عني وغابت ... كل نسب تلوح من تكويني

صرت غيباً في غيب مصون ... بل وسراً في سر سر مبين

ومعان تطلسمت فأضاءت ... ناطقات بيالها من شئون

غيبها الرمز والحضور خفاء ... وظهوري بطونها عن بطوني

وبطوني بطونها وظهوري ... هو نأي عن حلها والحصون

قد أضاءت وأشرقت وتجلت ... وهي هي في مقامها التمكيني

حسنها ظاهر بها قد تراءى ... وتجلى في روضها المأمون

وتجلت بحسنها وأضاءت ... وتعالت عن أن ترى بالعيون

واقترابي محوي بها عن سواها ... ودنوي الفنا بحسن يقيني

قد صبغت بصبغة الذات حتى ... صرت حسناً في حضرة التلوين

صبغة الله قد محتني جهاراً ... والسها بُدلت بحق اليقين

ليس إلا هو والمقام خفي ... يدره ذو صبابة وجنونِ

ومحب قد غاب عن كل حظ ... وتلقى علمي بصدق يقين

جرد النفس عن هواهُ ووافى ... قائلاً مت سادتي فأحيوني

هــذه الــروح جملوهــا بحلــلٍ ... ومــن القــدس بالــصفا نــاولوني
ومــن العــين عــين شرع التهــامي ... فــأديروا شرابــةُ أســكروني
فهـــواكم وحـــبكم في فـــؤادي ... وغرامــي بكــم ووجــدي يقينــي
مــن يكــن هكــذا يفــاض عليــه ... بحــر علــم مــن علــم طــه الأمــين
ولــه بالــصفا المدامــة تعطــى ... مــن رحيــق التقــديس والتمكــين
يــا إلهــي بحــق قــرآن ذات ... بــالتجلي في حــضرة التعيــين
وبمجــلي بــه الــصفات تجلــت ... وبنــور مدحتــه في نــون
وبكــل الأســماء والوصــف ربي ... وبــآي قــد أشرقــت للعيــون
قــد تبتلــت ضــارعاً فتفــضل ... بجــمالٍ مقــدس واليمنــي
وبعــين الجــمال فــانظر إلهــي ... لي وبــالنور ســيدي فاهــديني
واعطنــي الخــير والرشــاد وهــب لي ... كــل فــضل وعــن ســواك اغنينــي
ولأهــلي وكــل إخــوان صــدق ... فــانظرن بــالجمال في كــل حــين
رب صــل عــلى الحبيــب الأمــين ... واســقنا مــن رحيقــه ومعــين

ويقول :

حــان الــشراب هــو الوجــود الظــاهر ... وهــو المَدامــة للعقــول يخــامر
وهو الجمال الـصرف عند أولى الـصفا ... ولكــم بــه للحــق ثــم مظــاهر
هــو خمــرة العــشاق بــل هــو نــورهم ... وبــراقهم وهــو الجــمال الزاهــر
ودلــيهم لــشهود حــضرة قدســه ... يرقــوا إلى غيهوبــة لا تنكــر
ولــدى الــتمكن مــن شــهود جمالــه ... صرفــا تبــوح بــسر ذاك ضــمائر
تمحــى المظــاهر في شــهود حقيقــة ... تجــلى بعــرش زينتــه سرائــر
تمحــى الظهــور وتــنجلي أحديــة ... ذوقــاً يراهــا قلــب صــب عــامر
ويلــوح عــن أفــق الــسرائر بــارق ... يبــدو بــه ليــل المظــاهر أقمــر
ويــرى الجهالــة عنــدها علــماً بــما ... في كنــز بــاطن ذات مــن هــو قــادر

ويشم رائحة الكمال إذا انجلت — عين اليقين ومثل ذلك ينـدر
هذا هو التبر المصفى من رأى — أنواره فهو السعيد الفاخر
ولقد دخلت الحان حان شهوده — وشربت منها كل ما قد يسكر
وفنيت حتى صرت عرش ظهوره — تهتز لي عند البيان منابر
وغرقت في بحر الإحاطة فارقاً — طوراً أخوض وتارة أنا زاخر
حتى لقد صرت المحيط وصح لي — أني على نهج ابن مريم عابر
حتى انجلت أسرار طه لي وقد — حققت به هو سيف حق باتر
وحباه بالإحسان منه مراتباً — كل على تعدادها لا يقدر
وبمحض فضل محمد قد أشرقت — شمس وبدر شريعة لي ظاهر
هذا هو المجد الأثيل وحبذا — نعم بفضل محمد تتبادر
أما بنعمته فحدث إنه — كنز الهوية للفضائل ناشر
والكل علوا بعض فضل محمد — وعوالم الكونين عنه مظاهر
كل الوجود بأثره في دهشة — والكون عن فهم الحقيقة حائر
عجز الورى عن فهم سر محمد — لم يدره إلا الإله القادر
هو نور مجلى الذات بل هو قبضة — عنها تجلى كنز حسن باهر
بل مبدئي عن أولى قد أشرقت — شمس التجلي عنه وهو الآخر
بجماله وكماله يا ربنا — كن ناصري وموفقي يا ساتر
أثبت إلهي (ماضياً) بمعية — وصفت وفي القرآن ثمة تذكر

وعن * الحسن المصون * يقول:

رأى عند كشف الرين أسرار ما فيه — فلاحت له شمس الحقيقة تهديه
وذاق لدى محق السوى راح قدسه — فأيقن صدقا أن مولاه موليه
ومرآة ناسوتي صفت وتلألأت — بها صور لاحت لها من تجليه
ولما انجلت مرآة هيكل حسنه — ولاحت له من كل وجه معانيه

لقد غاب حتى شاهد الحق ظاهرا … وعني انمحى ما كان عني يخفيه
ومني لي لاح الجمال مقدسا … إلى أن نأى عني الذي كنت رائيه
ولما تراءت لي محاسن وصفه … تيقنت أني قبل قد كنت في التيه
محا نور شمس الحق عني باطني … فصرت أنا الحسن المصون لرائيه
صفاتي نور أشرقت عندما انجلى … وذاتي انمحت لما تجلت معاليه
وصرت مع التنزيه آيات حسنه … ولوحا به لاحت حقائق باريه
ووصفي هو هو إذا ما تبدلت … بأسمائه الحسنى صفات تدليه
جمال صفا عن نسبة وتناسب … وعن فكرة يبدو خفي معانيه
وإن أشرقت شمس المجالي بسرها … فلاحت خفيات الخفا عن مجاليه
وغاب الضيا والنور والشمس نزهت … بكنز الخفا القدسي من غير تمويه
فظاهره يخفى عن الحد رفعة … وباطنه يبدو بسر تجليه
وكل صفات الحق جلت وقدست … وأسماؤه الحسنى تجلت له فيه
ونور الجميل الحق أشرق معلنا … بأحدية التنزيه عن كنز خافيه
وأنواره العليا بوحدة قدسه … تجلت بسر حال قربي أرويه
فيأيها الفاني الذي غاب فاشهدن … جمال صفات الحق لاح بتنزيه
فكل ضياء ثم ظاهر نوره … فبادر إليه مخلصا ثم لبيه
به وإليه منه فر لترتقي … فإن ذقت هذا الراح قم ثم واليه
ومنهج طه فاسلكنه متابعا … وإن شاهدت عيناك طه فناديه
ألا يا رسول الله يارحمة بدت … وعمت وكل الحسن قد توليه
توجهت ياطه إليك مسلما … وحالي ياخير الورى أنت تدريه
تفضل وناولني من الشرع سيدي … ومن حوضك السامي أفض لي صافيه
وفي بحر تحقيقي بحبك زج بي … فكم لك من فضل لنا توليه
ومن عين شرعك يا حبيبي تفضلا … ألا فاسق (ماضي) سيدي وارويه

عسى اهتدي للحق بالفضل سيدي ... فـ(ماضي) ظلوم جاهل في التيه
تفضل أيا طه وبالنور فأحيه ... فأنت له قصد بكم فاهديه
وبالحصن حصن الشرع مولاي فأحمه ... ومن كوثر التحقيق بالفضل فاسقيه
صراطك فاهدينا إليها برأفة ... وكل رجال الشرع بل ومحبيه
وأهلي وإخواني بفضلك والنا ... وكل مريد للهدى منك فأهديه
عليك صلاة الله يا نور ذاته ... وسرا به لاحت شموس تجليه

وعن * نور الحق * يقول:

إذا قلت يا الله لاح جمالكم ... وعاينت عند القرب تاج المودة
وطاب لي السكر الذي هو بغيتي ... وغبت عن الأكوان في حال نشوتي
وعاينت نور الحق والوجه مشرق ... وشاهدت نور الله من كل وجهة
وصح افتضاحي عند غيبي عن السوى ... وعاينت أن الحق عين الحقيقة
وغيبني عنه به لي وأشرفت ... شموس عن الغيب المصون بغيبتي
ولولا شهودي غيبة الحس ما بدا ... لعين برأسي سر سر سريرتي
شهدت بعين الرأس أسرار وصفه ... وبالعين عين السر سر الحقيقة
وصرت إذن حقا به من أتى لنا ... مدامة طه أعطه بالفضيلة
وفي القدس قد جزنا وطه إمامنا ... وناولنا من راح حان الشريعة
فصرت أبا العينين بالحق ساطعا ... وبالشرع أهدي للصراط القويمة
أحلّ أولى التحقيق راحا مقدسا ... وأسقي بالتشريع خمر الشريعة
وألبس أهل الوجد حلل شهوده ... ليغشى سريرتهم ضياء النبوة

ويقول رحمه الله في الذات الإلهية:

السر أعلن وانجلت ... سحب الخفاء لمن ثبت
وبدا اليقين بنوره ... وشموس ذاتي أشرقت

ومحا الشهود زماننا ... والأين لما أقمرت
الملك لي وحدي ولا ... شيء سوى ذاتي بدت
بل لؤلؤ من حسنها ... وجواهر لما انجلت
بل عينها المحقق ... شرب الرحيق بفُصلت
هبطت عليه رسومها ... وله بوصل أعلنت
ذاق الرحيق فهام في ... كنه الحقيقة ما التفت
ظهرت هُوية هُوته ... ورأي الجواهر نظمت
لا كون بل لا أين فافهم سرنا ... هو هو وعيني عاينت
ناولتني مني شراباً صافياً ... فعرفتني والروح عني ترجمت
أنا لا سواي منزه فيا بدا ... بالذوق تعرف كل روح أهلت
لما (ألست) أهل بدا لك غيرنا؟! ... أو كنت غيري يوم ذاتي حيهلت؟
بل أنت لون الذات كنه حقيقتي ... لكن عليه ستارة قد أسدلت
حقق تراني أنني أنا واحد ... حقا تراني كل عين عاينن
فالحق وجود الأين لا تركن إلى ... لون فذاتي نزهت
ترجم إذا لاح الفتوح لمن وفى ... لحماي أنبه بآي طلسمت
عين له عيني عسى يفنى بها ... عن حبه فهو المارد وقد صفت
ناول على راح المسيح سلافة ... في حضرة العلم المهيمن عتقت
كم هيمت كم أسكرت ... من شامها كم حيرت
هي قبضة النور المطلسم في ابتدا ... بدء البداية بل وشمس أشرقت
هي سره الساري ونور محاسني ... وطلاسم عن كل عين حجبت
ظهرت لمن ذات الرحيق وعاينت ... عيناه مجلى ذاتنا لما انجلت
هي نقطة الباء التي ما قسمت ... فيها تجلى كل غير وثبت
هي أول بل مظهر في آخر ... في روض أنس أزهرت

عنهـا ومنهـا كـل مـا هـو ظـاهر — وهـي الحقيقـة للوجـود وقـد حـوت
روح سرت في كـل مـا قـد لاح مـن — عـالٍ ودانٍ والكـواكـب أسـفرت
يـا كلـه يـا جـزءه يـا عينـه —)مـاضي) وحقـك نـاره قـد أججـت
لمح الحقيقـة مـن هويـة أصلكم — فدعتـه روح منـك فيـه تبرقعـت
فامنحـه يـا أصـل الأصـول بلمحـة — فهـو الـذليل لغـير ذاتـك مـا التفـت
حاشـا وفي كنـز الكنـوز غـدا لـه — سر بفـضلك أن يميـل وقـد ثبـت
يـا درة الكنـز اليتيمـة كـن لـه — ولمـن أتـاه بـدور وصـل بزغـت
وعليك مـن أصـل الأصـول صـلاته — وسـلامُهُ مـا شـمسُ أفـق طلعـت

وهو رضي الله عنه في كل مشاهده يفره الله بالقصد ويوحده بالذكر:

أفـردن بالقـصد مـولاك العـلي — تـشهدن غيبـا مـصونا أولي
في المظـاهر فأشـهدن آيـا تـرى — غيبيـة قـد لاح يجـلى للـولي
لا تقـف عنـد العلـوم وسرهـا — واطلـب المعلـوم منـه بـه أخـي
لا تقـف عنـد المحبـة إنهـا — حجبـة العـشاق عـن غيـب بهـي
واعبـد المعـروف جـل جلالـه — إن منحـت العلـم والكـشف الـسني
ـسر مـن كـون وأزمـان إلى — حـضرة الإطـلاق تـدعوك إلي
تلكمـو الآثـار ألـواح بهـا — حـضرة المعبـود جـل عـن الـسمي
وأقـر أن آيـا بهـا تفريـده — رتلنهـا مخلـصا يـا ألمعـي
وافـن عـن تلـك المظـاهر وارتـق — للـصفا القـدسي والغيـب العـلي
قـف عـلى تـرب العبـودة خاضـعاً — يطمـئن القلـب بالكـشف الجـلي
كشف مـضمون عـن الأفـراد عـن — كـل مـشتاق إلى الـراح الـروي
عمـرن قلبـي بمعنـى الإجـتلا — واجـذبني للـشهود الأحمـدي

ويقول الإمام أبو العزائم:

عـشقت ولكـن بعـد رأي عيـوني — فـصح غرامـي ثـم طـاب جنـوني

بـــدا لي في كنـــز الخفـــاء منزهـــا عـــن الكيـــف والتـــشبيه والتعيـــين
وخـــاطبني منـــي خطابـــاً مقدســـاً فلبيـــت ولهانـــا لرشـــف معـــين
عشقت وكـان العشق بـاب سعادتي بـــه حـــب قلبـــي نحـــوه يهـــديني
ونـــاولني حـــال البدايـــة خمـــرة رأيـــت بهـــا كـــل العـــوالم دوني
أنـا الـصورة العليـا ومـشكاة نـوره وعـــالون لي في لهفـــة وحنـــين
أنـا اللـوح مـسطور بمعنـى صفاته يـــراني محبـــوبي بعـــين يقـــين
أنـا صـورة الـرحمن والنـور مـشرق تمتـــع أخـــي مـــن مظهـــر التعيـــين
جمـال بـه الأمـلاك هامـت وحيرت وحـــسن بـــه في دهـــشة التلـــوين
ظهـــور بـــلا كيـــف يـــرى لبـــصائر ونـــور بـــلا كـــم بـــأفق مبـــين
وسر خفـــي عـــن عاقـــل متأمـــل وغيـــب ســـما عـــن رتبـــة التكـــوين

مقام الاتحاد

وإذا كان مقام "الإتحاد" من أعلى مقامات الصوفية فإن الإمام أبو العزائم تحدث في كثير من مواجيده عن هذا المقام وهاك أمثلة فقط مما قاله:

ترنمت في صـفوي مـشيراً لأطـواري وفي حال صفوي يحلو خلع عـذاري
ترنمـت والوجـه الجميـل مـواجهي وقـد عـدت للبـدء المشير لأطـواري
تجلـــت لمـــرآتي حقيقتـــي التـــي بهـا كنـت أزلاً في مـشاهد أسراري
لـدي كنـت مـن لا شيء بـدء تطـوري ومـن طينـة الصلـصال والفخـاري
إلى ســـور تجريـــدي ورســـم تحيـــزي وشمس إليهـا قـد حجبـت أسـواري
تـــراءى لي الغيـــب المـــصون بـــسدرتي فغـشيت معالمهـا بـساطع أنـواري
فكـان ظهـوري هيكـل الـرب جملـت معالمـــه بحقيقـــة التـــذكاري
وكـان بطـوني نفخـة القـدس أشرقـت ضـــياءاً عليـــاً منبئـــاً بفخـــاري
بـــدالي بعـــودي سر بـــدئي ونـــشأتي فكنـت لـه مـثلاً لـذي صبوة سـاري

ضياءاً بآفاق الوجود مشاهداً ... لأرواح أهل الصدق والأبرار

إلى العود في كون الفناء تنزلي ... إلى البدء في كون البقاء أسفاري

فلا العود في كون الفناء يشوب ما ... به أنا نور صورة الغفار

ولي في شهود الحضرتين تجرد ... به أنا نور صورة الغفار

ولي في اتحاد النشأتين مشارب ... لديها وقوف الروح عن مقداري

لدى سدرتي وقفت نفوس تطهرت ... لديها وقوف الروح عن مقداري

وكيف وقد غشيت بنور جلاله ... تلوح لغير الصفوة الأخيار

فظاهرها زيت أضاء لمن صفا ... وباطنها غيب عن النظار

ترنمت في حال اتحادي ونشوتي ... بشمس الهدى وحقيقة المختار

وقد أشرقت للروح في العود ... بسر اجتلاها حيطتي ودثاري

ترا أيتها في حال تغريد رتبتي ... فصح بها جمعي بلا قيد أسواري

على الكوكب الدري في العود صح لي ... شهود انمحى سوري وإشراق

فكنت بلا كون لعودي لمبدئي ... وعودي حجب السور والآثار

فلا الآي تبدو لي لأنه مواجه ... وصعقي دك الطين والأحجار

إلى الأصل من لا شيء عدت ونشوتي ... به كان عودي لا بكدح وإيثار

من الأزل المعلوم للأبد الذي ... تعين لم تحجب شموسي وأقماري

ولا طينتي في رتبة الكون بل ولا ... منال تحقيقي ولا رسم أدواري

فلي أعين أرأى بها في تطوري ... وبالعين عين الحق أشهد أسراري

فطوراً تلوح الآي والكون حيطتي ... وطوراً به أحظى بخلع عذاري

أغيب به عني وعن كل كائن ... وعنه إشارتي به وفخاري

أشير إليه بل وعنه به له ... وسري غيب عن عقول وأبصار

ولولا رعايات الشئون لأسفرت ... حقيقة بدئي للمشوق الساري

ولكن إشارتي لأهل الوفا صفا ... بها النفس تزكو عن هوى الآثار

حنـان وعطـف للنفـوس ورحمـة ... وأسرار مـيراث وأنـوار مختـار
وحـالي مـن فـوق الإشـارات كلهـا ... عـلى عـن الإدراك بالأفكـار
وفي "للبـسنا" خمـر قـدس مطهـر ... لمـن منحـوا التقريـب بالإيثـار
صـلاة عـلى نـور العـوالم كلهـا ... وقـدوة أمـلاك ورسـل وأخيـار

ويقول رضي الله عنه في * الوجود الاتحادي *:

في الوجـود الإتحـادي لا أبـين ... إنني فيـه عـلى الكـشف ضـنين
في الوجـود الإتحـادي ورتبتـي ... فـوق عليـين بـالحق اليقـين
في الوجـود الإتحـادي تختفـي ... أنجمي في الشمس في النزل الأمين
في الوجـود الإتحـادي فأصـغين ... لي بروحـك فانيـا في الأولـين
لي بـه حـال عـلي دونهـا ... حال أهل الصفو من أهل اليمين
تنمحـي فيـه أنـا حـال الفنـا ... ينتمـي فرعـي بأصـل مستبين
أصـغين بـالروح لي إن أشرقـت ... شمس أصلي وانجلي الكنز الثمين
لي ظهـور في الـشهود ومظهـر ... في الوجـود ليظهـر الحـق المبين
لي وجـود في الخلافـة ثابـت ... كـي يلـوح الوجه في حـال الحنين
لي نعـم هـو عنـدها فأنـا لـه ... ذق رقيـي وأنـا المـاء المهـين
فـاتح خـتم وفتحـي وحـدة ... ختمـي الكثـرة في الـداء الـدفين
سـتر الفـيء الـضيا لمـا انجلـت ... شـمس ذات بالبهـا غيـب المعين
كنـت في بـدني لـه متحقـق ... باتحـادي والتطـور قـد يبـين
قـد ظهـرت بـه وفيـه لي وقـد ... لاح لي فِيَّ بـأنوار اليقـين
حـال بـدني فيـه لحـت مـشاهداً ... حـال ختمـي لاح في بحكـم ديـن
مـن أنـا بـدءا ضـيا أسـمائه ... مـن أنـا ختمها أنـا العبـد المدين
في شـهودي كنـت محجوبـا إلى ... صـحة الإظهـار مـن رب معـين

كيــــف هـــــذا واتحـــــادي أولا　　عـين كـشفي والظهـور بـه الحنين؟!
أشرقــت شــمس الحبيــب فبينــت　　لي سـبيل القــرب بـالحق اليقــين
جملتنـــــي ظـــــاهرا بجمالهـــــا　　جملتنـــي باطنـــا بـــضيا اليمـــين
صرت فـــرع القبـــضة الأولى التـــي　　وهـــي معنـــى نفخـــة الـــرب المعين

* ومن شميم شذا عبير الاتحاد* يقول:

لروحـــي شـــميم عبـــيره ريـــاه　　وللعقــل آي الكـــشف مـــن معنـــاه
وللـــنفس أسرار الكيـــان جمالـــه　　تلـــوح لـــه للحـــس في مبنـــاه
وللنفخـــة القدســـية الغيـــب في صـــفا　　ظهـــور غيـــوب الغيـــب مـــن مجـــلاه
ومـــن بعـــد هـــذا الإتحـــاد غـــوامض　　وفيـــه أنـــا لا شيء والظـــاهر الله
تلـــوح معـــاني وصـــفه في تنـــزل　　بنـــور كـــمال لا تـــرى أشـــباه
محـــا الغـــير أثبـــت صـــورة رمزيـــة　　تـــشير بـــإيماء إلى أعـــلاه
فيـــسجد أمـــلاك الـــسماء جمالهـــا　　لمـــا فيـــه مـــن أسراره معنـــاه
أنـــا رمـــز هـــذا الكنـــز مـــشكاة نـــوره　　ولي الغيـــب في حـــال الـــصفا أجـــلاه
ثبـــت بنـــور عبـــودة ليلـــوح في　　زجاجـــة تـــشبيه يعـــم ســـناه
أدر لي ظهـــور العـــين أشـــهد لطيفتـــي　　بـــدائع إبـــداع تلـــيح ضـــياه
وقربنـــي قـــرب القرابـــة أعطنـــي　　ضـــيا نـــسبتي عبـــدا يـــرى مـــولاه
وجملنـــي بـــالقرب والحـــب وســـعن　　عطايـــا جمـــال الفـــضل صـــفو رضـــاه
لأفـــرح في الـــدنيا بفـــضل ورحمـــة　　وأفـــرح في الأخـــرى بخـــير لقـــاه
أقمنـــي فـــيما قـــد تحـــب وترتـــضي　　لأشـــهد غيبـــا مـــن غـــوامض مجـــلاه
وأمـــنح في الـــدنيا العواطـــف والهـــدى　　وأمـــنح في الأخـــرى الرضـــا جـــدواه
وصـــل علـــى المحبـــوب أكمـــل مرســـل　　محمـــــد المختـــــار نـــــور هـــــداه

إن مقام الإتحاد مقام روحي تسطع فيه الحقيقة على مستوى العقل القلبي بروح تسامي حتى شهد صاحبه ما لا نشهد وتحقق بما لم نتحقق به ونحن غارقون في مستوى أجسادنا الطينية لم نتحقق بما تمده بنا نفخة الروح الربانية من حقائق أصلها نور الروح في هياكلنا المادية وهي الحقائق التي لا يمكن إخضاعها للتجربة الحسية أو المعملية ومن ثم لا يمكن للماديين الملحدين الإحاطة بها لكون معارج الروح في الإنسان ومشاهدها فوق إدراك العقل المحدود القوة والمرتبط بالحواس والمخ والجهاز العصبي المركزي في إطار ما هو مادي ومحسوس في عالمنا الطبيعي فهم منكرون كل ما غاب عن عالم المحسوس من مشاهد القلب والروح في العالم الغيبي غير المعلوم وغير المدرك من الإنسان إلا من أظهرهم ربهم عليه وهم المؤمنون بالغيب كما حدثنا القرآن الكريم في أول سورة البقرة. ولا يعني أبداً مقام الاتحاد اتحاد ذاتين في ذات واحدة، ذات الإنسان وذات الله فذلك محال على الله ومستحيل على الإنسان، وإذا تصور ذلك أحد فإنه يكون إما جاهل بالشريعة أو جاهل بالحقيقة أو جاهل بالتوحيد الحق في التنزيه والكمال اللائقين بالله تعالى.

كما أن الوصول إلى قمم المعرفة بالله لا يكون بالاستحقاق وإنما بالفضل والمنة من الله تعالى ولذلك يقول أبو العزائم:

ليس الرقي إلى العليا بأعمال	ولا الوصول بأسرار وأحوال
ولا بعلم به تغوى ولا أمل	ولا جهاد بأبدان وأموالٍ
لكنه منة من فضل واهبه	به تعد جميلاً بين أبدال
خلق عظيم وإيقان ومعرفة	بالله ذي الفضل والإحسان والولي والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت وفي	خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه	سعادة أبداً فضل بغير زوال
يا واسع الفضل جملنا بفضلك يا	ذا العطايا بإحسان وإقبال
وبالجمال فعاملنا وكن معنا	بنور وجهك في دنياي ومآلي

ومن ثم فإننا نحن بني الإنسان والعلماء منا كلنا نصنع عالماً مادياً من تخيلنا نظن أننا صنعناه بينما الحقيقة الوجودية المطلقة إنما صنعها الإله الخالق لكل شيء لتتصورها نحن على النحو الذي تظهره عقولنا من مخنا وجهازنا العصبي، ومن ثم فإننا بواسطة أمخاخنا وأجهزتنا العصبية وعقولنا المحدودة لا يمكننا أن نصل إلى حقيقة الألوهية في ذاتها ولكننا سنرى بعقولنا المؤمنة وأرواحنا مظاهرها المخلوقة من تجليات الأسماء والصفات الحسنى الإلهية وطاقاتها حتى يتبين لنا أنه الحق في الآفاق وفي أنفسنا من حقيقة ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت: ٥٣].

فإذا تخلينا عما تصوره لنا أمخاخنا وأجهزتنا العصبية وتحلينا بالإيمان بما صنعه الله في الآفاق الطبيعية والأنفس الإنسانية فإننا سنرى عندئذ ما يتعدى حدود العقل المرتبط بالحواس إلى مستويات أعلى هي الإدراك الزائد على الحواس (E.S.P) حتى يتبين لنا الحق في صنع الله بواسطة هذه القلوب العاقلة وهذه الأرواح العالية المنفوخ منهما من الله في الإنسان، بعد أن سواه سبحانه وعدله وفي أي صورة ما شاء ركبه. فعجز الإنسان عن إدراك حقيقة أو ماهية أو كنه الذات الإلهية هو في الحقيقة قمة ما يمكن للإنسان أن يدركه لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في كل شيء ومن هنا يكون ويلزم الإيمان الحق بالحق الواحد الأحد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[البقرة: ٨-١٠] وهم المنافقون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وهم لا يشعرون، أو هم مع الأخسرين أعمالاً ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف/ ١٠٤].

وحتى لا تضل عقول فتتوهم ما ليس بحق، أو تحذف أفكار فتتخيل ما ليس بحقيقة فيما يتعلق بمقام (الإتحاد) أذكر بعضا مما يقوله الإمام أبو العزائم عن هذا

المقام[1]:-

"هو كمال التوحيد وهو غيب عن الأرواح وسر لا يباح وهو أن تتحد حقيقة العلم الإلهي يعلم العبد وليس بعده مقام إلا الفضل الأكبر. ومراتب الاتحاد ثلاثة: سلوك ووصل وتمكين، فمرتبة السالك الأمر والإرادة، ومرتبة الواصل انمحاء وجوده وإرادته بالوجود الحق، ومرتبة المتمكن أن يكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به. والمشاهد من بلغه عين اليقين والمتحد من بلغه حق اليقين." انتهى.

إن حقيقة العلم الإلهي تشتمل المعلومات والأسرار المختزنة في كل ما خلق الله سبحانه وتعالى من الأشياء من العدم أو اللاشيء وفق علمه الذي لا يماثله علم غيره. والأمر كما سبق وذكرنا عن مقام (الاتحاد) ليس اتحاد ذات الإنسان العبد بذات الله المعبود، ولا علم الإنسان بعلم الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء في كل شيء وهو دائماً منذ الأزل وإلى الأبد واحد أحد لا شريك له، ليس كمثله شيء في كل شيء، أعلى وأعلم وفوق كل ذي علم عليم.

قصد وغاية

إن هذا الكون العظيم ومجموعاته النجمية والمجموعة الشمسية فيه وكوكبنا الأرضي الذي وضعه الله للأنام إنما هو تمهيد لغاية وقصد إلهيين يتمثلان في ظهور الإنسان وظهور الأنبياء والمرسلين من بني الإنسان لهداية البشر، وآخرهم وخاتمهم محمد رسول الله وما أوحى إليه من رب العالمين من القرآن الكريم القديم: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣] وهو كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه.

يقول الأستاذ الدكتور عمرو شريف[2]: "لقد أثبتت الإكتشافات الكونية الحديثة

---

(1) في كتابه "اصطلاحات الصوفية: - الناشر دار الكتاب الصوفي التابعة لمشيخة الطريقة العزمية.
(2) في كتابه "كيف بدأ الخلق".

أن كوكبنا يكاد يكون متفرداً في موضعه وفي صفاته وليس مجرد هباءة لا اعتبار لها شأن البلايين والبلايين من الأراضين وهو ما أوضحه بالتفصيل كتاب (الكوكب المتميز – THE PRIVILE DGED PLANET)[1]... إن كوكبنا يتفرد بالظروف الملائمة لنشأة الحياة فنحن نحيا في المجرة الأمثل وفي المنطقة الأمثل من المجرة ونحن نحيا في كنف النجم الأمثل ولنا جيرة طيبة تتلقى عنا الضربات التي تهاجم المجموعة الشمسية وتحمي الأرض من المذنبات (COMETS) كما أن لنا تابعاً مخلصاً هو القمر يؤدي لنا وظائف عديدة، كما أننا الكوكب الأمثل للحياة إذ أن الأرض ليست مجرد قطعة من الصخر تدور حول الشمس بل أن قلبها وسطحها وحجمها وموقعها يحتلون مجموعة من المنظومات (SYSTEMS) التي تعمل معاً في تناغم.. أن الأرض هي الكوكب الوحيد في مجموعتنا الشمسية الذي يحتوي على الماء بحالاته الثلاث، الغازية والسائلة والصلبة.." هذا وقد أكد العلماء الفيزيائيون المؤمنون أن ما في بنية الكون من توافق مذهل مع احتياجات الإنسان دليل على "الغائية" (TELEOLOGY) التي تعني أن الإله الخالق قد صمم الكون على هذه الهيئة ليكون مناسباً لنشأة الحياة بصفة عامة ونشأة الإنسان وحياته بصفة خاصة[2]." انتهى.

وفي مقام الإتحاد يغيب الإنسان عن وعيه الظاهر المحدود بالحواس في الكيان وأسوار المكان والزمان، ويرتقي ليتجاوز الإبعاد الأربعة المعروفة لنا في الوعي بالدنيا وواقعها، ويغيب عنا هذا الوعي في فناء يتصل بمستوى أعلى هو الوعي الروحي الذي يرى حينئذ ما لا نرى ويستشعر ما لا نستشعر ويعلم ما لا نعلم عن عوالم الغيب والإطلاق وحقائقهم الموجودة في وجود غير الوجود المادي وسماوات غير السماوات المشهودة في الطبيعة وأرض غير الأرض الجسمية نراهم بإدراكنا الذي ندركه بحواسنا

---

(1) تأليف أستاذ علوم الكون جيليرسو جونزاليس بجامعة (LOWA) بالولايات المتحدة الأمريكية وأستاذ الفلسفة جاي ويسلي ريتشارد نائب رئيس مؤسسة (DISCOVERY) المهتمة بمفهوم "التصميم الذكي" للكون.

(2) المرجع السابق.

في الطبيعة المنظورة وفق طبيعتنا ذاتها، إن المخ وحده بخصائصه الفسيولوجية ووساطته في التعلم واكتساب المعرفة، يعجز عن أن يتصل بهذا المستوى العالي من الإدراك الزائد على الحواس الذي يعتمد على القلب المليء بالإيمان والتقوى وعلى طاقة العقل المؤمن الهائلة النابع من الروح.

أن الفيزياء الحديثة بما فيها نظريات أينشتاين ونظرية الكم أصبحت مبنية الآن على الحقيقة التي خلقها فكر الإنسان، وليس على الحقيقة المطلقة كما هي عليه في طبيعتها الخلقية، ووصف الطبيعة الكامل للعالم الذري إنما يكون على أساس احتمالات ليست مبنية على مرئيات حقيقية في عالم الزمان والمكان ولكن على التجربة الحسية للأشياء الميكروسكوبية[1].

إن التطور العلمي يؤدي إلى المزيد من الكشف عن معجزات الله في الوجود وأسراره التي لا تنفذ، فكلما اكتشف العلماء الجديد من هذه المعجزات والأسرار إذا بها أكبر مما سبقها سر قول القرآن الكريم ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[الزخرف: ٤٨].

وإليك أيها القارئ أمثلة فقط من أقوال الإمام أبو العزائم في مواجيده في مسائل مختلفة لترتوي ونرتوي من أذواقه ومشاهداته نبدأها بمقام الإتحاد.

خلوة الأربعاء ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤

بيان فعلم فالشهود مدامي	فوصل لديه الاتحاد مقامي
ففي العلم أشواق في الكشف حيرة	وفي الاتحاد الحق نار هيامي
وبعد اتحادي فيه تفصيل مجملي	الآحت غيوبي في إنمحاء ظلام
تنزلت الأنوار في ليل رتبتي	وليل رسم صح لي إحرامي
ويستر ليلي والنهار بساطع	من الغيب بدئي فيه من إسلامي

[1]) راجع في تفصيل ذلك كتاب "الإنسان والوجود" للدكتور حسن عباس زكي وزير الاقتصاد السابق وعضو مجلس البحوث الإسلامية نشرته دار النهار للطبع والنشر والتوزيع.

ولم يـك ليـل لإنهـاء ظهـوره ... ومـن أنـا في هـذا المقـام السـامي
جمـال جميـل لاح للعلـم والهـدى ... وكـثر غيـوب مـن ضيـا العـلام
ظهـرت وكـل العـالمين مظـاهر ... لتبـصر مـا قـد لاح مـن إنعـام
ورسـمي لـدى الزلفـى لـربي مظهـر ... بـدالي يلـبيح حقيقـة الإعظـام
محـاط بكـل العـالمين ورتبتـي ... أحاطـت بغيـب الغيـب حـال مقـام
أنـا الهيكـل الـداني يحـيط بي الثـرى ... وقـد ضـاق عـرش الـرب عـن إفهـام
فكـل العـوالم لي أشـارت بـأنني ... خلقـت لـه حقـا بـلا أوهـام
ولي خلقـت بـل سـخرت ذق إشـارتي ... يُـدار ظهـور الـراح فحـوى كلامـي
تـضيق نعـم كـل العـوالم عـن ضيـا ... لقـد وسـعته الـنفس باستـسلامي
تنـزل في لـيلي فرتلتـه عـلى ... عـوالم أعـلا فـوق رسـم رغـام
على الأرض رسـمي والحقيقـة رتبتـي ... بـأعلا لـدى الأعـلى ظهـور رغـامي

إن الكون مظهر لظهور الإله بسر الظهور وغيب البطون وها هو الإمام أبو العزائم يقول:

آيـا ظـاهراً والكـون مظهـر تـذكيري ... تـراءت بـه للـسر أنـوار تقـدير
ظهـرت فكـان الكـون لوحـاً مـسطراً ... بأجمـل آيـات وأكمـل تـدبير
ظهـرت بتنزيـه قربـت مقدسـاً ... تعاليت عن إدراك روحـي وتفكيري
معـي أنـت يـا سُبُّوح والوجـه نـوره ... يحيط بـوجهي لا بكيـف وتـصوير
أراك بعـين نورهـا منـك لا تـري ... سـوى نـور معنـى رقـك المنشور
وأسـمع تـسبيح العـوالم صـاغياً ... بـسمع صـفا بمهـيمن وقـدير
وأفنـي فتنـبلج المعـاني جليـة ... بهيكـل نفـسي في صـفاء ضـميري
أكون وقد حجب الضيا عن بصيرتي ... ظـلالي زيتـاً مـشرقاً بـالنور
بـلا كـون والأفيـاء بـالنور تختفـي ... فـلا كـون لي في بحـره المـسجور
تلـوح المعـاني مـشرقات فتختفـي ... لـديها المبـاني حيطتـي وسـتوري

وتشرق أنار التجلي بلا خفا — بشمس جمال المنعم الديهور
فلا مشهدي تومي إليه إشارتي — ورمزي فكيف يباح بالتعبير
على عن الأفهام والعقل دونه — ينال بفضل الله بالتقدير
ومن قبل كن في حضرة العلم منحه — بفضل كريم منعم وشكور
صلاة على الشمس التي عم نورها — حبيبي وغوثي نجدتي وسروري

كما يقول:

أحنين أشباح إلى الجنات — أم ذا حنين الروح للجلوات
أم ذاك خمر من جمال تنزل — طابت به الأرواح بالنفحات
أم ذاك نور الحق في القلب انجلى — فتجملت أوصافه بهبات
أم ذاك جمع الجمع في حال الصفا — سر الوصول لمظهر الآيات
أم ذاك نور الفرد لاح مبشراً — هامت به الأفراد في الحانات
أم ذاك سر الله في أفق العلا — ينبي بكشف حجاب مجلي الذات
أم ذاك كنز الغيب فك فأشرقت — أنواره في صورة المشكاة
حاشا وكلا ذاك نور نزاهة — عن حفرة المجلى بسر الذات
أنا لا أغنى إن سكرت وإنما — يفنى المراد بلحظة النظرات
ما الخمر ما الأمرا وعند شهودنا — ما العرش ما الكرسي ما الجنات
عن حفرة المجلى جمالي ظاهر — عال عن الآيات والهيئات
أنا لو أغنى في الخفا لتكلمت — أحجار هذا البيت عن كلمات
كما أوبت قبلي لمن هو عارف — تلك الجبال بسرها الحيطات
لكن أشير بفرق فرق محرق — يدري مباديه أولى الهمات
غيب عن الأرواح في كنز علا — ومطلسم بالاسم بل والذات

ويقول الإمام في الإحاطة الكبرى لرب العالمين:

غريب وجودي في محيط مكاني ... وأغرب منه أن يحيط زماني
يسلط رسمي على ما هو وجهتي ... عَليٌّ وأصلي فوق ذا السلطان
عجيب شهود الوجه والكون ظله ... يظلل رسمي في مقام عياني
وأعجب من هذا اتحادي وقربتي ... لمن أنا منه في ابتداء كياني
وجودي في السفل امتحان لرتبتي ... لأنفذ منه من صوى الأركان
نفذت بسلطان التأله راقيا ... إلى حيث كان البدء من نور كينان
لديها وجودي ظللته بنورها ... نعم حضرة المجلى وروحي وريحاني
تحيط بي الذات المقدسة التي ... تحيط بأسماء وآيات قرآن
قرآن مجيد قد غُشت صورتي به ... تحقق إيجادي بأن أرى رحماني
وجدت الوجود الحق والحق بغيتي ... ومجلاه قصدي بعد نيلي رضواني

وفي سطوع أنوار التجلي يقول الإمام أبو العزائم:

عن التنزل عن معنى تجليه ... لاح الخفا بمعان من معاليه
فشاهدت عين قلبي نور طلعته ... في أفق أعلى بتقديس وتنزيه
إلى اللطيفة وافي نور طلعته ... بكشف عين يقين حال تشبيه
عاينته بعد صفوي ظاهرا علنا ... عجبا وكنت زمانا لست أدريه
ظهر الخفا منبئا قلبي بنسبته ... بأنني أفق أعلى به فيه
وحيطة ومحاط صورة وضحت ... سطورها كشفت معنى مجاليه
أنا محيط بآيات مبينة ... للغيب منبئة تبدي تدليه
وهو المحيط تعالى بي وقد ظهرت ... أسماؤه بمعان عن أياديه
في حيطتي الآي والأسماء أجمعها ... طويت مظاهرها من غير تمويه
والله جل محيط بي ولست أرى ... إلا الجمال الذي ينبي بخافيه
سر التنزل بعد الكشف أنباني ... بأنني صورة تجلى به فيه

وأنــــه هــــو أحـــد في مكانتـــه ... وما يـرى نـوره، بالفضل يوليـه
عاينـت بـالعين عـين مـن حنانتـه ... معنـى الـصفات محاني عـن مبانيـه
أعـادني لمقـام البـدء فاتـضحت ... أسرار غيـب بفـضل عنـه أمليـه
لاحـت مجملـة للقلـب حكمتـه ... في الكون فانبلجت معنى خوافيه
فـشاهد القلـب في الآثـار نـور سنا ... عـم المكـون معنـى عنـه أرويـه
تلـك المظـاهر ألـسنة تكلمنـا ... بـما بهـا مـن جمـال عـن تجليـه
يـصغى إليهـا محـب ذات خمرتهـا ... فـمال عـن كـل حـظ كـان يدريـه
وفـر منـه إلى مـولاه في ولـه ... يرجـو ينـاول مـن إحـسان موليـه
خمرا عتيقـا بـه الأرواح قـد سكرت ... ومـن (ألـست(بوجـد قـد تناجيـه
خمـر اليقـين مـدام مـن تناولـه ... يرقـى إلى مقعـد الزلفـى بعاليـه
يمتعن بالرضـا والفـضل مـن أحـد ... مـع النبيـين قـد صـحت مراقيـه
مـن كـوثر الفـرد تحقيـق مدامتـه ... للـروح روح وريحـان بتوجيـه
بهـا منازلـة في القـدس معليـة ... بهـا مواجهـة في أفـق تنزيـه
راح بـأفق الـتجلي قـد يـدار فـلا ... كـأس يـدار بـه أو ثـم يحويـه
الـروح راووقـه والجـسم مظهـره ... والقلـب عـرش لـه خفيت مباديـه
خـذ بالإشـارة فالألفـاظ تحجبـه ... عن كـل من لم يـذق أسرار صـافيه
ومن دعوا من (ألست) يشهدوا كلمي ... بنـور أسرارهـم لا عقـل تنويـه
تجـلى العبـارة نـورا في سريـرتهم ... فيـشهد الفـرد نـورا مـن تلقيـه
والمبعـدون يـرون القـول يحجـبهم ... عـن الـضيا، والبعيـد الحظ يرميه
ومن لهم سبقت حسنى الحنان رأوا ... نـور المكـون في أجـلى معانيـه
فاسـلموا أمـرهم لله فانبلجـت ... لهـم شـموس المعـاني عـن تجليـه
شربـوا مـن الحـوض خمر الإتبـاع عـلى ... سـنن الـشريعة مـن مبـدأ مباديـه
دخلـوا المدينـة والأشـواق تجـذبهم ... حـصن المعيـة فاتـضحت مراقيـه

شهدوا السراج منيرا فاهتدوا بهدى طـه ففزنـا بـه وبـدت أياديـه
الحمـد لله نـشكره ونـذكره لـه الثناء على الإحسان يعطيـه
وصـل ربي عـلى طـه وعترتـه بهـا نحلى بحسنى مـن معانيـه

وعن * زجاجة التشبيه : في الآية ٣٥ من سورة النور:-

رقـت زجاجـة هـيكلي إشراقـا فأضـاء لي نـور محـا الآفاقـا
وأضـاء زيـت حقيقتـي في سـدرتي فـشربت مـن راح الفنـاء دهاقـا
زيتـونتي قـد بوركـت بمعـالمي وضـياؤها أبـدا ولـيس محاقـا
وبهـا الظهـور ولا حـدود إحاطـة وعيـون سري سـتَّرت أحـداقا
وبهـا فـلا شرق ولا غـرب يُـرى خفيـت رسـومي والمُقَـرَّبُ ذاقـا
رقّت زجاجة ظاهري وبها انجلت آي الـصفا وطهـور شربي راقـا
ظهـر المحـيط بمجـده وكمالـه فرأيـت ربـا مـنعما خلاقـا
فتلـوت في حـال البقـا آياتـه فعلمـت سر إحـاطتي إشـفاقا
وضح الخفـا لي باتحـادي واختفـى بوضـوحه كـوني فكنـت وفاقـا
انـا سـدرة غـشيت بنـور تنـزل وبهـا ضـيا زيتـي ولا إحراقـا
وبـلا مـساس النـار لاح ضـياؤها ومـن اصـطفي في الحـضرتين أفاقـا
وبهـا نعـم (نـور عـلى نـور) صـفا متألـه ويـرى الـسُلُوَّ شـقاقا
نظـرت عيون حقيقتـي في الإجتلا مننـا تنـوء بهـا النهـي إغراقـا
ظهـرت معـاليمي ولاح بهـا الـضيا شـهد الملائـك عنـدها الإشراقـا
أنـا صورة تنبي النفوس بغيـب مـا يجديـه ربي بالـصفا إغـداقا
غُـشيتْ بـأسرار الجميـل وجُمِلّـت تُعطـي لهـا الأرواح ثـم صـداقا
خفيـت معـان أشرقـت في هـيكلي عـن كـل مـضنون غـدا خَفّاقـا
وضـحت لكـل مقـرب ولعاشـق بـذل النفـوس وللـصفا عـشاقا
عـشق الحبيـب متابعـا بعزيمـة فحبـاه منـه نعمـة ورقاقـا

وصــلاة ربي للحبيــب محمــد نعطــي بهــا نعــماه والأشــواقا

وعن * الكنز المطلسم : *

كــان خمــري في الكــون والهيئـات حــال عــشقي في ظــاهر الآيـات
حــان صــفو بــه سروري وطــربي عنــد رؤيــا الجــمال في الحيطـات
أتغنــي طربــا بــه بــشجوني وأراني في رفعــة الــدرجات
وكــؤوس المُـدام صــور المبــاني فاشربنهــا بــالفكر في الكائنــات
بابتهــاج وصــبوة وحبــور غــافلا عــن مظــاهر البينــات
نــاظرا لي بعــين حــسن وصــفو فكــأني تــدور بي هــالاتي
ثــم مزجــت راحــي بخمــر التجلي فمحـا نــسبتي مــن الإثبــات
ورأيــت المبنــى ســتائر حجــب ففــررت منهــا إلى الآيــات
صــار حــاني معنــى بهــا لي مبـين ومــدامي حقائقــا ظــاهرات
طاب سكري وصح أنسي وطربي وتــراءت معــالم المــشكاة
كــل هــذا في الأفــق يبــدو لقلبــي وجمــال الأســماء خــاف بــذاتي
طلــسموني عنــي وبي جننــوني شــغلوني بآيــة في الجهــات
ثــم فكــوا عنــي رمــوزي وفتحــوا كنــز ذاتي بآيــة البينــات
فــإذا بي عــين بهــا خمــر قــدس يــشربنه مقــرب للــذات
مــن معــاني الــصفات راح طهــور يعطي فضلا من واهب الخيرات
أنــا كنــز مطلــسم فيــه سر يجـلى جهـرا في حظـوة الجلـوات
أنــا مــرآة حــسنه وحــلاه وأنــا صــورة لنــور الــصفات
غنيــا لي لحــن الحقــائق حتــى أتهنــى بالكــشف والــنغمات
رتــلا لي معنــى الــصفات برمــز واصــغيا لي في آيــة النفحــات
تلــك راح عــن الــتجلي أديــرت أســكرتني وصــححت حــالاتي
صرت راء فيهــا جمــالا لــذاتي قــد طــووا فيــه آيــة الجنــات

خمر قدس نولته بعد جمعي فمحاني عن قوتي وحياتي
ثم ظهرت شمس أضاءت جهاتي بالمجالي في وجهتي وبذاتي
صار ما أشهدنه نورا مبينا عن جميل منزه عن جهات
وشئون الأسماء لاحت جهارا بمعاني توحيده ناطقات
وبه قد شهدتني والمباني وحباني منه بفضل الهبات
أيها الروح من عناصر ذاتي فتحلي لتشهدي بيناتي

مع الإمام أبي العزائم

لقد كان الإمام أبو العزائم سابحا في مكاشفاته بفضل الله في مواجيده، وهائما في مشاهداته الروحية في معارفه وغارقا فيهما في فتوحاتهما وكان يقول إن (الوسعة تقتضي التفاوت) بمعنى أو وسعة الإمام الجامع تقتضي تفاوت المريدين والسالكين والواصلين في مشاربهم الدينية فكلهم يغترفون ويسترشدون من الإمام. وقد ضرب الإمام أبو العزائم مثلاً لذلك في قصيدة له يقول فيها:-

أمن القلوب إلى القلوب شرابي ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابي؟!
ومن اللطيفة للطيفة نظرتي تعطي لمطلوب من الوهاب؟!
ومن الخفا والسر للألباب قد تعطي علوم الغيب للأحباب؟!
والسالكون بجدهم وجهادهم يعطي لهم بالقول والآداب؟!
شتان بين الواصلين بفضله والسالكين بجدهم لرحاب
فالواصلون شرابهم بقلوبهم راح صفا من خمرة الأبواب
والسالكون شرابهم بجهادهم حجبوا برؤيا الكون والأكواب
وشراب أهل الوصل راح قدست من باطن القرآن سر كتاب
ودوا من الأرواح ودا ظاهراً فتجملوا بالروح والأنساب
في كل نفس يشربون مدامهم والوجه أشرق لا بقيد نقاب
شغلوا بمرأى الوجه عن آمالهم فتقربوا فضلا لعز جنابي

جذبوا إليه فشاهدوا أنواره نورا سما عن مشهد المرتاب
غابوا به عنهم وعن آياته ورقوا عن الأنجاب والأقطاب
تركوا المراتب خلفهم لفنائهم بالوجه عن عمل وعن أحساب
سكن الجميل قلوبهم فتهيموا فهمو الشموس لوصلة الأصحاب
في كل نفس مشهد يجلى لهم عن عين حق يجلى للألباب

وكذلك في منازل السير:

السير بالجسم ليس السير للروح فأفهم إشارتنا تجلى بتلميح
والسير للجسم تجريد مجاهدة بمقتضى طبعه في نص تصريح
منازل يرحلن منها لينتقل لحسن أوصافه في أفق ترجيح
حتى يجمل بالخلق الجميل على معنى البيان بتعبير وتلويح
ومنه يرحل بالأفق المبين إلى قاب التداني فيتهنى بممنوح
بالفرد من بمقام الإجتلاء لقد ظهر الجمال به في مشهد الروح
والروح بعد جهاد الجسم يؤنسها وجه العلي بلا كيف وتصريح

ولذلك نسبح معه في مكاشفاته ونتعمق في مشاهداته لنقتبس من أسرارها حقائقها ومن مكاشفاته أنوارها، نتفهم على قدرنا المتواضع ما أباحه هو من معاني كلامه نسترشد منه الحقيقة التي كان يرشد إليها حتى نفهمها وترتوي أرواحنا من معانيها وقلوبنا من مشاهدها وعقولنا من أسرارها ومعارفنا من مكاشفاتها، لنكون في معية الله وشهود معاني أسمائه الحسنى في ملكه وملكوته وتجلياتها من خلال سباحتنا الروحية مع الإمام أبي العزائم.

لقد كشف الله – تبارك وتعالى – عن أحدية هوية ذاته، وشهد معه الملائكة وأولو العلم من الناس. إن كل مخلوق مصيره الموت، والله يحيي ويميت لأنه خالق الموت والحياة وهو وحده الباقي الدائم، وهو قيوم السماوات والأرض، وهو الذي يمسك بقوته قبضة الكون بتوازنه الكهربي الذري حتى لا يزول.. يسبح الرعد بحمده،

والملائكة من خيفته، وله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً تسبح له السماوات السبع، والأرضين، ومن فيهن، وما من شيء إلا يسبح بحمده ولكننا لا نفقه تسبيحهم.

ليس له ند، ولا صاحبة ولا ولد، كل أسمائه متعلقة بذاته وهي لذلك قديمة لا تأخذه سنة ولا نوم، يدبر الأمر في السماوات والأرض لا شريك له في ملكه وملكوته، فهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. علمه محيط، وعلمنا محدود، ونحن لا نتوصل إلى شيء من علمه إلا بما شاء ومتى شاء وكيف شاء ولكن دون أن يتساوى علمنا مع علمه سبحانه كما هو يعمله. يعلم ما تحمل كل أنثى، وما تغيض الأرحام، وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار. إن كانت بعض صفاتنا مشابهة لبعض صفاته فإن صفاتنا على قدرنا، وليست كما هي متعلقة بالله سبحانه وتعالى، لأن الأسماء لها تعلقاً بالخلق المفتقد المرحوم على قدر هذا الخلق، كما أن لها تعلقا بالخالق الغني الرحيم على قدره هو سبحانه، فعلم الله – مثلا – ليس كعلمنا، ولا يمكن أن يصل إلى ماهية أو قدر علم الله إلا من كان مثله، ولما كان الله – سبحانه وتعالى – ليس كمثله شيء، فإن أحداً لا يعلم قدر أو مثل علمه والله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وهو لا يحل في الأشياء، ولا تحل الأشياء فيه، وأنه مصدر كل القوى، والطاقات في هذا الكون مما نعرف، ومما لا نعرف، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا يؤثر فيه الليل والنهار، ولا تحيط به العقول، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وعليه رزقها، ويعلم مستقرها، ومستودعها، هو العلي عظمة وقدراً، القريب رحمة وفضلاً، الواسع إحاطة وعلماً، ليس كمثله شيء في كل شيء.

ولذلك فليس لأحد أن يتفكر في ذات الله، لأنه لن يقدره حق قدره، ولم يؤت في طبيعة خلقته ذاتها القدرة على ذلك لا بالعقل، ولا بالقلب، ولا بالفؤاد، ولا باللب، ولا بالروح، ولا بالنفس، ولا بأي شيء آخر، فالله – سبحانه وتعالى – منزه تنزيهاً كاملاً في فضاء التفريد، عن الإطلاق والتقييد، وهو نور السماوات والأرض،

لكننا لا نعرف ماهية هذا النور، إلا من خلال مثله المضروب في القرآن في المشكاة، والزجاجة، والمصباح في تعلقهم بالشجرة المباركة الزيتونة، وهو مثل إنساني للإنسان لأن الله تعالى منزه عن التمثيل، ولذلك فهو يدير الأمر في السماوات والأرض، كل يوم هو في شأن، وكل شيء خلقه فقدره تقديرا، كما أن يصرف حركة النجوم، والكواكب في أفلاكها والذرات في مسارها.. يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل.. يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويرزق من يشاء بغير حساب، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.. والله معنا في وحدتنا، واجتماعنا، يرى، ويسمع، ويعلم ما نتفوه به من كلام، أو ما نحتفظ به في أنفسنا من أسرار فهو سبحانه يعلم السر، والخفاء، والأخفى وبعده المجهول لنا في أعمال النفس الإنسانية، لأنه سبحانه الباطن الذي ليس دونه شيء، ما من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك، ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، وهو رب الملائكة، والجن، والروح، وكلهم يطلبونه بالعبادة والذكر، كما نطلبه نحن بالعبادة والذكر، وهو لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، فهو غني مستغني عن غيره، وهو رب العرش العظيم، ورب البيت المعمور، يعلم الكتاب المكنون، ثابتاً في اللوح المحفوظ، مطلع على الرق المنشور، مقدر الشؤون والأمور، كل ذلك في غير حدود من الزمان، والمكان، أو أي بعد آخر قد يكون، خلق السماوات والأرض، ولم يعي بخلقهن، وهو القادر على أن يخلق مثلهن، بل إنه لو شاء لبدل كل شيء بغيره حتى يكون كل شيء عابد له، مسبح لعلي مقامه، كما تسبح النباتات، وكما يسبح الجماد، وكما تسبح أمم غيرنا مخلوقة في البحار، وفي الأرض، وفي السماوات، كل شيء يسبح بحمده، وكل كائن مفتقر لصمديته[1]، وكل شيء موجود بإرادته، وما قد نراه بعيداً يراه هو قريباً، لأنه ليس في الزمان وإنما الزمان فيه – سبحانه له الأسماء الحسنى – وهو يجير ولا يجار عليه، غني عن كل الخلق، وعن كل شيء في كل شيء، سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً.

(1) الصمد هو المقصود في الحوائج.

هو الذي يصورنا في الأرحام كيف يشاء، ويرعانا برحمته، ونحن رضع صغار لا نملك لأنفسنا حولاً ولا قوة، ثم لا نزال نتطور عبر السنين، ومن يعمر منا ينكس في الخلق، ولا يعلم من بعد علم شيئاً، وهو الذي يسخر لنا كل ما في الأرض من أجل دورنا فيها، وهي مستقرنا المؤقت فما نمنيه هو يخلقه، وما نحرثه فهو يزرعه، وما نشربه فهو واجده، وما نستغله من طاقة فهو منبتها، أعطانا العقل، ووضح لنا الحساب، وألهم نفوسنا فجورها، وتقواها، وأمرنا بالطاعة والقراءة في القرآن الكريم كتاب الله، وفي الكون العظيم، وهو أيضاً كتاب الله، لا حول لنا ولا قوة إلا من حوله وقوته، ولا مشيئة لنا إلا بمشيئته، ولكنه سبحانه وتعالى أمرنا بالطاعة ونهانا عن المعصية في اختبار كبير، ليكون في مسعانا فريق منا في الجنة، وفريق في السعير، ورحمنا رحمة شاملة كلية بخاتم المرسلين، وما معه من نور وكتاب مبين، وأسرج أرواحنا من نور سراجه المنير، لنعرج في معارج القرب، وننعم في جنان الشهود، ونعقل آيات الوجود، وهو سبحانه أقرب إلينا من أنفسنا، ولكن أبصارنا محجوبة، يغشانا غطاء الغفلة إلى أن تحين لحظة الموت والفراق، وهو عندئذ أقرب إلينا من حبل الوريد بلا تحيز ولا حلول، ولا اتحاد، عالم بخفايا السر، وبكل الجزئيات والكليات فينا، وفي الكون العظيم من حولنا، حتى أنه ما تسقط من ورقة إلا وهو يعلمها، وما يسبح كائن إلا وهو يسمعه، ولا يتصرف متصرف إلا وهو يراه، ولا يتغير شأن عن شأن إلا وهو معه، فهو في عزة علاه قريب منا، وفي تنزيه جبروته رحيم بنا، يغفر لنا ما نرتكبه من ذنوب ويتوب علينا لنتوب، ويهدينا بفضله ويستر العيوب، فهو يعلم أن طبيعتنا توجب الخطأ، والخطيئة، فكتب على نفسه الرحمة، وفتح باب التوبة، لأنه التواب الرحيم، ورحمته قريب من المحسنين، يتنزل في الليل ليغفر لمسيء النهار، ويهدي بالنور من يشاء من الأخيار، ويتجلى في النهار ليغفر لمسيء الليل، وإذا تقربنا إليه شبراً تقرب إلينا ذراعا، وإذا تقربنا إليه ذراعاً تقرب إلينا باعاً، وإذا أتيناه ماشين أتى إلينا هرولة، كل شيء بفضل منه ورحمة.. إذا دعوناه أجابنا، وإذا أطعناه رحمنا، وإذا أحسنا أحسن إلينا، وإذا أحببناه أحبنا، وإذا اقتربنا إليه قربنا، وإذا طلبناه وجدناه قريبا منا، فسبحان الظاهر الذي تجلى بظهوره فلم يحجبه شيء، وخفي ببطونه فليس من دونه شيء، وهو الأول في أحديته، والآخر في

واحديته، والقيوم في وحدانيته.. لا يحتاج إلى علة في وجوده، ينظر إلى العبد برحمته فيقر به بسجوده، ويدخله جنة شهوده.

الله واجب الوجود لذاته[1]، والله الاسم الأعظم العلم الدال على الذات الإلهي جامع للأسماء الحسنى كلها الرحمن في إلوهيته ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[الإسراء: ١١٠] وحضرة الأسماء الحسنى ذات فعالية وتأثير بطاقتها القديمة الباقية في اتصالها المؤثر في المظاهر المخلوقة والشئون والكائنات الموجودة كلها، الظاهرة والباطنة التي تعتبر مرائي تعكس (الآيات) والأسماء الدالة على الحق في آيات الله رب الوجود ورب العالمين ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]، والآيات في كتاب الله الكوني والإنساني هي نفسها الآيات في كتاب الله القرآني، كلهم يدلون على الحق النوري فيهم لأن الله تعالى خالقهما هو نور السماوات والأرض، والقرآن نور، والكون نور ذري مكهرب والإنسان نور بروحه، وكتاب بطاقاته الجسدية والعقلية والنفسية والروحية، وظهور الأسماء الحسنى (الله) في المظاهر المخلوقة يكون بالقدرة المعجزة أحياناً دون وساطة وأحياناً أخرى بالقوانين أو السنن الكونية بأسبابها ومسبباتها، ليتقرر الفرق بين المشيئة والقدرة الإلهية وبين المشيئة والقدرة الإنسانية ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[الإنسان: ٣٠]، والله صاحب المشيئة النافذة والأمر المنجز ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]، في قضائه وقدره الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل والمسطور في أم الكتاب، القرآن القديم غير المخلوق، قرآن الذات الذي كان يتلقاه النبي ﷺ من (لدن) الله الحكيم الخبير، والقرآن العربي هو الذي تنزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا من الله تعالى بواسطة الروح الأمين جبريل على قلب النبي الخاتم بلسان عربي مبين ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[الدخان: ٥٨] وفي سورة الشعراء ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ

[1] واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج إلى سبب أو علة أو غيره في وجوده، وهو عكس ممكن الوجود.

مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وذلك بالتيسير من أجل الذكر والتذكر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ٢٢]، ومحمد مرسل رحمة للعالمين، القرآن معجزته، ودعوته وحجته، وهديه وهدايته، ودينه ودولته.

المسترشد من المرشد

أحب أن أذكر هنا على قدري وباختصار شديد أن مشهد (بحر الإحاطة) الذي عاشه وعايشه الإمام أبو العزائم وعبر عنه في مواجيده هو عبارة عن إحاطة الأسماء الحسنى الإلهية بكل الوجود وبكل موجود وهو بمثل (حالة) كان الإمام مستغرقا فيها وفي مشاهدها ومكاشفاتها وحقائقها وهي تعتبر حالة من حالات قمة مقامات الدين ومستوى أو مقام من مقامات التوحيد في درجاته العُلى ومستوياته العليا كان الإمام أبو العزائم غارقاً فيها فارقاً طوراً يخوض وتارة هو زاخر، سابحاً فيها بكل كيانه في قلبه وعقله ونفسه وروحه وحواسه.

لقد كان أبو العزائم متحققاً بأن الأسماء الحسنى هي المحور الذي يدور عليه الوجود الكوني في الطبيعة وفيما هو وراء الطبيعة، والوجود الإنساني الجسدي والروحي بل والعوالم المخلوقة كلها، وأنه بقدر فهم معاني الأسماء الحسنى ورؤية تجلياتها وبقدر الاستغراق في وحدتها وإحاطتها وبقدر التخلق بها ثم التحقق بها وتنزيه الله فيها ومعها، تكون مراتب ومقامات التوحيد ومستوياته في مراثيه ومعارفه. ولذلك فإننا نلمس مشاهد ومكاشفات هذه (الحالة) التي عاشها الإمام أبو العزائم أو هذا (المقام) في الكثير من مواجيده (قصائده) والتي أوردنا نماذجاً منها مختارة في كتابنا هذا وعبَّر فيها عن هذا المقام التوحيدي الذي تحقق به.

لقد كان أبو العزائم يعلم ويرى ويشهد بنور البصيرة أو نور القلب العاقل الذي يستمد من الروح بفضل الله تعالى ومدد رسوله الخاتم، كان يعلم ويرى ويشهد معاني وحدانية الحق في الظهور والبطون، واحد أحد لا شريك له وذلك في قربه من ربه على نحو الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه (من عادى لي وليا فقد

آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

إن العبد الولي الذي يسمع بالله ويبصر بالله ويتحرك بالله ويكون دائم الحضور مع الله، تتلاشى في حالته هذه أو مقامه هذا حُجُب المادة ومحدودية الحواس وقيود الزمان والمكان وتصورات الخيال والوهم فيرى بنور البصيرة وعين القلب وطاقة الروح تجليات الأسماء الحسنى وآثارها وفقاً لمعانيها الظاهرة في الوجود وفي كل موجود (أي تقع عين قلبه على عين الاسم كما يقول أبوالعزائم، تقع العين على العين) فلا يرى متصرفا في نفسه وفي الكون إلا الأسماء الحسنى يجمعها الاسم الأعظم (الله) العلم الدال على الذات الإلهية أي تغيب عنه (الأنا) فلا يشهد ويتحقق الا بـ (الهو) أي هوية الأحدية الإلهية وأسمائها الحسنى المحيطة وهي التي عبر عنها أبو العزائم بـ(بحر الإحاطة) وذلك بالتنزيه الواجب لله واللائق بالله ليس فيه حلول أو اتحاد ذاتي أو تجسيم أو تشبيه أو وحدة جود، وإنما في توحيد خالي تماماً من الأوحال.

إن الإمام أبو العزائم يؤكد لنا أن الحق الوحيد والواحد الواجب الوجود لذاته، المحيط بكل شيء في هذا الوجود وهذا الكون بأراضيه وسماواته بالمشيئة النافذة والأمر الناجز والعلم الشامل القديم بالكليات والجزئيات والعموميات والتفضيلات لا يحده زمان أو مكان أو أي بعد آخر أيا كان، هو حق الألوهية (الله) الاسم الأعظم الجامع للأسماء الحسنى كلها والصفات العُلى جميعها ذو الإرادة والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام، يعبرون مع سائر أسمائه الحسنى عن قدرته وطاقته في قدوسيته، وعن تفرده في أحديته وعن كماله في إحسان صنعه وعن جماله وجلاله في مخلوقاته.

أما عن (بحر الإحاطة) الذي تحدث عنه أبو العزائم وكان سابحاً فيه ومستغرقاً في محيطه فيمكن أن نبين عنه حقيقة إحاطة الأسماء الحسنى بكل الوجود وبكل موجود فيما يقوله أبو العزائم نفسه:-

هي الأسماء تجلى في ظهوري ... لأهل الحب في حال السفور

تجلت كي يلوح ضيا المعاني ... جليا في الرسوم بكل سوري

أضاءت حال تجريدي ببدئي ... ألاحت لي لديها سر نوري

أنا نور التجلي في ابتدائي ... وصورته تشير إلى مصيري

معاني قادر وضيا حكيم ... وحكمة منعم وهدى غفور

وظل صفاته لاحت برسمي ... تشير إلى العلي إلى القدير

ولي في النشأتين شهود عين ... عبودة رتبتي وصفا ضميري

ليظهر جل أظهرني بيانا ... وأخفاني برسمي في سفوري

فلا أنا في ظهوري غير آي ... تدل على بيان في سطوري

تجلى باسمه الستار أخفى ... معاليمي لأظهر في ستوري

ظهوري مقتضى الأسماء تنبي ... لأني مظهر يحلو ظهوري

ظهوري رقه المنشور لاحت ... لأهل الحب شمس من شكور

خفائي كي يلوح لكل روح ... جمال من جميل أو بشير

جمال الكشف والعلم اللدني ... جمال الفرد في أنسي سروري

شهود في حصون الفرد أجلى ... لروحي سر أسراري مصيري

وعلم أخشع الألباب لما ... ألاح جمال مقتدر خبير

فقلبي خاشع والروح سكري ... وجسمي خانع حالي عذيري

أرى ما لا تراه الروح عينا ... تجلى لي ومحبوبي سميري

أحن إلى اتصالي في انفصالي ... وفي قرب القرابة كشف نوري

فنور مقام مجلاه علاني ... على نور العبودة في صدوري

ورودي في صــدوري عــين قــربي   وقــربي في القرابــة مــن بــصير

وعلى نحو ما نفهم ونشهد على قدرنا نوضح فنقول:

إحاطة الأسماء الحسنى بالوجود:

الله نور الوجود، والنور روح الوجود، والروح طاقة الوجود، والطاقة مظهر الوجود، والمظهر وجود الوجود، والوجود ظهور الموجود، والموجود واجب الوجود، والحب قوام الوجود، والعبودية غاية الوجود، والكلمة خلق الوجود، والقدرة إمساك الوجود، والقوة هيمنة على الوجود، والرحمن استمرار الوجود، والرحيم نجاة الوجود، والملك سلطان الوجود، والقدوس تجريد الوجود، والسلام أمن الوجود، والمؤمن إقرار الوجود، والمهيمن ترابط الوجود، والعزيز فردية الوجود، والجبار جلال الوجود، والمتكبر قهر الوجود، والخالق موجد الوجود، والبارئ تطور الوجود، والمصور تلون الوجود، والغفار الغفور توازن الوجود، والقهار والقاهر خضوع الوجود، والوهاب تقسيم الوجود، والرزاق خيرات الوجود، والفتاح كشف الوجود، والعليم معرفة الوجود، والقابض إحكام الوجود، والباسط تيسير الوجود، الخافض ذلة الوجود، والرافع عز الوجود، والمعز يسر قدر الوجود، والمذل عسر قدر الوجود، والسميع البصير رقيب الوجود، والحكم العدل قانون الوجود، واللطيف فضاء الوجود، والخبير قدر الوجود، والحليم ثبات الوجود، والعظيم كمال الوجود، والشكور طاعة الوجود، والعلي عبودية الوجود، والكبير المتعال ضآلة الوجود، والحسيب كفاية الوجود، والجليل رهبة الوجود، والكريم عطاء الوجود، والمجيب دعاء الوجود، والواسع إحاطة الوجود، والحكيم نظام الوجود، والودود صلة الوجود، والمجيد شرف الوجود، والباعث نشور الوجود، والشهيد رقيب الوجود، والحق سمة الوجود، والوكيل أصل الوجود، والقوي المتين القدرة وشدة القوة في الوجود، والولي المحبة في الوجود، والحميد المحمود في الوجود، والمحصي العلم والإحاطة في الوجود، والمبدئ بدء إيجاد الوجود، والمعيد دورة الوجود، والمحي إعمار الوجود، والمميت تأقيت الوجود، والحي حياة الوجود، والقيوم قوام الوجود،

والواجد والماجد العوز في الوجود، والواحد الأحد تنزيه الموجود خالق الوجود، والصمد افتقار الوجود، والقادر المقتدر السيطرة على الوجود، والمقدم المؤخر قرب وبعد الوجود، والأول موجود قبل الوجود، والأخر موجود بعد الوجود، والظاهر آيات الوجود، والباطن سر الوجود، والمنتقم كوارث الوجود، والعفو صلاح الوجود، والرؤوف الرحمة في الوجود، ومالك الملك فرد الوجود، وذو الجلال والإكرام فيض الوجود، والمقسط عدالة الوجود، والجامع اجتماع الوجود، والغني فقر الوجود، والمغني افتقار الوجود، والمانع حفظ الوجود، والضار شر الوجود، والنافع خير الوجود، والنور حجاب الوجود، والهادي حركة الوجود، والبديع إعجاز الوجود، والباقي استمرار الوجود، والوارث فناء الوجود، والرشيد توجيه الوجود، والصبور إمهال الوجود.

إن كافة الكائنات التي خلقها الله – سبحانه وتعالى – تعيش في تكامل.. تكامل ناتج عن ذكاء واضح تتصرف وفقه المخلوقات تستمد من محكم تدبير وكمال حكمة خالقها معبرة عن قدرته، وقوته وعظمته.. لتجد في تصرفاتها التكاملية أسلوباً لإيجاد خلق أكمل.. هذا الذكاء الفطري هو الذي يسميه القرآن "الهدى" كما في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠]، فالله – تبارك وتعالى – قيوم دائم يرعى المخلوقات كلها في الكون كله بحكمة وتدبير هي مهدية إليهما تجد فيهما تكاملها من أجل تحقيق ذاتها لتخرج مخلوقات أكثر كمالاً، أو أكثر قوة.. والله يدبر الكون بتدبير محكم يرى فيه كل التفاصيل من الكليات والجزئيات، ويعلم معه كل الدقائق ليتمحور حول ذاته افتقار كل ما سواه إليه.. وهو إقرار العجز لكل مخلوق.. يرنو إلى التقدم، والارتفاع، والاقتراب من الحقيقة الأولية الأخرية فيما تتجلى به من خلال معجزات الخليقة، وهذا هو فحوى الذكر في "العبادة" الذي تؤديه المخلوقات، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾
[الذاريات: ٥٦]، وهي تسبح خالقها العظيم.

وفي خلال العبادة تعبر المخلوقات عن افتقارها لخالقها الأعظم، وأداء وظائفها التي هي مهدية لها بهدف الاتساق مع القانون العام الإلهي الذي يسير عليه الكون وكل مخلوقاته.. وهي في عملها تسبح ناطقة بمنطوقها اعترافاً بعظمة الخالق.. تريد أن ترضيه وتتقرب إليه.. وتتكامل من أجل الخير، والسعادة والحب، والتعاون نحو الكمال لعلها ترى قبساً من نوره.. أو تحظى بنظرة رحمة من جنابه العلي.. وذلك رقيها، وارتفاعها، وعروجها.. أفلاك تسبح فيها الكائنات.. ودوائر تعيش فيها المخلوقات.. ومراتب تصطف فيها الملائكة، وهي تعرج في سماء طلبها للقدرة العظمى التي صنعت وخلقت كل شيء.. سعادتها في العبادة، والتقرب بالسجود، ومعرفة خالق الوجود، والأرواح في عالمها ترجو وصلها برب الوجود.. وتسعى جاهدة للطاعة وهي تسبح، وتمجد بحمده.. في فقر إليه.. وسعى إليه.. وقبول منه لديه.. والجن والإنس يرون عظمته.. ويعلمون قدرته.. ويعبدون حضرته.. ويسبحون علوه وعظمته.. ويسجدون في افتقار وعجز واحتياج بين خوف ورجاء راهبون ساعة لقاءه.. ووقت حسابه.. والموقف بين يديه.. والقيامة بأهوالها لديه.. يوم يظهر الحق.. وتبين الحقيقة.. وقد زالت كل قوة إلا قوته.. وانمحت كل قدرة إلا قدرته.. منفرداً بالملك.. لأنه المالك الحقيقي الأوحد للملك ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه: ١١١]، ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير.. جزاء على الخير والشر من خلال ومضة من ومضات ظهور الحق تبارك وتعالى معبراً عن ذاته في أسمائه.. وعن أسمائه في أنواره وعن أنواره في خلقه وصنعته.. بالنسبة للعقل والروح.. مناط الحساب لكل من له حساب.

في السر الأعظم

إذا كان الدكتور/ مصطفى محمود تناول بعضاً من مواجيد أبي العزائم في كتابه (السر الأعظم) مبينا مقاماته فإنه كان يعتبره إماما صوفيا من أئمة التصوف فقط وهو مفهوم يحتاج إلى تصحيح لأن إمامة أبي العزائم ليست محصورة في التصوف، وإن كان صال وجال فيه، إنما هو عالم مجدد للدين في عصره (عصرنا) أخذ على عاتقه تبصرة

الناس برسالة التصوف الروحية والأخلاقية وهو الجهاد في أعلى ذراه، والعلم في أصفى موارده، والخلق في أعلى مثله وقيمه، والإيمان في أسمى أنواره وإشراقاته.. وذلك هو صحيح الإسلام وصحيح رسالته ودعوته التي كرس الإمام أبو العزائم حياته في خدمتها وإعلاء شأنها وتجديد مفاهيمها والدعوة إلى التمسك والالتزام بها، من أجل نهضة المسلمين والأمة الإسلامية واستعادة دور الإسلام الحضاري الريادي الذي كان سائدا في عصور ماضية. ومع ذلك فقد كان الدكتور/ مصطفى محمود محقاً عندما قال – وفي نفس الكتاب – إن الإمام أبو العزائم في نظره كنز لم يكتشف بعد وقطب ينافس الفحول قدما وعلما وسلوكا وإن شعره إنما هو شفرة ورموز عرفانية عالية يفهم منها كل واحد على قدر حظه وانه ما قدم من علمه إلا نقطة من بحر، وأن الإمام أبو العزائم يقول كلامه عن علم كشفي لدني وليس عن اجتهاد برأي وأن للإمام أكثر من مائتين من الكتب والمخطوطات من المواجيد الشعرية والالهامات العرفانية[1].

وكما أوضحنا في مقدمة كتابنا هذا وذكرناه على لسان السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم[2]، فإن الإمام أبو العزائم كان عالماً مجدداً لأمور دين الإسلام في مختلف جوانبه وتناول شتى العلوم الإسلامية من تفسير وعقيدة وفقه وسيرة وفلسفة وأدب، وصلوات وابتهالات وصال وجال في علوم التصوف ومكاشفاته.. وغير ذلك فكان وارثاً لحضرة النبي ومجددا للدين وله منهجه وعلومه ومعارفه وجهاده ومواقفه وآراؤه. وقد تعرض الإمام أبو العزائم لمحاولات حجب الناس عنه وعن علومه ومنهجه بسبب جهاده ضد الاستعمار وأعوانه ومواجهته

---

(1) في كتابه "السر الأعظم" للمرحوم الدكتور/ مصطفى محمود – طبعة دار المعارف التاسعة.

(2) السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، حفيد الإمام وشيخ الطريقة العزمية القائم مؤسس ورئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية وهو عضو بالمجلس الصوفي الأعلى وعضو بالقيادة الشعبية الإسلامية العالمية (١٩٩٥) وعضو باليونسكو (٢٠٠٦). في كلمته في مقدمة كتاب (الإمام أبو العزائم سيرة تنبي عن سريرة) للشيخ قنديل عبد الهادي تلميذ الإمام وهو الكتاب الذي يقول عنه السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، أنه يعتبر مصدرًا ومأمونًا للتعرف على الإمام أبي العزائم وسيرته ومنهجه وتراثه.

للحكام المستبدين وبيانه للأخطار التي تتعرض لها الأمة وكيفية مواجهتها، ودعوته إلى توحيد الصفوف ونبذ الخلاف والفرقة.

إن الإمام برؤيته الإيمانية الثاقبة والشاملة لوسائل نيل المسلمين لمجدهم الإسلامي الفائت والغائب في عصرنا، كان يدعو في حقيقة الأمر إلى (نهضة) شاملة للمسلمين في كل أوطانهم ودولهم، نهضة تقوم على أساس التمسك بكتاب الله وسنة خاتم رسل الله، علماً وعملاً وإتباعاً بتجديد في الأفكار والمفاهيم بما يقتضيه واجب الوقت ووفقاً لفقه الأولويات وضرورات النهوض. وقد وضع الإمام متصلا بهذا الموضوع بالذات العديد من الكتب أذكر منها:

- الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها.
- الإسلام وطن والمسلون جميعا أهله.
- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ.
- الشفاء من مرض التفرقة.
- وسائل نيل المجد الإسلامي.

وفي مقدمة كتاب الإمام (وسائل نيل المجد الإسلامي) يقول السيد/ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية القائم عما تناوله جده الإمام في الكتاب المذكور:-

- ((يتناول الإمام المجدد رضي الله عنه في التمهيد الحنين لهذا المجد، وتذكره، وأسباب ضياعه، وأن الشدائد تدفع الأمة لليقظة، وأن الصلاح والسلام بالإسلام، ويطالب المسلمين بالعودة إلى ما كان عليه سلفنا الصالح.
- وفي الباب الأول يتناول الوسيلة الأولى من وسائل نيل المجد الإسلامي وهي (الرجوع إلى الله). وينقسم هذا الباب إلى فصلين: الفصل الأول يتناول فيه موضوع إقامة الحدود، وفي الفصل الثاني موضوع نصرة الحق.

•وفي الباب الثاني يتكلم عن الوسيلة الثانية وهي (الرجال العاملون) حيث يبين أن الأمة يجب عليها أن تبحث عن القائد الحكيم المصلح، ويبين أخلاق الولاة في عهد السلف الصالح ليكون نبراساً للولاة من بعدهم.

•أما في الباب الثالث فيقرر الإمام رضي الله عنه أن الوسيلة الثالثة هي (عودة الخلافة الإسلامية) ويبين الواجب على الخليفة، ويعرف الإمامة، والواجب للإمام الأعظم على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم، ووجوب طاعة الأمير، وأن الإمام لا يكون إلا واحداً شرعاً، وأن طاعته واجبة مادام عاملاً بالكتاب والسنة، ثم يكشف الستار عن الدسائس التي يدسها الشيطان لتفرقة أهل الإيمان، ويبين أن الإصرار شر الآراء، وأن الرجوع إلى الحق أحق، وأن اليقظة بشير النصر، وأن طالب الحق لا ييأس من نيله، ثم يختم هذا الباب بكلامه عن الإسلام والسياسة.

•ثم يتناول الإمام المجدد في الباب الرابع الوسيلة الرابعة وهي (العدل والحرية) حيث يبين رضي الله عنه أنه ليس الملك من ملك الأجسام، وأن العدل أساس الملك، وأن الملك لا يدوم مع الظلم، وأن القرآن هو الدستور الحق الذي يملأ الأرض بالعدل، ثم يتناول الحرية الحقة وأثرها في النفوس البشرية، وبم تنال، ويبين أن الظلم مرتعه وخيم، ويبين رحمة المسلمين بأهل ذمتهم.

•ثم يتناول في الباب الخامس الوسيلة الخامسة وهي (العلم والعمل) ويبين أن الإسلام هو دين العلم والعمل، وأن كل المخترعات كانت بالإسلام وبعده، ويبين حال المجتمع الإنساني قبل الإسلام، وأثر الإسلام على تقدم الإنسانية، وفضل الإسلام على أوربا وأمريكا، وأن أوربا تركت دينها فتقدمت، وتركنا نحن ديننا فتأخرنا، وما هي الفائدة الدينية من تعليم العلوم العصرية، وأن أوربا تفوقت على الجاهلية الأولى.

•أما في الباب السادس فيتناول الإمام رضي الله عنه الوسيلة السادسة لنيل المجد الإسلامي وهي (اللغة العربية) حيث أن شرف اللغة العربية بالقرآن، ويدعو

المسلمين جميعاً إلى تعميم اللغة العربية، ويبين فوائد ذلك للأمة الإسلامية خاصة، وللمجتمع الإنساني عامة.

● وفي الخاتمة يبين الإمام المجدد رضي الله عنه أنه بالجد نيل المجد، وأنه بالرجوع إلى الله تعالى وبالاتحاد يعود لنا هذا المجد، وأن الساعي في التفرقة شر الخلق، وأن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد، وأننا إنما نسعد بما سعد به سلفنا الصالح، وما هو الواجب على المسلمين الآن.

وباستقراء هذه الأبواب والفصول والموضوعات، نجد أن الإمام المجدد رضي الله عنه وأرضاه قد وضع إطاراً عاماً للوسائل التي بها يعود المجد الإسلامي كما كان في عهد السلف الصالح رضي الله عنهم، ويضع بين دفتي هذا الكتاب علاجاً ناجعاً لأمراض المسلمين في هذا العصر، ويبصرنا بنوايا أعدائنا وأساليبهم، ويطالبنا أن نقوم من نومة الغفلة ورقدة الجهالة.)) انتهى.

والخلاصة التي يمكن أن نذكرها فيما نذكره حول ما يقوله الإمام أبو العزائم عن وسائل نيل المجد الإسلامي، أن المنارات الهادية في فكر النهضة الإسلامية في كل الأوطان المسلمة تنبني على الأمور التالية:

١) فكر وخطاب ديني تجديدي وفهم مستنير لصحيح الإسلام.

٢) بناء الإنسان (المواطن) بالأخلاق وبالعلم النافع والعمل الصالح.

٣) مكارم الأخلاق هي حقيقة الدين وجوهره ومعيار صدق التدين.

٤) الإسلام دين ودولة القرآن الكريم دستوره والشريعة قانونه.

٥) الإخلاص في تحقيق مصلحة الوطن ومصلحة كل المواطنين.

٦) إيصال الخير والنفع للناس بجلب المصالح ودرء المفاسد.

٧) المؤمنون بالنهضة الوطنية هم لبنة الحضارة وصانعو التقدم ومحققوا التنمية ومنجزوا النهضة.

٨) تكامل الوطنية المصرية والهوية العربية والذات الإسلامية في العمل من أجل نهضة الوطن والدولة والأمة.

٩) العمل المنتج حق وواجب والله يحب إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه.

١٠) الرعوية المسئولة في كل موقع (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) من منطلق (الحب) أساس المواطنة والأخوة الإنسانية و السلامة المجتمعية والوحدة الوطنية.

لقد تحدث أبو العزائم عن الحنين إلى المجد وتذكره وأسباب ضياعه وعلى رأس هذه الأسباب أولئك الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من الذين يفرقون في الدين ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً وأنهم من المسلمين. وكان رضي الله عنه يقول أن من خالف الكتاب والسنة فقد فارق الدين وأن التفرقة هي التي سلبت مجدنا ومكنت منا أعداءنا كما أنه لابد لنا أن نعرف أسباب غفلتنا وأن تستيقظ منها شعوبنا بالعمل بمبادئ وتعاليم وأحكام وتوجيهات ديننا الإسلامي وأنه بالاتحاد يعود المجد وشر الخلق من يسعى في التفرقة لأن الاتحاد مطلقاً خير كله. إن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد، والوقت الحاضر يقتضي أمرين عظيمين، أهمهما الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله لنجدد ما تركناه ونُفيد العمل بما أهملنا فيه حتى لا يضيع منا كل شيء إذا لم نحافظ على الشريعة. والأمر الثاني هو المسارعة إلى رد ما فقدنا: من ملك ووطن وعلوم وصناعات وفنون وحرية وإرادة ودفع ما ابتلينا به من الاستعباد والاستبداد وفساد الأخلاق والعوائد، وانتشار الفواحش ظاهراً وباطناً، وطلب الدنيا بأعمال الدين وإهمال العمل بكتاب الله تعالى، ونسيان القلوب يوم القيامة وهوله، ومحو الرحمة الإسلامية من بين المجتمع وأفراده ولأسر والعائلات وفقد الثقة من بعضنا، وعدم تقدير العلم أو تقدير العمل.. والكثير غير ذلك.

وقد وجه أبو العزائم نصائحا للأمة جمعاء وإلى رجال الحكومة وإلى العلماء من الأمة وإلى طلبة العلم وإلى التجار والصناع والعمال وإلى رجال الإمة جمعاء من أجل

التمسك بآداب الإسلام وأخلاقياته والإتحاد والتوحد على الحق ونبذ التفرقة والتفرق° والفرقة.

وتحدث رضي الله عنه عن الأدب مع المعاصرين° من الناس في مصر وفي كل أوطان الأمة وقال:-

الأدب مع المعاصرين:

المعاصرون إخوانكم في الدين وأصدقاؤكم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، ليكن الكبير كالوالد، والمساوي أخا، والصغير ولداً بجميع شروطهم.

لا تفرقوا بين بينكم، ولا تحتقروا مسلماً، فإن الله تعالى ما رضيه للإسلام إلا وهو عنده عظيم، "محمد ماضي" برئ ممن يفرق بين مسلم وبين نفسه لسبب "محمد ماضي".

أخواني: إني أعتقد أن كل مسلم خير مني – ولو أرتكب أكبر الكبائر غير الشرك –، لأن الله سبحانه له سر بينه وبين من رضي لهم الإسلام دينا يخفى على البصيرة، ويسترهم بستور لتخفى مراتهم.

"محمد ماضي" لا يرى مسلماً مرتكباً كبيرة إلا نظر له بعين الشرع رحمة له، ويعظه بالحسنى نيابة عن صاحب الشريعة، ونظر له بعي الحق فأول حاله قائلاً: لعله من أهل الخصوصية الإلهية وستره الله تعالى بفضله، فإني أعتقد أن القضاء لا يمنع الإعطاء من فضل الله تعالى، فأعظمه في قلبي، وأخافه في نفسي تعظيماً لسر الله الذي ورد على قلبي، لأن الله تعالى لا يعطي فضله لعلة عمل، ونصحته بلساني حبا له، وتعظيماً للشرع، فأكون معظما الله تعالى في الحالتين.

أخواني: أتقوا الله في عباده، وعليكم أنفسكم، فاجلوا مرآة قلوبكم بعمل القلوب، واشتغلوا بذنوبكم، فإنكم محاسبون عليها لا على ذنوب غيركم، وارحموا عباد الله تعالى، ذكروهم بالحسنى، عظوهم باللين، أعينوهم بفضل أموالكم وجميل

كلامكم، وأحبوا لهم ما أحببتم لأنفسكم، والله ولي المؤمنين، وصلى الله على سيدنا محمد الرءوف الرحيم وعلى آله وصحبه وسلم.

كان يقول الإمام أبو العزائم عن وجوب الاتحاد والتوحيد ومحاربة التفرقة والفرقة وأسبابها والداعين إليها إن ذلك يكتمل بجمع القلوب والكلمة وبالمحبة بين الناس وبين المواطنين في الوطن الواحد. وكان أبو العزائم يعتبر الأساس الأول في الطريق إلى الله هو (المحبة) ويقول ليس من تقرب إلى الله بأكمل القربات بمحب لله فإن الطاعة يعملها البار والعاصي وإنما دليل محبة الله البعد عما نهى الله عنه، وهذا أمر دقيق جداً فكم من عابد يوالي عدو الله تعالى أو يفعل ما يكرهه الله مما نهاه عنه. وإلى جانب ما كان ينصح ويوصي به أبو العزائم عن (المحبة) وفي نفس التوجه ومن آفاقه وجوهره وتوجهاته أقول:

الحب والمحبة

الله محبة .. والمحبة الله..

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾[المائدة/ ٥٤].

المحمد محبة .. المحبة محمد ..

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولـده والنـاس أجمعـين) محمد رسول الله.

المسلم محبة .. المحبة مسلم.

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[الحشر/ ٩].

الإسلام محبة .. المحبة إسلام.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران/ ٣١].

الإيمان محبة .. المحبة إيمان..

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) محمد رسول الله.

الإنسان محبة.. المحبة إنسان..

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[الحجرات/ ١٣].

الوجود محبة .. المحبة وجود ..

(كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني) حديث قدسي.

حب الله..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة/ ١٦٥].

إننا كلنا نعلم، وليعلم من لا يعلم، إن ما كان يقولـه الإمـام أبـو العزائم هـو الحق، ومن الحق أيضاً أنه تتضافر في استعادة المجد الضائع وفي تحقيق النهضة، عوامل

عديدة ومجتمعه يوجهنا إليها ديننا الإسلامي الحنيف، تنبع من مفاهيمه الصحيحة المستنيرة، ومن مبادئه وتعاليمه وتوجيهاته وتوجهاته الوسطية السمحة المعتدلة، ومن شرعته ومنهاجه، ومن قيمه الأخلاقية التي يؤسس عليها بنيان شخصية الإنسان المؤمن وآداب تعامله مع الآخرين، كما يؤسس عليها بنيان المجتمع المؤمن وتعاون أعضاؤه الأخوي المتحدون والمتوحدون دون تفرقة بينهم، وكذا بنيان الدولة العصرية الحديثة المؤمنة، بكل مؤسساتها وهيئاتها وأجهزتها في كل تخصصاتها. ومن أهم هذه العوامل الفاعلة في استعادة المجد وإنجاز النهضة الوطنية ومناراتها المضيئة التي تستهدف في النهاية سعادة الإنسان في نفسه وفي أسرته وفي مجتمعه وفي وطنه ودولته، بحياة واقعية قوامها التقدم والتمدن والتحضر، العوامل والمنارات التالية:-

- مكارم الأخلاق والقيم الأخلاقية الدينية (النظرية والعملية).
- الاقتصاد القوي (التنمية والقضاء على التخلف ومشاكله).
- الديمقراطية والشورى (الحرية).
- التعليم والعلم والبحث العلمي المتخصص والتكنولوجيا (دور العلماء والمثقفين).
- الصحة والرعاية الصحية (للإنسان المواطن من كل الدرجات والطبقات).
- القوة العسكرية (القوات المسلحة).
- الإدارة العلمية الحديثة (التخطيط واللامركزية).
- الاتحاد والتوحد والوحدة الوطنية.

إلى جانب ما قد يضاف إليها من عوامل أخرى فاعلة ومؤثرة من مثل ما ذكره الإمام أبو العزائم عن الرجوع إلى الله والرجال العاملون والقيادات الحكيمة المصلحة والاهتمام باللغة العربية.

وأنقل باختصار وبانتقاء ما قاله كل من الأستاذ الدكتور/ محمد رشاد عبد العزيز دهمش (العميد السابق لكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر) والأستاذ الدكتور

إبراهيم عبد الشافي إبراهيم (عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية السابق بجامعة الأزهر) عن الإمام أبو العزائم:-

(أولاً) الدكتور دهمش:

لقد بذل الإمام العارف بالله أبو العزائم رضي الله عنه كل نفس ونفيس في سبيل إظهار عظمة الإسلام وسماحته وكان بذلك قدوة للصالحين وأسوة للمسلمين وترك من العلوم والمعارف والفنون ومن الكتابات ما تحتاج إليه المكتبات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأنار بعلمه الرباني الطريقة للحائرين ووهب حياته للدفاع عن الإسلام مبينا بفكر واضح أثر التصوف في حياة المخلصين. فالإمام أبو العزائم من الأئمة القلائل الذين يجود بهم الزمان بعد فترات من الزمن سر قوله (يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد سلامة أمر دينها)° ويستطرد الدكتور دهمش قائلاً: إني أدعو طلبة وعلماء الأزهر الشريف وكل من ينتسب للإسلام والمجامع العلمية خاصة، أن ينهلوا من هذا العلم الفياض الذي لا ينفذ أبداً بإذن الله تعالى، فهو قطب الأولياء وهو بحق مجدد لأمر هذا الدين ووارث هذا الزمان.

(ثانيا) الدكتور إبراهيم عبد الشافي إبراهيم:

إن الإمام أبو العزائم مدرسة روحية أسسها على الغذاء الروحي الذي يصل الإنسان بربه وهو الغذاء الذي نفتقده في عالم طغى فيه رنين المادة على بعض القلوب فضلت وأضلت وسارت في طريق معوج. والأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى منهج الإمام أبي العزائم الإصلاحي والتربوي والعلمي الذي يوقظ القلوب ويربي الشباب التربية الإيمانية السمحة البعيدة عن التعصب والغلو والتطرف... وقد ربى الإمام رجالاً مصلحين أحتضنوا منهجه وساروا على طريقته يدعون الناس على بصيرة ويرشدونهم إلى الجد ويزكون نفوسهم.

يقول السيد/ محمد علاء الدين أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية القائم (إن الاصطلاحات الصوفية عند الإمام المجدد السيد/ محمد ماضي أبي العزائم إنما هي رمز وإيماء إلى واردات قلبية وتنزلات روحانية وإشراقات علوية" تشرق بها قلوب

العارفين وتتجلى حقائقها لسرائر الصوفية المحققين. وقد أفاض الله تعالى عليه الكثير من هذه الاصطلاحات في كلامه النثري في كتبه المختلفة وأيضا في صيغ صلواته على الحبيب المصطفى مُعبراً فيها عما يجده في قلبه من حبه للنبي ، وكذلك بث الإمام المجدد الكثير من الاصطلاحات الجديدة في مواجيده التي لم يأتي بها أحد قبله) انتهى.

لقد كان الإمام أبو العزائم داعياً إلى الله في الشريعة وأحكامها والعبادات ومقاصدها وفي الحقيقة وعلومها ومعارفها، ويرى في الإسلام والالتزام بتعاليمه واتباع شرعته ومنهاجه وأخلاقياته كما جسدها رسول الله الخاتم ﷺ، رفعة المسلمين وتقدمهم في حياتهم وأوطانهم ودولهم، وبذلك يستعيدون مجدهم الماضي الذي فقدوه، وحدد في ذلك وسائل نيل المجد الإسلامي واستعادة ما فقده المسلمون بسبب تخليهم عن دينهم..[1] وما في هذا الدين ومبادئه وتعاليمه وأحكامه وقرآنه العربي من عناصر وأسباب القوة والتوحيد والاتحاد والرفعة والنهوض والسعادة والعلم والعمل من أجل الدنيا والآخرة، إبتغاءا لعزة كل أوطان المسلمين ودولهم بالاتحاد والتعاون والتضامن من أجل القوة والنهوض.

وأقول ما كان يقوله الإمام أبو العزائم رضي الله عنه لكل من كان طالب الله تعالى وقاصداً وجهه الكريم في سلوكه للطريق الصوفي الخاص أو في سلوكه في طريقه في الحياة الدنيا مستقلا بذاته ومقتديا برسول الله وملتزما بالإسلام وأخلاقياته، ودعوته وحجته، وشرعته ومنهاجه وشموله الحضاري لدينه ودولته:

أنا الخبير فسلني عنه أنبئك   وسلمن لي إلى العليا أرقيك

والله سبحانه وتعالى يقول لنا في كتابه العزيز ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان/ ٥٩]. أن أساس الطريق الصوفي عند الإمام أبي العزائم هو كما يقول ((محبة الله تعالى إعظاما وإجلالا، ومحبة رسول الله تسليماً وانقيادا وإيثار كل مسلم على نفسه بأن يحب له ما يحبه لنفسه ويؤثره عليها في الخير لأن الله تعالى أوجدنا وشرح صدورنا بنور رحمته وضياء المعرفة لنجدد ما خفي من معالم سنة رسول الله علما وعملا وحالا،

([1]) في كتابه "وسائل نيل المجد الإسلامي" نشر دار الكتاب الصوفي.

ولنحي ما أندرس من أنوار كتاب الله تعالى علماً وشهوداً وتسليماً ورضاءا، ونعيد الماضي بما كان عليه سلفنا الصالح – نفعنا الله بهم – ليكون الله تعالى معنا وعندنا ونكون مع الله تعالى. وكل أخ من أحبائي في الله يجب عليه أولاً أن يحصل ما لابد له منه من علوم الشريعة ليعمل بها أمره الله وليكون قدوة حسنة في أحبابه في الله دالا على الحق بعمله أولاً وبقوله ثانياً وبحاله ثالثاً، فمن ترك العمل الذي يكون به عبدا لله تعالى عابدا حُرم السعادتين، ومن بين لغيره بيانا يخالف بيان رسول الله أو عمل عملا يخالف رسول الله أو تحلي بحال ينكره العارفون بالله تعالى كان ضالا مضلا مظهرا لإبليس عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن بين الحق بلسانه ولم يعمل بجوارحه ونفسه كان فتنة للمسلمين كالسراج الذي يحرق نفسه ويضيء لغيره لأن الناس أسرع تقليدا للعمل منهم للعلم. وإنما أفسد العقائد وفرق المجتمع الإسلامي عالم اللسان جهول القلب، يأمر الناس بالخير ولا يعمله وليس هؤلاء بأئمة للمسلمين لأنهم أعوان الشياطين وعبيد الدنيا وخدمة الملوك ولو كانوا كفارا)). انتهى.

ومن وصايا الإمام لأبناء وشيوخ الطرق الصوفية في إدراك منه لوحدة الهدف المنشود وأحدية المعبود المطلوب ووحدانيته ومظهرها في دين الإسلام الخاتم وهو الحق الذي أنزله الحق وحيا على قلب الرسول الحق الخاتم للأنبياء والرسل المبعوثين من عند الله رب العالمين، يقول الإمام أبو العزائم:-

"يا إخواني ليس الطريق لنكون فرقاً مختلفين، وعصباً متنافرين وشيعا متباغضين، قلوب على الحظ والهوى عقدت، وبالدنيا وما فيها أطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون وهم كثيرون قليلا، قال الله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[آل عمران/ ١٠٣] إذا كان المراد من الطريق النجاة والفوز بالسعادة الأبدية فهل النجاة أن يبغض المسلم أخاه؟ وأن يذم كل فريق من خالقه، وأن يقوم كل قادر أن يتكلم بالذم والتكفير واللعن فيتكلم؟ هل كان رسول الله يحب المتعدين؟ هل كان

سباباً لعاناً صخابا في الأسواق؟ تنزه وقد مدحه الله تعالى بقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم/ ٤] وقوله سبحانه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[آل عمران/ ١٥٩] وقد نبهنا الله سبحانه وتعالى بقوله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) [الأحزاب/ ٢١] انتهى.

وأحب في النهاية أن أورد نص خطاب بعثه الإمام أبو العزائم إلى تلميذه وخاصته الشيخ محمد الصبيحي رحمه الله، وهو خطاب كان أخي وحبيبي الشيخ طاهر مخاريطة رحمه الله وغفر له وأجزل عطاياه، قد بعثه إلى وأنا في البرازيل أعمل ملحقاً دبلوماسيا في سفارتنا في ريو دي جانيرو في الستينيات من القرن العشرين، وكان لي في ذلك الوقت والزمان حب وود وتواصل مع أستاذي وأستاذ آل العزائم الشيخ طاهر. وخطاب الإمام إلى الشيخ الصبيحي ملىء بالتوجيهات والحكم ومشاهد اليقين في الشريعة والحقيقة والآداب الإسلامية وكان كما قال لي الشيخ طاهر في خطابه إليَّ (هدية يحبها قلبك) وهو التالي:-

دعاني إلى التحرير بالقلم الثاني	مسرة ناسوتي بكشف بياني
كتبت وقد قيدت روحي بهيكلي	ليكشف ما أرجوه قول لساني
وخاطبت نفسي بالتجرد عندما	تشوق ناسوتي لأنسي بإخواني
فللروح أنس دائم بشهودها	ولكن ذا الناسوت مظهر ثان
أيأيها الجزء المتمم صورتي	ويا كل في التمثيل كشف عياني
ويا بعض هذا الكل في عين غافل	ويا كل في عين من هو فان
ويا عدما عند الكمال وظاهرا	تجمع أضداد بصورة إنسان
وياطينة من سافلين قد ارتقت	ويا سيدا في مقعد الصدق رحماني
إليك صبيحي نفثة حال نشوة	تشير بأنك دائم الجمع روحاني
أيا ولدي شمس الحقيقة يهتدي	بنور سناها المخلصون ذووا الشان
وشرع الهدى يدعو به كل وارد	ليطهر من أدران حظ وشيطان

أيــا ولــدي عــين اليقــين وحقــه ... يفاض لمن وصلوا مقامات إحسان
فنــب يــا صــبيحي عــن محمــد داعيــا ... وبلــغ تحيــاتي لأفــراد إخــواني
وبلــغ أخــاك الفــرد والــصادق الــذي ... تحقــق وجــدا لا بقــول وعرفــان
خليلــك والمحبــوب أحمــد مــن لــه ... مقــام وحــال صــادق بعيــان
ألا قــل لــه وســطا فكــن ناهجــا عــلى ... رياضــة ناســوت لــدنيا وديــان
كــذا أنــت أهــل الله جعلــوك خادمــا ... لــدنيا وديــن صــادق العــزم إنــساني
تــشاهد بــالروح العليــة قدســه ... وتعمــل للــدنيا بمحكــم قــرآن
وبلغــه عنــي بــل وعــن الكــم هنــا ... تحيــة أشــواق ودعــوة رضــوان
وبلــغ أخــي علمــي دعــائي مكــررا ... لأهليــه والأنجــال والأخــدان
ألا يا صبيحي سورة الروم وضحت ... ســيغلب جمعهمــو بكــل مكــان
إذا الكوكــب القــدسي أشرق ظــاهرا ... تحــف بــه الأقــمار مــن كيــوان
عــلى قلــب صــديق النبــي جمــيعهم ... ووجهـــتهم للواحـــد الـــديان
فــدعني صــبيحي والحقــائق عــن غــد ... وبلـــغ تحيـــاتي إلى إخـــواني

خاتمة

وأختتم حديثي عن الإمام أبي العزائم بمنظومتين له إخترتهما من ديوان مواجيده "ضياء القلوب من فضل علام الغيوب" فيما يلي للأرواح العالية شراب من معناهما، وتذوق لما حوتاه من مشاهد روحانية سامية وفريدة في مستواها كما هو الأمر في سائر مواجيد الإمام أبي العزائم التي ربما يجد أحيانا المطلع عليها خروجات عن المواصفات الفنية للشعر، حيث كان مقصد الإمام فيها هو إدراك وتدبر وتذوق المعاني فيها من كل مطلع على قدره من المعرفة والعلم وصفاء النفس ومشاهد التوحيد والقرب من الله ورسوله:-

خذوا من عباراتي بقدر مبانيها ... وخلوا لأهل الذوق سر معانيها
ففيها من الأسرار ما ليس يكشفن ... وقد خفيت أسرارها ومباديها
يذوق عباراتي مراد لحضرتي ... ويشهد أسرارها فتى قد فنى
وليس لساني ناطقا بعباراتي ... ولكنها نور يُفاض باريها

وها هي المنظومتين المختارتين

● القصيدة الأولى:

سقوني الراح في ليل التداني ... بكأس النور من بحر المعاني
وشاهدت المشاهد وهي تجلي ... برنات المثالث والمثاني
وعاينت الجمال الصرف لما ... شربت براحتي عن الدنان
سكرت وتهت عن حسي ونفسي ... وملت برشف راحي عن زماني
وعاينت الجمال بكل شيء ... جمال الحق في عين العيان
تنادي كل جارحة وعضو ... وأزهار وأنوار الجنان
وأفلاك تدور على انتظام ... وأنهار بها حلي الغواني
وأشجار تسبح ناطقات ... لمن عرف الحقيقة باليان
جمال لا يشابهه جمال ... وحسن ليس يحصيه جناني

وقد كلفت كتم السر حتى | شربت فباح عن سري لساني
ولا لوم علي ولا عتاب | فعشق جمال حسنكمو علاني
شربت الراح بالقدح المعلي | فهمت به وحسبي ما أعاني
سبوا عقلي ولبي في هواهم | فواشوقاه للركن اليماني
فيا نفسي ازهقي يا روح هيا | فموت النفس فيه لي التداني
فروض الحسن فيه حبيب قلبي | بمراي العين في حلل المعاني
وفي وادي النفي طربي وأنسي | وفي هذي الربي الشرقي أماني
فهيا أيها الساقي أدر لي | من الراح المعتق في الدنان
وفي بحر الوصول إليه دعني | فغرقي فيه مطلوبي وشاني
بحقك فافنني عني ومني | وولع نور قلبي بالتداني

● والقصيدة الثانية:

يا ساقي الراح في روض المنجاة | أدر شراب مجالي حضرة الذات
صرفا علينا وروحنا بمظهرها | فالروح هامت إلى كشف الحقيقات
وافت بلا شبح نحو الحمى ولها | شوق شديد إلى فهم آيات
رفعت إلى العرش والأسواق | منها لها تارة في كل حضرات
وتارة أنت تسقيها فتسكرها | بطيب راحك يا مجلى الكمالات
حتى تراءت لها من طيبه علنا | شمس التحقق في بدر الجمالات
فاسترجعت لحمي ناسوتها ولها | به كمال شهودي وصف حالاتي
حتى أضاءت على الناسوت | مجلاه قد عجزت عنه عباراتي
وترجمت (روح ماضي) وهي عاجزة | عن درك أسرارها في الاسم والذات
لكن طيب شراب الحان جنتني | فبحت عن حسن أوصافي وذاتي
أنا الجمال الذي عنه الورى عجزوا | والروض أدهش من قد شم نسماتي
أنا الكمال وبي كل الوجود بدا | مزينا فتدبر سر كلماتي

أنـا الـصفات أنـا الأسـماء مظهرهـا وجـوهر الكنـز في سـلبي لإثبـاتي
أنـا الـشراب أنـا الـساقي ولـيس نـور تجلـت بـه معنـى جـلالات
منـى ولي وأنـا فيـه منزهـة ذاتي وفيـه بـدت للعـين ايـاتي
فـاشرب بـذوقك راحـي محـسنا هـذا الـشراب مـصون بالـشريعات
فـاتبع طريـق رسـول الله واطلبـه تحظـى وتـدخل في حـان المعيـات
واحفـظ لـسنته واسـلك طريقتـه واحـذر تمـل تبـق في نـار الـضلالات
واطلبـه مـن وارث صـحت وراثتـه تلـوح مـن فيـه أنـوار الهـدايات
واحفـظ إذا سـمعت أذنـاك جـوهرة واحـرص عليهـا تنـل كـل إثبـات
فـوارث النـور بـاب للنبـي بـه يـذوق مـن أمـه طيـب الحقيقـات
والـوارث الفـرد غـوث الوقـت تجـلي عليـه شـموس الوصـف والـذات٥
ويشرب الـراح صرفـا مـن يديـه وقـد يعطيـه طـه معـاليم الإشـارات
فيـستمد جميـع الكـون منـه ومـن ألفاظـه تـنجلي شـمس الفتـوحـات
وقـد بلغـت بفـضل المـصطفى رتبـا بهـا وصـلت إلى أعـلى الكـمالات
شربـت مـن يديـه معنـى معيتـه ولاح لي وجهـه ينبـي باثبـاتي
بفـضله نـال (مـاضي) رتبـة شرفـت وفـزت منـه بـإكرام وحـسنات
سـمعت بـل وبـصرت حـسنه ولكـم شـهدت حـسا وذوقـاً صـورة الـذات٥
هـذا مقـام رفيـع لا ينـال سـوي بـه، فـسلم تنـل كـل المـسرات
ادم عليـه صـلاة منـك واصـلة يـا ربنـا وسـلاما بالتحيـات

****

وبعــــد:

إن كل إنسان مكلف مسئول مسئولية فردية ذاتية عن أعماله وأقواله في دنياه ومسعاه فيها، يحاسبه الله عليهم وعلى نيته فيهم يوم القيامة الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا ولا ينفع الإنسان فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وكما يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء/ ١٣-١٤].

أحمد الله تعالى مقصودنا ومعبودنا ومطلوبنا الذي هدانا لدين الحق ولخاتم النبيين محمد رسوله بالحق وللقرآن الكريم كتابه الذي أنزله بالحق، وأوصلنا بالعلماء الربانيين والأولياء المرشدين الموصولين بحضرة خاتم المرسلين، فعرفنا ما لم نكن نعرف وعلمنا ما لم نكن نعلم، وقال تعالى ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء/ ١٥].

رحم الله أبا العزائم وأمدنا الله وإياكم من عين إمداده بالفضل منه سبحانه وتعالى، حبًا لذاته سبحانه وحبا لخاتم أنبيائه وحبا لأبي العزائم الذي كان يقول عن سيدنا رسول الله:

وناداني أيا ماضي تهنى ... فأنت ومن يحبك في أمان

وذلك في قصيدته التي أختم بها كتابي ويقول فيها رضي الله عنه:-

نحـــن الـــروح للعليـــا وتهـــوى ... منـــازل أنـــسها بعـــد البيـــان
وتـــسعى باشـــتياق نحـــو أصـــل ... لتـــشرب مـــن رحيـــق في الـــدنان
وعنـــد شرابهـــا للـــراح صرفـــاً ... تمـــزق حجـــب أعـــراض الكيـــان

تلبي بابتهاج من دعاها … إلى كشف الحقيقة والمعاني

وتفنى عن سواه به لتحظى … بأسرار يترجمها لساني

وعند فنائها فيه يقينا … تشم نسيم أزهار العيان

وترفع في العوالم بابتهاج … لها صور من الحسن المصان

فهيا يا مريد الوصل وانهض … ودع عنك التقاعد والتواني

وخلص من سوانا القلب واعلم … بأن لنا التصرف في الزمان

وقم واخدم طريقتنا وسلم … لنا تحظى بروضات الجنان

فأهل طريقتنا في حصن طه … لقد بشرت لما أن سقاني

ونادانى أيا (ماضي) تهنى … فأنت ومن يحبك في أمان

وناولني شراب الراح صرفا … من السر المطلسم في القرآن

عليه الله صلى ثم سلم … محمد من أتانا بالبيان